المملكة العربية السعودية
جامعة الملك عبد العزيز
مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة

من التراث الإسلامي
الكتاب الثامن

منال الطالب
في شرح طوال الغرائب

لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد
ابن الأثير
(٥٤٤ - ٦٠٦ هـ)

الجزء الأول

تحقيق
الدكتور محمود محمد الطناحي

دار المأمون للتراث
دمشق - ص.ب : ٤٩٧١
بيروت - ص.ب : ١٥٥٠٨٦

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدُ لله فاتحة كلّ خير وتمام كلّ نعمة، أحمده سبحانه وتعالى حمداً كثيراً طاهراً طيّباً مباركاً فيه، وأصلّي وأسلّم على سيّدنا محمد الناطق بأفصح لسان والمبعوث رحمةً للعالمين. اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين.

أما بعد: فهذا كتاب جديد من كتب غريب الحديث، هذا العِلْم الذي انْتَدَب العلماءُ للتصنيف فيه منذ القرن الثاني، وقد اختلفت مصنَّفاتهم فيه شِرعةً ومِنهاجا، فعَمد بعضهم إلى شرح ما في حديث رسول الله ﷺ من الغريب جُمْلةً، ثم قفّى بشرح غريب أحاديث الصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم أجمعين. ومن ذلك كتب أبي عبيد القاسم بن سلاّم المتوفى سنة (٢٢٤) وأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦) وأبي سليمان حَمْد بن محمد الخَطّابي البُسْتي المتوفى سنة (٣٨٨). وهذه الكتب الثلاثة عمدة هذا الفنّ، وقد دارت دوراناً عظيماً في كتب المتأخرين.

وفريقٌ ثانٍ انتزع الأحاديث المشتملة على الغريب، ونَسَقَها على حروف المعجم ثم شرحها وَفْقَ الحروف الهجائية، وهذه الطريقة أقرب تناولاً وأيسر سبيلا، ثم هي أجدى نفعاً في الدراسات اللغوية، حيث تفيد في تتبّع اللفظ ومعرفة دورانه وتطوره الدّلالي. ومن هذه الكتب: الغريبين لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي المتوفى سنة (٤٠١)، والفائق لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري[١] المتوفى سنة (٥٣٨)، والنهاية لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد، ابن الأثير المتوفى سنة (٦٠٦)، وقد رُزق هذا الكتاب الحظوة والقبول، لسهولة مأخذه وقرب تناوله، وقد اقتضته هذه السهولة أن يذكر بعض كلمات الحديث على ظاهر لفظها، دون أن يجرِّدَها من الزوائد.

وطائفة ثالثة جرَّدت أحاديث بعينها، وأفردتها بالشرح[٢]. من ذلك صنيع أبي بكر محمد بن القاسم بن

(١) في طريقة الزمخشري بعض العُسْر، وفي العثور على الحديث منه كُلْفة ومشقة، فإنه وإن رتّب الأحاديث على حروف المعجم، إلا أنه يشرح ما فيه من الغريب جملة واحدة، فتأتي الكلمة في غير حرفها، وإذا تطلبها الإنسان تعب حتى يجدها، كما ذكر ابن الأثير في مقدمة النهاية، وقد أحسن محققا الكتاب حين صنعا له فهارس لألفاظ اللغة على حروف الهجاء، وإن فاتتهما بعض الكلمات، والعصمة لله وحده.

(٢) انظر كشف الظنون ص ١٠٣٦ - ١٠٣٩

الأنباري المتوفى سنة (٣٢٨) حين شرح حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، في صفة أبيها أبي بكر الصديق، رضي الله عنه[١].

ومنه أيضاً كتاب «بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زَرْع من الفوائد»[٢] للقاضي عِياض بن موسى اليَحْصُبيّ السَّبتيّ المتوفى سنة (٥٤٤).

ويمثل كتاب «منال الطالب في شرح طِوال الغرائب» الذي نُقدِّم له، منهجاً رابعاً من مناهج التصنيف في غريب الحديث، وهو جَمْع وشرح الأحاديث الطويلة المأثورة عن رسول الله ﷺ، والصحابة التابعين، رضوان الله عليهم أجمعين. وهذا الكتاب لا أعلم له سَمِيّاً في كتب المتقدمين والمتأخرين، والكلام على ذلك آتٍ إن شاء الله، بعد أن أحدثك عن معنى الغريب، وترجمة المؤلف رحمه الله.

معنى الغريب:

أورد الإمام أبو سليمان الخَطَّابي، في مقدمة كتابه «غريب الحديث» كلاماً نفيساً في معنى الغريب والغرابة في الكلام، وقد آثرت أن أسوقه كلّه، ثم أخلىَ بينك وبينه، فإني رأيت كثيراً من كلام الأوائل، رحمهم الله، يفقد حلاوته ودلالته معاً حين نعمِد إلى تلخيصه أو اختصاره.

قال أبو سليمان رحمه الله[٣]: «الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم، كالغريب من الناس إنما هو البعيد عن الوطن، المنقطع عن الأهل، ومنه قولك للرجل إذا نحَّيته وأقصيته: اغرُب عني، أي ابعُدْ، ومن هذا قولهم: نوىً غَرْبَةٌ، أي بعيدة، وشأْوٌ مُغرِّبٌ، وعَنْقاءُ مُغْرِبٌ، أي جائية مِن بُعْد، وكلّ هذا مأخوذٌ بعضه مِن بعض، وإنما يختلف في المصادر، فيقال: غَرَب الرجلُ يَغْرُب غَرْباً: إذا تنحَّى وذهب، وغَرُب غُرْبةً: إذا انقطع عن أهله، وغَرُبت الكلمةُ غَرابة، وغرَبت الشمسُ غُروباً.

ثم إن الغريب من الكلام يقال به على وجهين:

أحدهما أن يُرادَ به بعيدُ المعنى غامضُه، لا يتناوله الفهمُ إلا عن بُعْدٍ ومعاناةِ فِكر.

والوجه الآخر: أن يراد به كلامُ من بَعُدت به الدارُ، ونأى به المَحَلُّ مِن شَواذِّ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمةُ من لغاتهم استغربْناها، وإنما هي كلامُ القوم وبيانُهم، وعلى هذا ما جاء عن بعضهم، وقال له قائل:

---

(١) نشر هذا الشرح بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، بالمجلد السابع والثلاثين. وأبو بكر بن الأنباري من شرّاح غريب الحديث. وقيل: إن مصنَّفه في غريب الحديث خمسة وأربعون ألف ورقة [راجع مقدمتي لتحقيق النهاية ص ٥]، وقد أثنى عليه أبو سليمان الخطابي في مقدمته الجامعة لكتابه غريب الحديث. قال رحمه الله: «ولابن الأنباري من وراء هذا مذهب حسن في تخريج الحديث وتفسيره، وقد تكلم على أحاديثَ معدودة وقع إليَّ بعضُها، وعامَّتها مفسَّرة قبلُ، إلا أنه قد زاد عليها وأفاد، وله استدراكات على ابن قتيبة في مواضع من الحديث».

(٢) نشر بالرباط ـ المغرب الأقصى ـ سنة ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥، بتحقيق الأساتذة صلاح الدين ابن أحمد الإدلبي، ومحمد الحسن أجانف، ومحمد عبد السلام الشرقاوي، ونشر معه تفسير الحافظ السيوطي للحديث نفسه.

(٣) غريب الحديث، ورقة ١٣ ـ مخطوطة المكتبة السليمانية باستانبول.

أسألك عن حرفٍ مِن الغريب، فقال: هو كلام القوم، إنما الغريبُ أنت وأمثالك من الدُّخَلاء فيه».

ثم يُعلِّل الخطَّابي كثرةَمجيءالغريب في حديث رسول الله ﷺ، فيقول[1]: «إنه ﷺ بُعث مُبلّغاً ومُعلّماً، فهو لا يزال في كلّ مقام يقومه وموطنٍ يشهده يأمر بمعروفٍ، وينْهى عن منكر، ويَشْرَع في حادثة، ويُفتي في نازلة، والأسماع إليه مُصْغية، والقلوب لِما يرد عليها من قوله واعية، وقد تختلف عنها عباراتُه، ويتكرّر فيها بيانُه، ليكون أوقعَ للسّامعين، وأقرب إلى فهم مَن كان منهم أقلَّ فقهاً، وأقربَ بالإسلام عهدا. وأولوا الحِفظ والإتقان مِن فقهاء الصحابة يُرْعُونها كلَّها سَمْعا، ويستوفونها حِفظا، ويؤدُّونها على اختلاف جهاتها، فيجتمع لذلك في القضية الواحدة عِدَّةُ ألفاظ تحتها معنىً واحد، وذلك كقوله: «الولَدُ للفِراش وللعاهِر الحَجَرُ». وفي رواية أخرى: «وللعاهر الإِثْلِب»، وقد مَرَّ بمسامعي ولم يثبت عندي: «وللعاهر الكِثْكِث».

وقد يتكلّم ﷺ في بعض النَّوازل، وبحضرته أخلاطٌ من الناس، قبائلهم شَتَّى، ولغاتهم مختلفة، ومراتبهم في الحفظ والإتقان غير متساوية، وليس كلُّهم يتيسَّر لضَبط اللفظ وحصره، أو يتعمَّد لحفظه ووعيه، وإنما يستدرك المرادَ بالفحوى، ويتعلّق منه بالمعنى، ثم يؤدِّيه بلغته، ويعبّر عنه بلسان قبيلته، فيجتمع في الحديث الواحد إذا انشعبت طُرقُه عِدَّةُ ألفاظ مختلفة، مُوجبها شيءُ واحد، وهذا كما يروى أن رجلاً كان يُهدي إلى رسول الله كلَّ عام راوية خمر، فأهداها عامَ حُرِّمت، فقال: إنها حُرِّمت، فاستأذنه في بيعها، فقال له: إن الذي حرَّم شُرْبَها حرَّم بيعها، قال: فما أصنع بها؟ قال: سُنَّها في البطحاء، قال: فسَنَّها، وجاء في رواية أخرى: فهَتَّها، وفي رواية أخرى: فبعَّها، والمعنى واحد.

ولكثرة ما يردُ من هذا ومِن نظائره، يقول أبو عبيدة مَعْمر بن المُثَنَّى: «أعيانا أن نعرفَ أو نُحْصيَ غريب حديث رسول الله ﷺ».

هذا كلام الخطّابي، وقد أورد ابن الأثير أيضاً كلاماً جيداً في نشأة الغريب ومراحل التصنيف فيه، تراه في مقدمة النهاية[2].

بدايات التأليف في غريب الحديث:

العلماء مجمعون على أن أوّلَ من ارتاد الطريق وصنَّف في غريب الحديث هو أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى التَّيمي بالولاء المتوفى سنة[3] (٢٠٩)، إلّا ما ذهب إليه الإمام أبو عبد الله الحاكم النَّيسابوري المتوفى سنة (٤٠٥) فإنه ذكر أن أوّلَ من صنَّف في الغريب النضر بن شُميل المتوفي سنة (٢٠٣)، قال الحاكم رحمه الله في النوع

---

(١) غريب الحديث، ورقة ١٢

(٢) ثم تكلمت أنا أيضاً في مقدمة تحقيقي للنهاية عن علماء الغريب، وسردت أسماءهم سرداً تاريخياً.

(٣) نلاحظ أن نقول المتأخرين عن كتاب أبي عبيدة هذا قليلة جداً، فلم أظفر بنقل عنه إلا في موضعين اثنين من «النهاية» لابن الأثير، مادة (شقشق) ومادة (ملأ)، وفي الموضع الأول اختلفت نسخ النهاية، فبعضها قال: «أبو عبيدة» وبعضها: «أبو عبيد». وفي موضعين اثنين أيضاً من كتاب تهذيب الأسماء واللغات للنووي- قسم اللغات مادة (ضمن) ومادة (لقح)، صحيح أن النقل عن أبي عبيدة كثير في كتب اللغة، لكن النص على النقل من كتابه في غريب الحديث قليل.

الثاني والعشرين من علوم الحديث[١]: «هذا النوع منه معرفة الألفاظ الغريبة في المتون، وهذا عِلم قد تكلم فيه جماعة من أتباع التابعين، منهم مالك والثوري وشعبة، فمن بعدهم، فأول من صنَّف الغريب في الإسلام النضر بن شُمَيل، له فيه كتاب هو عندنا بلا سماع».

ومهما يكن من أمر فإن النضر بن شميل معاصر لأبي عبيدة معمر بن المثنى كما ترى، وفي ذلك الزمان صنف في غريب الحديث أيضاً محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة (٢٠٦)، والأصمعي، عبد الملك بن قُرَيْب المتوفى سنة (٢١٦)، صنَّف كتاباً يقع في ورقات معدودة، وكذلك صنَّف شمر بن حمدوية المتوفى سنة (٢٥٥)، وغير هؤلاء من علماء ذلك القرن، ولكن هذه الكتب على كثرة عددها إذا حُصِّلت كان مآلها كالكتاب الواحد، كما يقول الخطابي[٢].

البداية الحقيقية للتصنيف في غريب الحديث جاءت على يد الإمام الجليل أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى بمكة البلد الأمين سنة (٢٢٤)، وقد احتشد أبو عبيد لهذا العمل احتشاداً عظيماً، وروي عنه أنه قال[٣]: «مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب، فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة».

وقد نشر هذا الكتاب الجليل بمطبعة دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، بالهند، سنة ١٣٨٤-١٩٦٤ في أربعة أجزاء.

ولعلماء الهند فضل مذكور مشكور في نشر كتب التراث عامة، وكتب الحديث خاصة، ويُحسَب ذلك في موازينهم عند الله تعالى يومَ تجد كلّ نفسٍ ما عمِلَتْ مِن خيرٍ مُحْضَرا، لكنهم قصَّروا في نشر هذا الكتاب، وأخَلُّوا بأمرين: الأمر الأول أنهم جرَّدوا متن الكتاب من الإسناد، حين اختاروا للنشر نسخة غير مسندة، ووضعوا الإسناد من نسخة في الهامش، مع أن نقول المتأخرين عن كتاب أبى عبيد، يأتي معظمها مسنداً، كما تراه في كتابنا هذا «منال الطالب».

والأمر الثاني أنهم لم يصنعوا للكتاب أيَّ نوع من الفهارس، وكتب التراث بلا فهارس كنزٌ بلا مِفتاح، وهذا الكتاب قد اشتمل على علم غزير، وذكر آراءً فقهية كثيرة لهؤلاء العلماء الذين لم تجمع آراؤهم، مثل الإمام إبراهيم بن يزيد النَّخَعيّ[٤] ومَن إليه، هذا إلى ما تضمنه من الشواهد الشعرية التي لا ترى بعضها في دواوين الشعراء المجموعة، وما ذكره في تفسير الألفاظ واشتقاقها. وقد كنت صنعت له فهرساً للألفاظ والموادّ اللغوية، طبعته على

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ٨٨

(٢) غريب الحديث، ورقة ٤

(٣) وفيات الأعيان ٦١/٤، وغريب الحديث للخطابي، ورقة ١٣

(٤) بعد كتابة هذه المقدمة اطلعت على «موسوعة فقه إبراهيم النخعي» التي جمعها ورتب موادها على حروف المعجم، الدكتور محمد رواس قلعه جي. وقد قام على نشر هذه الموسوعة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي التابع لكلية الشريعة بمكة المكرمة.

الآلة الكاتبة، ووزعته على أساتذتي وإخواني المشتغلين بالعلم، وأرجو أن يوفقني الله إلى صنع فهارسَ جامعةٍ لهذا الكتاب العظيم، ليعمّ النفع به.

تتابعت المصنفات في غريب الحديث بعد أبى عبيد القاسم بن سلام، وتنوعت مناهجها كما ذكرت من قبل، ولم يخل قرنٌ من تصنيف، حتى كان زمان الإمام مجد الدين ابن الأثير، الذي صار كتابه بحق: «النهاية» في هذا الفنّ العزيز الشريف، وقد أحصيت هذه المصنَّفات عَدداً، في مقدّمتي لتحقيق «النهاية» بما يُغنى عن إعادتها هنا، فمن أراد معرفتها فليلتمسها هناك[1]

ترجمة ابن الأثير

هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَّيباني الجَزَري ثم الموصلي الشافعي. ويُعرف بابن الأثير ويُعْرف بذلك أيضاً:

أخواه: عز الدين أبو الحسن عليّ، المولود سنة (٥٥٥) والمتوفى سنة (٦٣٠) وهو صاحب كتاب «الكامل» في التاريخ، و «أُسْد الغابة في معرفة الصحابة» و «اللباب في تهذيب الأنساب» للسمعاني.

وضياء الدين أبو الفتح نصر الله، المولود سنة (٥٥٨) والمتوفى سنة (٦٣٧) وهو صاحب كتاب «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر». و «كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب» [2].

ونقل صاحب تاج العروس، في مادة (أثر) عن بعضهم، في أبناء الأثير:

وبنو الأثير ثلاثة ... قد حاز كلٌّ مُفْتَخَرْ
فمؤرخٌ جمع العلو ... مَ وآخَرٌ ولِيَ الوَزَرْ
ومحدِّثٌ كتب الحديـ ... ـثَ له النهاية في الأثَرْ

---

(١) انظر أيضاً: الفهرست لابن النديم ص ٨٧، ومعجم الأدباء ١٥٥/١٩، وتاريخ بغداد للخطيب ٤٠٥/١٢، وإنباه الرواة ١٤/٣ (ترجمة أبي عبيد القاسم بن سلام) وفهرس الكتب من كتاب «فهرسة ما رواه عن شيوخه أبو بكر بن خير الإشبيلي» وكشف الظنون ص ١٢٠٣، والمعجم العربي للدكتور حسين نصار ص ٥٠، وما بعدها. وانظر أيضاً ما ذكره المصنف في مقدمة النهاية، وما ذكره في كتابه جامع الأصول ٦/١٦

(٢) اكتشفتُ من هذا الكتاب مخطوطة نفيسة جداً بمكتبة الشيخ محمد سرور الصبان الخاصة، بمكة المكرمة، وصوَّرتها لمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، وذلك في سنة ١٣٩٣

وُلد مجد الدين[1] في أحد الربيعين، سنة (٥٤٤) بجزيرة ابن عمر، وهي بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام. وقد ذكر ابن تَغْرِي بَرْدِي في النجوم الزاهرة أنه ولد سنة (٥٤٠)، وقد تفرّد بهذا القول، وليس بشيء.

نشأ ابن الأثير بجزيرة ابن عمر، ثم انتقل إلى الموصل سنة (٥٦٥)، فجالس علماءها وأخذ عنهم، وقد حُبِّب إليه العلمُ ومجالسةُ العلماء، قال رحمه الله في مقدمة كتابه «جامع الأصول من أحاديث الرسول» ﷺ: «ما زلت منذ ريعان الشباب وحداثة السّنّ، مشغوفاً بطلب العلم ومجالسة أهله، والتشبه بهم حسَب الإمكان، وذلك من فضل الله عليَّ ولطفه بي، أن حبَّبه إليّ، فبذلت الوُسْع في تحصيل ما وُفّقت له من أنواعه، حتى صارت فيَّ قوّةُ الاطلاع على خفاياه، وإدراك خباياه، ولم آلُ جهداً ـ والله الموفّق ـ في إكمال الطلب وابتغاء الأرَب، إلى أن تشبثت من كلٍّ بطَرَف، تشبهت فيه بأضرابي، ولا أقول تميزت به على أترابي، فلله الحمدُ على ما أنعم به من فضله، وأجزل به من طوله».

وقد تَلْمَذ ابنُ الأثير لطائفة من علماء عصره، فسمع الحديث بالموصل من جماعة، منهم خطيب الموصل، أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي المتوفى سنة (٥٧٨)[2].

وقدم بغدادَ حاجّاً فسمع بها من أبي القاسم يعيش بن صدقة بن علي الشافعي المعروف بصاحب ابن الخَلّ، المتوفى سنة (٥٩٣)[3]

وسمع بها أيضاً من ابن كُلَيب، وهو أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهّاب بن سعد الحَرّاني ثم البغدادي الحنبلي التاجر المتوفى سنة (٥٩٦)[4].

وببغداد سمع كذلك من مسند العراق ومحدّثه ضياء الدين عبد الوهّاب بن علي الصوفي الفقيه الشافعي المعروف بابن سُكَينة ـ وسكينة جدّته أم أبيه ـ المتوفى سنة (٦٠٧)[5].

وقرأ الأدب والنحو على ناصح الدين أبي محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهّان البغدادي النحوي

---

(١) ترجمته في إنباه الرواة ٢٥٧/٣ ـ ٢٦٠، البداية والنهاية ٥٤/١٣، بغية الوعاة ٢٧٤/٢، ٢٧٥، ذيل الروضتين ص ٦٨، روضات الجنات ص ٥٨٥ ـ ٥٨٧، شذرات الذهب ٢٢/٥، ٢٣، طبقات الشافعية للإسنوي ١٣٠/١ ـ ١٣٢، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٣٦٦/٨، ٣٦٧، العبر ١٩/٥، الكامل ٢٨٨/١٢ (وفيات سنة ٦٠٦) المختصر لأبي الفدا ١١٢/٣، ١١٣ مرآة الجنان ١١/٤ ـ ١٤، معجم الأدباء ٧١/١٧ ـ ٧٧، مفتاح السعادة ١٢٨/١، ١٢٩، النجوم الزاهرة ١٩٨/٦، ١٩٩، وفيات الأعيان ١٤١/٤ ـ ١٤٣، وهدية العارفين ٢/٢، ٣، والأعلام ١٥٢/٦، ومعجم المؤلفين ١٧٤/٨.

وقد ترجم له أيضاً ابن الشّعّار الموصلي في كتابه «عقود الجمان في شعراء هذا الزمان» الجزء السادس من مخطوطة أسعد افندي باستانبول. ومن هذه المخطوطة صورة بمعهد المخطوطات، برقم (٣٣٩) تاريخ.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ١١٩/٧، وتذكرة الحفاظ ١٣٤١/٤

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٣٣٨/٧، وقد كنت قلت في تقدمتي للنهاية ص ١٥ إنني لم أعرف ترجمة لأبي القاسم هذا، وهذه ترجمته قد دللتك على مكانها.

(٤) وفيات الأعيان ٢٢٧/٣، وشذرات الذهب ٣٢٧/٤

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ٣٢٤/٨

المتوفى سنة (٥٦٩)[١]، وقد شرح ابن الأثير كتابه «الفصول» كما سيمرّ عليك قريباً إن شاء الله.

وقرأ النحو أيضاً على أبي الحرم مكيّ بن ريّان بن شَبّة بن صالح الماكسيني النحوي الضرير، نزيل الموصل، المتوفى سنة (٦٠٣)[٢].

وأخذ النحو وسمع الحديث من أبي بكر يحيى بن سعدون بن تمّام بن محمد الأزدي القرطبي النحوي اللغوي المقرىء الأديب المتوفى بالموصل سنة (٥٦٧)[٣]

وقد روى عن ابن الأثير رحمه الله جماعةٌ، منهم ولده[٤]، والشِّهاب الطُّوسي، وهو أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد، نزيل مصر، وشيخ الشافعية بها، المتوفى سنة (٥٩٦)[٥]

وروى عنه أيضاً الوزير القِفطي صاحب «إنباه الرواه»، قال في موضع ترجمته المذكور: «ورويت عنه رحمه الله»، ثم قال: «كتب إليَّ الإجازة بجميع مصنَّفاته ومسموعاته ومرويّاته».

وآخِر من روى عنه بالإجازة: فخر الدين بن البُخاري، وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المتوفى سنة (٦٩٠)[٦].

وقد أثنى المؤرخون على مجد الدين بن الأثير ثناء حسناً، فقال أخوه عز الدين: «كان عالماً في عدّة علوم، مبّرزاً فيها، منها الفقه والأصولان[٧] والنحو والحديث واللغة، وله تصانيفُ مشهورة في التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث، وله رسائل مدوّنة.

وكان كاتباً مفلقاً، يُضرب به المثل، ذا دين متين، ولزوم طريقٍ مستقيم، رحمه الله ورضي عنه، فلقد كان من محاسن الزمان. ولعلّ مَن يقف على ما ذكرته يتّهمني في قولي، ومن عرفه من أهل عصرنا يعلم أني مقصِّر».

وقال ياقوت: «كان عالماً فاضلاً، وسيداً كاملاً، قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث وشيوخه، وصحته وسقمه، والفقه، وكان شافعياً».

وقال ابن خلّكان، فيما حكى عنه الإسنوي[٨]: «كان فقيهاً محدِّثاً، أديباً نحوياً، عالماً بصنعة الحساب والإنشاء، ورِعاً عاقلاً مَهيباً، ذا برٍّ وإحسان».

---

(١) إنباه الرواة ٤٧/٢، وبغية الوعاة ٥٨٧/١

(٢) إنباه الرواة ٣٢٠/٣، وبغية الوعاة ٢٩٩/٢

(٣) طبقات القراء لابن الجزري ٣٧٢/٢، وبغية الوعاة ٣٢٤/٢

(٤) هكذا قال ابن السبكي، ولم يذكر اسمه.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ٣٩٦/٦، وشذرات الذهب ٣٢٧/٤

(٦) طبقات الشافعية الكبرى ٣٤٤/٨

(٧) أي أصول الدين وأصول الفقه.

(٨) الموضع السابق من طبقات الشافعية، ولم أجد كلام ابن خلكان هذا في كتابه «وفيات الأعيان» المطبوع.

وقال ابن السبكي: «كان فاضلاً رئيساً، مشاراً إليه».

ولهذه الفضائل التي اجتمعت لابن الأثير اتّجه إليه الحكّام، ورَتّبوا له الوظائف ليفيدوا من عِلمه وفضله.

قال ياقوت: «حدثني أخوه أبو الحسن، قال: تولى أخي أبو السعادات الخِزانةَ لسيف الدين الغازي بن مودود بن زنكي، ثم ولّاه ديوان الجزيرة وأعمالها، ثم عاد إلى الموصل، فناب في الديوان عن الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد بن منصور الأصبهاني، ثم تصل بمجاهد الدين قايماز [وكان نائبَ المملكة][1] بالموصل، فنال عنده درجة رفيعة، فلما قُبض على مجاهد الدين سنة (٥٨٩) اتصل بخدمة الأتابك عز الدين مسعود بن مودود [وولي ديوان الإنشاء له][2] إلى أن توفى عزّ الدين، فاتصل بخدمة ولده نور الدين أرسلان شاه، فصار واحدَ دولته حقيقة، بحيث إن السلطان كان يقصد منزله في مهامّ نفسه؛ لأنه أقعد في آخر زمانه، فكانت الحركة تصعب عليه، فكان يجيئه بنفسه، أو يرسل إليه بدر الدين لؤلؤ الذي هو اليوم أمير الموصل».

وكان مجد الدين رحمه الله ذا دين متين، كما وصفه أخوه عز الدين، فلم تبهره أضواء الحكم، ولم تثنه عما أخذ به نفسه من الدرس والتحصيل، وقد أراد نور الدين المذكور أن يستخلصه لنفسه، فعرض عليه الوزارة غير مرة فرفضها، وهي منصب خطير تعشو إليه الأنظار وتعنو له الجباه.

قال ياقوت: «حدثني أخوه المذكور، قال: حدثني أخي أبو السعادات، قال: لقد ألزمني نور الدين بالوزارة غير مرة وأنا أستعفيه، حتى غضب مني وأمر بالتوكيل بي. قال: فجعلت أبكي، فبلغه ذلك، فجاءني وأنا على تلك الحال، فقال لي: أبَلَغ الأمرُ إلى هذا؟ ما علمت أن رجلاً ممّن خلق اللهُ يكره ما كرهت! فقلت: أنا يا مولانا رجلٌ كبير، وقد خدمت العلم عمري، واشتهر ذلك عني في البلاد بأسرها، وأعلمُ أنني لو اجتهدت في إقامة العدل بغاية جهدي ما قدرت أؤدي حقَّه، ولو ظُلم أكّار[3] في ضيعة من أقصى أعمال السُّلطان لَنُسب ظُلمه إليَّ، ورجعتَ أنت وغيرُك باللائمة عليّ، والمُلْك لا يستقيم إلا بالتَّسمُّح في العَسْف، وأخْذ هذا الحق بالشدّة، وأنا لا أقدر على ذلك. فأعفاه، وجاءنا إلى دارنا فخبَّرنا بالحال، فأما والده وأخوه فلاماه على الامتناع، فلم يؤثر اللومُ عنده أسفا».

وهكذا سارت حياة أبي السعادات بين عُزوف عن الدنيا، وإقبال على العلم، ورغبة في المعرفة، واستكثار من الخير والبرّ، حتى عرض له مرض النِّقْرس، فأبطل حركةَ يديه ورجليه، بحيث صار يُحْمَل في مَحَفَّة، ولقد قابل رحمه الله هذه المحنة بقلب راضٍ ونفْسٍ مطمئنة، ورأى فيها الفرصة للبعد عن ضوضاء الناس ولهوهم، والفراغ إلى الدرس والتصنيف.

قال ابن خلكان[4]: «حكى أخوه عز الدين أبو الحسن عليٌّ، أنه لما أُقعد جاءهم رجل مغربي، والتزم أنه

---

(١) زيادة من وفيات الأعيان.

(٢) زيادة من طبقات الشافعية.

(٣) الأكار: الحراث الذي يحرث الأرض.

(٤) الموضع السابق من وفيات الأعيان. وقد حكى هذه القصة بهاء الدين العاملي في الكشكول ٣٣/١

يداويه ويبرئه مما هو فيه، وأنه لا يأخذ أجراً إلاّ بعد بُرْئه، فملنا إلى قوله، وأخذ في معالجته بدُهْنٍ صنعه، فظهرت ثمرة صنعته، ولانت رجلاه، وصار يتمكن من مدّهما، وأشرف على كمال البُرْء. فقال لي: أعط هذا المغربيَّ شيئاً يرضيه واصرفه، فقلت له: لماذا وقد ظهر نُجْحُ معاناته؟ فقال: الأمر كما تقول، ولكني في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام بأخطارهم، وقد سكنت رُوحي إلى الانقطاع والدَّعَة، وقد كنت بالأمس وأنا مُعافىً أُذِلّ نفسي بالسَّعي إليهم، وها أنا اليوم قاعدٌ في منزلي، فإذا طرأت لهم أمورٌ ضرورية جاءوني بأنفسهم لأخذِ رأيي، وبين هذا و ذاك كثير، ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض، فما أرى زواله ولا معالجته، ولم يبق من العمر إلا القليل، فدعني أعيش باقيه حرّاً سليماً من الذلّ، وقد أخذت منه أوفرَ حظ.

قال عز الدين: فقبلت قوله وصرفت الرجل بإحسان».

وهكذا لزم الرجل بيته صابراً محتسباً، يغشاه الأكابر، ويحفِد إليه العلماء، يقبسون من علمه، وينهلون من فيضه، وكان آجره الله قد أنشأ رِباطاً بقرية من قرى الموصل، تسمى «قصر حرب» ووقف أملاكه عليه وعلى داره التي كان يسكنها بالموصل، ووقف داره على الصوفية.

قال ابن خلكان: «وبلغني أنه صنف هذه الكتب كلَّها في مدّة العطلة، فإنه تفرغ لها، وكان عنده جماعة يعينونه عليها في الاختيار والكتابة».

وفي يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة (٦٠٦) فاضت روحه الطاهرة، وصعدت إلى بارئها راضية مرضية، ودفن برباطه بدرب درّاج داخل البلد. رحمه الله رحمة سابغة، وجزاه بما يجزى به عباده المخلصين.

قال القِفْطي[١]: «ذكر لي أخوه أبو الحسن عليٌّ أنه رآه بعد موته أن نجاسة قد آذته. قال: فاستقصيت وبحثت عن صحة هذه الرؤيا، فوجدت أحد الأهالي قد اطلق غنماً له فوق سطح الصُّفَّة التي هو فيها مدفون، وقد كثر ما يخرج من أجوافها فوق ذلك الموضع، فأزلته ونظفته مما حصل فيه».

مصنفاته:

ترك مجد الدين ابن الأثير طائفة من المؤلَّفات القيّمة، تشهد بثقافته الواسعة، وعلمه الغزير. وهذا تعريف بمصنفاته، مخطوطها ومطبوعها، وما لم يذكر عنه شيء فهو مما ذكرته مصادر ترجمته فقط:

١ـ الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف[٢]

قال ياقوت: أربع مجلدات.

(١) انظر شبيه هذا في ترجمة عبد الملك الطبري، نزيل مكة المكرمة، من طبقات الشافعية الكبرى ١٩١/٧

(٢) الكشف والبيان في تفسير القرآن، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة (٤٢٧)، ومخطوطات هذا الكتاب كثيرة، منها نسخة نفيسة جداً، كتبت في أوائل القرن السابع بمدينة الفيوم من ديار مصر ـ حرسها الله ـ وهذه النسخة محفوظة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، وقد رأيت هذه النسخة سنة ١٣٩٣، وصورتها لمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية.

والكشاف لجار الله الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨)

٢ـ الباهر في الفروق

في النحو. ذكره ياقوت والسيوطي، وهو عند ابن السبكي باسم: الفروق والأبنية.

٣ـ البديع

في النحو. ذكره ياقوت والِقِفْطي والسيوطي. وذكره ابن خلكان وابن السبكي وابن تَغْري بَرْدِي باسم: «البديع في شرح الفصول لابن الدهان».

قال ياقوت: «نحو الأربعين كراسة، وقال: وقفني عليه [أخوه عز الدين ابن الأثير فوجدته بديعاً كاسمه، سلك فيه مسلكاً غريباً، وبوَّبه تبويباً عجيباً».

وقد أخبرني أخي الشيخ عبد الرحمن العثيمين، المعيد بكلية الشريعة بمكة المكرمة أنه رأى من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة راغب باشا، بمدينة استانبول. صانها الله من الآفات.

٤ـ تجريد أسماء الصحابة

ذكره الأستاذ الزركلي. رحمه الله رحمة واسعة. والكتاب بهذا العنوان معروف للحافظ الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨) وهو مطبوع بالهند.

٥ـ تهذيب فصول ابن الدهان

ذكره ياقوت والسيوطي، وهو في النحو أيضاً.

٦ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول

قال ياقوت: «جمع فيه بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داود وسنن النَّسائي والترمذي، عمله على حروف المعجم، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها، ووصف رجالها، ونبَّه على جميع ما يحتاج إليه منها.... ثم قال: أقطع قطعاً أنه لم يصنَّف مثله قطّ ولا يصنَّف».

وقد طبع في القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٣٦٨ـ ١٩٤٩، في اثني عشر جزءاً، بعناية الشيخين عبد المجيد سليم وحامد الفقي، وهي طبعة ناقصة، ثم أعيد نشره كاملاً بتحقيق الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط، بدمشق سنة ١٣٩٤ـ ١٩٧٤، في أحد عشر جزءاً، وهي طبعة جيدة، لولا أنها أخلّت بالفهارس، وقد وعد الأستاذ المحقق

بصنعها، ولعل الله ييسّر له ذلك، وبخاصة فهرس ألفاظ غريب الحديث[١].

٧- الجواهر واللآل من إنشاء المولى الجلال

ذكرها ابن الشَّعّار الموصلي في عقود الجمان، وإسماعيل البغدادي في هدية العارفين، قال ابن الشعار: وجمع رسائل الوزير جلال الدين أبي الحسن، كتاباً، وسماه: الجواهر واللآل من إنشاء المولى الجلال.

٨- ديوان رسائل

قال ابن الشّعّار، وهو يعدّد تصانيف ابن الأثير: ورسائل مدونة في مجلدتين، عنى بجمعها أبو محمد إسماعيل بن علي الكاتب الخُضَيْري[٢]، وترجمها بالدر المنثور.

٩- رسائل في الحساب مجدولات

ذكرها ياقوت.

١٠- الشافي، شرح مسند الشافعي

ويسمى: شافي العيّ بشرح مسند الشافعيّ

قال ياقوت: «أبدع في تصنيفه، فذكر أحكامه ولغته ونحوه ومعانيه، نحو مائة كراسة».

منه نسخة بدار الكتب المصرية، برقم (٣٠٦ حديث) في أربع مجلدات، ونسخة أخرى في مجلد واحد، برقم (١١٨٤-٢٢ ب)

شرح غريب الطِّوال

ذكره ابن السبكي. وهو كتاب «منال الطالب» الذي نُقدّم له

١١- صناعة الكتاب

هكذا سماه إسماعيل باشا البغدادي، وهو عند ابن خلكان وابن تغري بردي باسم: «كتاب لطيف في صنعة الكتابة». وهذا وصف لا عنوان.

---

(١) وقفت على عدة أجزاء مخطوطة نفيسة من هذا الكتاب، محفوظة بمكتبة الجامع الكبير بمدينة صنعاء، وقد صورتها سنة ١٣٩٤، وهي مودعة الآن بمعهد المخطوطات بالقاهرة. ولعل الأستاذ الأرناؤوط يستفيد من هذه الأجزاء في طبعته الثانية إن شاء الله.

(٢) كان فاضلاً أديباً، توفي ببغداد سنة ٦٠٣. راجع الأعلام ٣١٦/١

هكذا سماه ابن السبكي. وهو «الباهر في الفروق». وسبق.

١٢ـ المختار في مناقب الأخيار ـ أو الأبرار

ذكره ياقوت، وقال: «أربع مجلدات» منه نسخة بليدن، برقم (١٠٩٠)، كما يوجد النصف الثاني منه بمكتبة فيض الله باستانبول، برقم (١٥١٦)(١)، ومنه صورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة.

١٣ـ المرصَّع في الآباء والأمهات، والأبناء والبنات والأذواء والذوات

ذكره ياقوت وابن السبكي والسيوطي. قال ياقوت: «مجلد». وقال السيوطي: وقفت عليه، ولخّصت منه الكُنَى في كراسة».

طبع هذا الكتاب أول ما طبع في «ويمار» سنة ١٨٩٦ م، بعناية «سيبولد» الألماني، في ٢٦٧ ص من القطع الصغير(٢). ثم أعاد نشره وتحقيقه الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي، في بغداد سنة ١٣٩١ـ ١٩٧١.

١٤ـ المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار

ذكره ابن خلكان وابن تَغْري بَرْدِي وابن السبكي وابن العماد الحنبلي.

١٥ـ منال الطالب في شرح طِوال الغرائب

وهو هذا الذي نُقَدِّم له.

١٦ـ النهاية في غريب الحديث والأثر

أشهر كتب ابن الأثير على الإطلاق. وقد طبع عدة طبعات. آخرها الطبعة التي نشرتُها سنة ١٣٨٣ـ١٩٦٣، في خمسة أجزاء بمطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة. وقد سطا على هذه الطبعة مصوّرو الكتب في بيروت،

---

(١) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣٥٧/١، وملحق الجزء الأول ص ٦٠٧

(٢) معجم المطبوعات العربية لإليان سركيس ص ٣٤، ٣٥

وأصدروا منها طبعتين، ففوّتوا بذلك عليّ فرصة استدراك ما فرط مني من هَناتٍ وزَلّات، فلقد كان عملي في هذا الكتاب من أوائل اشتغالي بالعلم. لكني أحمد الله أن وفقني لصنع فهارسَ جامعةٍ لذلك الكتاب العظيم. وفي هذه الفهارس خيرٌ كثير إن شاء الله.

هذا الكتاب

لا أعلم لهذا الكتاب سَمِيّاً في مناهج[1] من صنَّفوا في غريب الحديث، فقد جرَّد ابن الأثير الأحاديث الطويلة المأثورة عن رسول الله ﷺ، والصحابة والتابعين، رضوان الله عليهم أجمعين- جرَّد ابن الأثير هذه الأحاديث من كتب السنّة والسِّيرة، وأفرد لشرحها هذا الكتاب.

وقد قسم ابن الأثير الكتاب إلى قسمين: الأول في أحاديث رسول الله ﷺ، مما له فيه كلامٌ أو ذكرٌ سِيق الحديثُ له، أو بُنِي عليه. ومعظم أحاديث هذا القسم يدور على أحاديث الوفود التي وفدت على رسول الله ﷺ وأحاديث المولد والمبعث، ودلائل النبوة، وخصائصه ﷺ.

والقسم الثاني في آثار جماعة من أصحابه وبعض التابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين.

منهج ابن الأثير في إيراد الأحاديث وشرحها

صدَّر ابن الأثير كتابه بمقدمة كاشفة، أبان فيها عن منهجه وسبيله في اختيار الأحاديث وشرحها، ويبقى أن أذكر أشياء حول هذا المنهج، تكشف عن خصائصه، ثم تُنزل الكتاب منزلته من كتب العربية، فأقول وبالله التوفيق:

جرى ابن الأثير على أن يورد الحديث كاملاً، ثم يذكر في آخره مَن أخرجه من علماء الحديث والغريب، ويعقّب بما قيل في الحديث جرحاً وتعديلاً، وقبولا وردّاً[2].

وكثير من هذه الأحاديث الطِّوال قد تكلم فيها علماء الجرح والتعديل، وضعَّفوا طُرُقَها ووهَّنوا رُواتَها، ولم يغب هذا عن ابن الأثير، وهو المحدّث الكبير، صاحب «جامع الأصول» وشارح «مسند الشافعي». فيقول في آخر حديث قُسّ بن ساعدة الإيادي: «حديث قس بن ساعدة على كثرة رواياته واختلاف طرقه، حديث مشهور متداوَلٌ بين رواة الحديث وأئمته، وقد ذكر بعض الحفّاظ أنه موضوع.

فأما الرواية الأولى فهي معروفة بمحمد بن الحجّاج اللخمي، عن مجالد بن سعيد عن الشَّعبي عن ابن عباس، وقد أخرجها أبو القاسم البغوي، وأبو القاسم الطبراني وغيرُهما.

---

(١) راجع ما سبق في صدر مقدمة التحقيق.

(٢) وما سكت عنه ابن الأثير، أو اختصر فيه القول، حاولت أن أذكر آراء العلماء فيه، على ضعف مُنَّتي وقلّة بضاعتي في هذا الشأن، وسترى ذلك حين تأتي قراءتك على حواشي الكتاب إن شاء الله- انظر مثلاً ما ذكرته في التعليق على حديث قس بن ساعدة.

وأما الرواية الثانية فمعروفة من رواية بشر بن نُمير، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس. قال أبو موسى: وهو غريب من هذا الوجه، وقد روي عن ابن عباس من غير وجه، وروي عن أنس بن مالك وأبي لُبابة، وكأن ألفاظها مصنوعة ملفَّقة، لكن هكذا يُروى، على أنا قد تركنا بعض ألفاظه التي أطالوه بها اختصارا، والله أعلم».

وأبين من هذا في الدلالة على رأي ابن الأثير في الأحاديث الطِّوال ما ذكره في آخر حديث فَدَك، عن السيدة فاطمة الزهراء، رضي الله عنها.

قال رحمه الله: «هذا الحديث أكثر ما يُروى من طريق أهل البيت، وإن كان قد رُوي من طرقٍ أخرى أطولَ من هذا وأكثر، وأهل الحديث يقولون إنه موضوع على فاطمة.

وقال ابن قتيبة: قد كنت كتبته وأنا أرى أنّ له أصلاً، وسألت عنه رجالَ الحديث، فقال لي بعضُ نقلة الأخبار: أنا أسَنُّ من هذا الحديث، وأعرِفُ مَن عَمِله.

قلت: هذا الحديثُ وإن كان موضوعاً كما ذكر، فهو من أفصح الكلام وأحسنِه مأْخَذاً واحتجاجاً، ولعل واضعه لا ينقص درجةً عن الحجاج بن يوسف الثقفي، وكُتُبُ غريب الحديث مشحونةٌ بشرح كلامه وخُطبه، فلا بأس أن يُجرى هذا الحديث مجراها في شرح غريبه ومعانيه، ولعلّ أكثر ما يروى من أحاديث الغريب الطّوال جاريةٌ هذا المجرى في التصنُّع. والله أعلم».

وهذا الكلام صريح الدلالة على أن الغاية التي تَغيَّاها ابن الأثير مِن وضع هذا الكتاب إنما هي غاية لغوية. وهذا شأن كتب غريب الحديث، تدور كلّها في فَلَك اللغة: معانيَ واشتقاقاً ودلالات، إلا ما قد تراه عند الإمام الجليل أبي عبيد القاسم بن سلّام، من آراءٍ فقهية نثرها في كتابه «غريب الحديث».

وقد يزيد هذا الأمرَ وضوحاً ما ذكره في آخر أحاديث علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، فقد أورد له أحد عشر حديثاً، ثم قال في آخرها: «كلام علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- الكثير الغريب، كثير، وقد أوردنا منه هذه الأطراف اليسيرة مناسبة لما أودعناه في هذا الكتاب من الاختصار، ومن أراد الوقوف على كلامه فليطلبه من مظانّه».

فابن الأثير رحمه الله إنما استكثر من حديث علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، لما اشتمل عليه من غريب اللغة، ليس غير.

على أن ابن الأثير قد يشرح بعض الأحاديث، لا لغريب ألفاظها، بل لإشكال معناها، كما صنع في حديث معاوية بن أبي سفيان وحواره مع عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهم، فإنه قال في آخر ذلك الحديث: «أخرجه القتيبي، وإنما ذكرناه مع قلّة غريبه لإشكال معناه».

ومما يتصل بالمعاني ما ذكره في حديث وائل بن حُجْر الحضرمي، من اختلاف أبي حنيفة والشافعيّ، رضي الله عنهما، في مسألة الخِلاط في الزكاة.

ومنه أيضاً توفيقه بين الأحاديث التي قد تبدو متعارضة، كما تراه في حديث صفة النبيّ ﷺ، المرويّ عن هند ابن أبي هالة، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

النحو في الكتاب

عرض ابن الأثير لمسائل كثيرةٍ من علم النحو، توجيهاً وإعرابا، وترى ذلك في أحاديث ذي المشعار مالك ابن نمط الهمداني، والاستسقاء، ولقمان بن عاد، ولقيط بن عامر العُقَيلي، وابن زِمْل الجهني، وقسّ بن ساعدة الإيادي، وأبى بكر الصديق، وحديث عائشة بنت أبى بكر الصديق، المتضمّن حديث أم زَرْع.

وقد رأيته يجري على قواعد البصريين، ومن ذلك توجيهه لقوله تعالى: «وما منّا إلاّ له مقامٌ معلوم» بأنه على حذف الموصوف، وقد أثبتّ في تعليقاتي أن هذا هو رأي البصريين[1].

الشواهد الشعرية في الكتاب

ابن الأثير مقلٌّ من الاستشهاد بالشعر، ترى ذلك في هذا الكتاب، كما تراه في كتابه «النهاية». مع أن أبا عبيد وابن قتيبة والخطّابي- وهم الروّاد الأوائل في علم غريب الحديث- قد استكثروا في كتبهم من شواهد الشعر.

وقد ترك ابن الأثير أبياتاً ذوات عدد دون نسبة، كما اضطرب في نسبة هذا الشاهد:

إذا قصُرت أسيافُنا كان وَصْلُها   خُطانا إلى أعدائنا فنُضارِبِ

فنسبه في الحديث العاشر من أحاديث علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، إلى قيس بن الخطيم، على حين نسبه في حديث الحجاج بن يوسف الثقفي إلى ابن حِطّان، وسأتكلم عليه في موضعه من التحقيق إن شاء الله.

موارد ابن الأثير في الكتاب

أفاد ابن الأثير من جهود العلماء الذين سبقوه إلى التصنيف في غريب الحديث، وصرَّح بالنقل عنهم، وذكر في آخر كلّ حديث مَن أخرجه منهم، ثم ذكر من الكتب:

الصحيحين للبخاري ومسلم، والطبقات الكبرى لابن سعد، والمغازي لمحمد بن إسحاق، والسيرة لعبد الملك بن هشام، والمعجم الكبير للطبراني، ومعجم الحافظ أبي أحمد العسّال[2]، والإكمال لابن ماكولا، والحلية لأبي نعيم الأصبهاني، وما قالت القرابة في الصحابة، والمؤتلف والمختلف، كلاهما للدار قطنى.

وقد رأيت ابن الأثير يدور في فلك أربعة من العلماء: ابن قتيبة والخطابي والزمخشري وأبي موسى المديني

(١) انظر حديث جرير بن عبد الله البجلي، رضي الله عنه.

(٢) نقل عنه من طريق الحافظ أبي موسى المدني الأصبهاني. (انظر حديث أم معبد).

الأصبهاني[1]. وقد أفاد ابن الأثير من كتب هؤلاء العلماء في غريب الحديث إفادة بالغة، وعوَّل عليهم كثيرا.

ونعم يذكر ابن الأثير في آخر حديث طهفة بن أبي زهير النهدي، أنه وجد فيه زيادة لم يجدها في كتب هؤلاء الأربعة، وجدته أنا قد زاد على ما ذكره ابن قتيبة والزمخشري في الرواية والشرح[2]، لكنْ تظل كتب هؤلاء الأعلام العمادَ والأساسَ لكتاب ابن الأثير.

ويُعدّ ما حكاه ابن الأثير عن (غريب الحديث) لابن قتيبة، توثيقاً مهماً له، فقد أورد أربعة أحاديث في الجزء الأول، وذكر أن ابن قتيبة أخرجها في كتابه، وهي أحاديث: طهفة بن أبي زهير النهدي، وقطن بن حارثة، واستسقاء النبيّ ﷺ، وكتاب قريش والأنصار.

ولم أجد هذه الأحاديث في (غريب الحديث) لابن قتيبة الذي حققه ونشره الأخ الأستاذ الدكتور عبد الله الجبوري، ببغداد سنة ١٣٩٧- ١٩٧٧.

ومعروف أنه لا توجد نسخة كاملة من غريب ابن قتيبة هذا، ونشرة الأخ الدكتور الجبوري إنما هي عن أجزاء من نسخ مختلفة.

وهذا الذي حكاه ابن الأثير عن ابن قتيبة يدلّ على أن هناك نقصاً في الكتاب، وبخاصة في الجزء الأول المتضمن أحاديث رسول الله ﷺ[3].

وليس ابن الأثير وحده هو الذي ذكر أن ابن قتيبة قد أخرج حديثي طهفة بن أبي زهير، وقطن بن حارثة، فقد ذكر ذلك أيضاً أبو عبيد الهروي في (الغريبين) والحافظ ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) وقد أشرت إلى ذلك في موضعه من التحقيق.

ابن الأثير والزمخشري

الزمخشري إمامٌ من أئمة العربية، وكتابه (الفائق) من أصول علم غريب الحديث، وقد أثنى عليه ابن الأثير في مقدمة (النهاية)، فقال: «لقد صادف هذا الاسمُ مُسَمَّى وكشف من غريب الحديث كلَّ مُعَمَّى».

وقد أفاد منه ابن الأثير كثيراً في كتابيه (النهاية) و (منال الطالب) مصرّحاً بالأخذ عنه، غير أني رأيته في مواطِنَ كثيرةٍ جدّاً يستاق كلام الزمخشري، دون أن يصرّح بالنقل منه والعَزْو إليه، وهذا فاشٍ مستفيضٌ في (النهاية)، لكن الذي يعنينا هنا أخذه في (المنال).

---

(١) وقد كان كتاب أبي موسى المسمى (المغيث في غريبي القرآن والحديث) أحد كتابين أدار عليهما ابن الأثير كتابه (النهاية) ورمزه هناك (س)، والكتاب الثاني هو كتاب (الغريبين) لأبي عبيد الهروي، ورمزه هناك (هـ) وقد أفاد ابن الأثير من الغريبين أيضاً في (منال الطالب).

(٢) راجع حديث وائل بن حجر، وحديث ابن زمل الجهني.

(٣) لقد أحسن الأخ الدكتور عبد الله الجبوري كلّ الإحسان حين جمع أجزاء هذا الكتاب العظيم من مختلف مكتبات العالم، ثم أقام عليه درساً علمياً للدكتوراه، وحققه تحقيقاً جيداً، ولعل الله ييسر له نسخة كاملة من الكتاب.

لقد أودع ابن الأثير كتابه هذا كثيراً من شروح الزمخشري وتوجيهاته التي سلخها من (الفائق)، ولا سبيل إلى ذكر كلٍّ ما وقعت عليه، فهو إلى الكثرة ما هو، وإنما أكتفي ببعض الأمثلة:

ما تراه في شرح حديث طهفة بن أبي زهير النهدي، وكذلك ما ذكره في توجيه التأنيث في «مطهرة» من حديث لقيط بن عامر العُقَيلي، ومثلهما ما في حديث لقمان بن عاد، وأم معبد. وقد نبّهت على ذلك في حواشي التحقيق.

على أني وجدت ابن الأثير يغير على شرح الزمخشري كلّه في بعض الأحاديث، مع تعيير بعض عبارات الزمخشري الجاسية[1] الموغِلة في الغرابة إلى ألفاظ مألوفة مأنوسة. فمن ذلك:

يقول الزمخشري في حديث «لقمان بن عاد»: أراد أن عيشه عيش الصعاليك، إن ظفر بشيءألْمأ عليه، وإلاّ فهو موطّنٌ نفسه على معاناة خشونة الحال وشَظَف العيش.

ويقول ابن الأثير: أراد أن عيشه عيش الصعاليك، إن ظفر بشيء أخذه، وإلاّ فهو موَطِّنٌ نفسه على معاناة خشونة الحال وشدة العيش[2].

أرأيتَ إلى «ألمأ» و «أخذ» و «شظف» و «شدة»؟

ويقول الزمخشري: البوغاء: دقاق التراب الهافي في الهواء. . . وارتفعت بوغاء الطِّيب: إذا سطعت سواطع فوحه.

ويقول ابن الأثير: البوغاء: دقاق التراب الطائر في الهواء. وارتفعت بوغاء الطِّيب: إذا سطعت رائحته[3].

وتأمل: «الهافي في الهواء» و «الطائر في الهواء» و «سطعت سواطع فوحه» و «سطعت رائحته».

ويقول الزمخشري: المرمل: الذي نَفِد زادُه، فرقّت حالُه وسَخُفَت، من الرمل، وهو نسْجٌ سخيف.

ويقول ابن الأثير: المرمل: الذي نَفِد زادُه، فرقّت حالُه وضَعُفت، من الرمل، وهو نسجٌ ضعيف خفيف[4].

ويقول الزمخشري: والضَّليع في الأصل: الذي عظُمت أضلاعه ووفرت، فأجفر جَنْباه، ثم استعمل في موضع العظيم، وإن لم يكن ثَمَّ أضلاع.

ويقول ابن الأثير: والضليع في الأصل: الذي عظمت أضلاعه واتّسع جنباه، ثم اتسع فيه، فاستعمل في كل عظيم، وإن لم يكن ثَمّ أضلاع[5].

---

(١) أي الصلبة. يقال: جسا، أي صلب. ومن تعبيراتهم القديمة: «في ألفاظ فلانٍ جُسُوٌّ ونكارة»

(٢) منال الطالب (حديث لقمان بن عاد) والفائق ٧٨/١، ويقال: ألمأ عليه: ذهب به خفية.

(٣) منال الطالب (حديث سطيح) والفائق ٤٢/٢

(٤) منال الطالب (حديث أم معبد) والفائق ٩٦/١

(٥) منال الطالب (حديث هند بن أبي هالة) والفائق ٢٢٩/٢

وقول الزمخشري: «أجفر جنباه» بمعنى «اتسع جنباه» التي أثبتها ابن الأثير. ورحم الله أبا حيان النحوي، فإنه لو وقعت له «أجفر» هذه، لقال فيها ما يقوله في بعض كلام الزمخشري الذي يناقشه في (البحر المحيط)، فإنه يقول في مثل هذا الموطن: «وفيه عَجْرَفِيَّة العَجَم».

ويقول الزمخشري: الدَّلِيف: هو المَشْي الرُّوَيد، والتقدّم في رِفق.

ويقول ابن الأثير: الدَّليف: المشي المتأنّى، والتقدّم في رِفق[1].

وحَسْبك هذا، فهو كافٍ في الدلالة على ما ذَهَبت إليه.

هذا، وقد تعقَّب ابنُ الأثير الزمخشريَّ في أشياء: فأشار إلى أنه يذكر الأحاديث بغير إسناد. فيقول في آخر حديث صفة النبيّ ﷺ، المرويّ عن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: «وأخرج الزمخشريُّ أكثره بغير إسنادٍ على عادته».

وضعَّف ما ذهب إليه في تأويل هذا البيت الذي يروى في حديث سطيح:

أزرق ممهى الناب صرَّار الأذن

فقال: «رواه الزمخشري «مهمى الناب»، وقال: هو مقلوب من الممهى: المحدَّد، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه تصحيف قد وقع إليه كذا، فاحتال لتأويله وجها».

هذا كلام ابن الأثير، وقد علّقت عليه في تحقيقي، بأن الذي في (الفائق) المطبوع: «ممهى» بميمين بعدهما هاء، وقال الزمخشري: «وهو من المهى، مقلوب»، وكذلك حكاه عنه ابن الأثير في النهاية، ترجمة (مهم).

ومما يتصل بهذا ما حكاه ابن الأثير عن الزمخشري، في شرح حديث عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما، قال ابن الأثير: وانصاح: مطاوع صاحه يصوحه: إذا شقه. . . . هكذا شرحه الزمخشري، وقال: ذكره الهروي في الضاد والخاء المعجمتين، وهو تصحيف منكر».

قلت: الذي وجدته في (الفائق) المطبوع[2]: «ومنضاخ، بالضاد والخاء المعجمتين تصحيف منكر». لم يزد الزمخشري على هذا، ولم يذكر الهروي ولا غيره.

---

(١) منال الطالب (حديث رقيقة بنت أبي صيفي) والفائق ٦١/٣، وانظر أيضاً في هذا الموضع من الكتابين تفسير «الصحل».
(٢) الفائق ٣١/٢

صرَّح ابن الأثير في مقدمة (منال الطالب) بأنه أخذ في تصنيفه بعد كتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر) الذي فرق فيه الغريب على حروف الهجاء، وقد اقتضاه هذا أن ينتزع من الحديث الجزءَ المشتملَ على الغريب وحده، قال رحمه الله عن كتاب (النهاية): «فلا تكاد تجد فيه حديثاً تاماً وإن قلَّ كلِمُه، ولا أثراً متّسقاً وإن استقلّ منتظمه»(١). فهو كتاب لغةٍ كما ترى.

أما كتاب (المنال) فقد جمع فيه الأحاديث والآثار الطّوال والأوساط بتمامها وأخذ في شرحها، فهو كتاب حديثٍ ولغة، وإن كانت الغاية التي تغيّاها من وضع الكتاب لغويّة، كما أسلفت القول.

ولما كانت (النهاية) بهذه المثابة فقد كثرت المادة اللغوية فيها وغزرت، ولم يتسع القول فيها لبسط الشرح وتعدّد الروايات ومناقشتها، على نحو ما جاء في (منال الطالب).

فقد بسط ابن الأثير في (المنال) ما اختصره في (النهاية) فمن ذلك: تفسيره لوضائع الملك، في حديث طهفة بن أبي زهير النهدي، فقد عرض في (المنال) لرأي ابن قتيبة، وذكر ردَّ أبي موسى المديني عليه، ثم تكلم على فتح الميم وضمها في «الملك»، وقد اختصر كلَّ ذلك في (النهاية) اختصارا(٢).

ومن ذلك أيضاً ما جاء في حديث قطن بن حارثة، في تفسير «الهمولة». قال في (المنال): «الهمولة: الإبل التي أهملت للرعي، وتُركت حيث شاءت، ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعلة، ولهذا أكّدها بالراعية».

وقال في (النهاية) في تفسير الهمولة: «هي التي أهملت، ترعى بأنفسها، ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعولة»(٣).

ومنه شرح «النَّصِيَّة» في حديث ذي المشعار مالك بن نمط الهَمْداني، فقد أوجزه في (النهاية) وبسطه في (المنال)(٤).

ولم يحتفل ابن الأثير بتعدُّد الروايات كثيراً في (النهاية) كما فعل في (المنال). فمن ذلك ما ذكره في تفسير «العجالة» في حديث خزيمة، قال في (النهاية): «هي لبن يحمله الراعي من المرعى إلى أصحاب الغنم قبل أن تروح عليهم».

وقال في (المنال): «العجالة، بالضم: اللبن الذي يحمله الراعي من المرعى إلى أصحاب الغنم قبل أن

---

(١) مقدمة منال الطالب. وراجع ما كتبته من قبل عن منهج ابن الأثير في إيراد الأحاديث وشرحها.

(٢) المنال (حديث طهفة) والنهاية (وضع) ١٩٨/٥

(٣) المنال (حديث قطن بن حارثة) والنهاية (همل) ٢٧٤/٥، وقوله في النهاية: «مفعولة» خطأ، وكذلك جاء في اللسان (همل) والصواب: «مفعلة» كما في المنال.

(٤) المنال (حديث ذي المشعار) والنهاية (نصى) ٥ / ٦٨

تصدر، وإنما يفعل ذلك إذا كثر اللبن عليه، فيحلبها في المرعى. ويروى «العجالة» بالكسر، وهي ما يحمل الراعي عليه زاده، كالتيس والكبش، وقيل: هما بالضم والكسر: ما يتعجله الإنسان»[1].

ومنه ما ذكره في تفسير «عليه مسحة ملك» من حديث جرير بن عبد الله البجلي، فقد ذكر في (المنال) أن قوله: «ملك» يروى بفتح الميم واللام، ويروى بضم الميم وسكون اللام، ولم يشرح في (النهاية) إلّا على الرواية الأولى[2].

ومن ذلك أيضاً ما ذكره في حديث أم معبد، وقولها في رسول الله ﷺ: «محفود محشود». فقد قال في (المنال): «المحشود: الذي يجتمع الناس حوله، يعني أن أصحابه يحوطون به، ويجتمعون على خدمته، من الحشد: الجمع. ويروى بالسين المهملة، من الحسد، فإن صحَّ فَمَنْ أولى بأن يُحْسَد ممّن تكاملت فيه مثلُ هذه الأخلاق المَرْضِيّة؟».

ولم يُشر في (النهاية) إلى رواية «محسود» بالسين المهملة، ثم لم يزد في شرح «محشود» على قوله: «أي إن أصحابه يخدمونه ويجتمعون إليه»[3].

وفي حديث أم معبد أيضاً، وذِكر هزال إبلها، أورد ابن الأثير في (المنال) أربع روايات في هزال الإبل وضعفها: «تشاركن هزلا، وتساوكن، وتساوقن، وتتاركن». وهذه الرواية الأخيرة لم يذكرها في (النهاية)، لا في مادة (ترك) ولا في غيرها.

ومنه أيضاً ما ذكره في شرح قوله: «حتى إذا ألقت السماء بأرواقها» قال في (النهاية): «أي بجميع ما فيها من الماء، والأرواق: الأثقال، أراد مياهها المثقِلة للسحاب».

هذا قوله في (النهاية)، وقال في (المنال): «وقوله: «حتى التقت السماء بأرواقها» يريد بالسماء هاهنا السحاب. أي التقت بجميع ما فيها من الماء، والأرواق: الأثقال، كأنه قال: التقت السماء بمائها الكثير المثقل للسحاب. وقيل: أراد بأرواقها: مياهها الصافية، مِن راق الماء: إذا صفا، ويجوز أن يريد بالسماء السماءَ الحقيقية، لا السحاب، لأن المطر إنما يجيء من جهة السماء. وفي رواية: «حتى إذا ألقت السماء بأرواقها» من الإلقاء، والباء زائدة»[4].

وقد ناقش ابن الأثير بعض الروايات اللغوية في (المنال)، على حين اكتفى بعرضها في (النهاية). ومن ذلك شرحه للمؤزلة في حديث طهفة، قال في (المنال): «والمؤزلة، هكذا تروى بهمزة ساكنة وكسر الزاي الخفيفة، وفسِّرت أنها الجائية بالأزل، والأزل: الضِّيق. قال: أزله يأزله أزلا: إذا حبسه وضيَّق عليه، والرواية لا تنتظم مع

(١) المنال (حديث خزيمة بن ثابت السلمي) والنهاية (عجل) ١٨٧/٣

(٢) المنال (حديث جرير بن عبد الله البجلي) والنهاية (حشد) ٣٨٨/١

(٣) المنال (حديث ام معبد) والنهاية (حشد) ١ / ٣٨٨

(٤) المنال (حديث الاستسقاء) والنهاية (روق) ٢٧٨/٢

هذا التصريف، لأن المؤْزلة مِن آزلتْ، بالمدّ، فإن صحّت الرواية فيكون قد عدّى الفعل بالهمزة، يقال: أزل الأمر يأزل: إذا ضاق واشتدّ، وآزله غيرُه. وفي كتاب الزمخشري: «المؤَزِّلة» بفتح الهمزة وتشديد الزاى[1]، فإن صحّت الرواية فيكون قد عدّى الفعلَ بالتشديد للتكثير».

هذا كلامه في (المنال)، ولم يزد في (النهاية) على قوله: «أي آتية بالأزل، ويروى: «موُزلة» بالتشديد، على التكثير»[2].

هذا وقد تكلم ابن الأثير في (المنال) على أشياء لم يعرض لها في (النهاية)، فمن ذلك كلامه على أصل «النهنهة»، قال: «والأصل فيه: نهّه، بثلاث هاآت، فأبدلوا من الهاء الوسطى نوناً للفرق بين فعلل وفعَّل». ولم يذكر هذا في (النهاية)[3].

ثم رأيته يقيِّد بعضَ الألفاظ بالعبارة في (المنال)، ويهمل ذلك في (النهاية)، فمن ذلك ضبطه للحورى في حديث ذي المشعار. قال في (المنال): «الحورى: منسوب إلى الحور، بفتح الحاء والواو، وهي الجلود المتخذة من جلود الغنم، مصبوغة بحمرة».

ولم يقيّد هذا التقييد في (النهاية)[4] وإن كان قد ذكر هناك عبارة صرفية توول إلى ما ذكره في (المنال)، قال: «وهو أحد ما جاء على أصله، ولم يعلّ كما أُعِلّ ناب». فإن هذا يعطي أن «الحور» بفتح الحاء والواو.

ومن ذلك تقييده في (المنال) «عرضان» بكسر العين وضمّها، وإهمال ذلك في (النهاية)[5].

وقد وقفت على شيء من الخلاف بين (المنال والنهاية)، وذلك ما ذكره ابن الأثير في ضبط «الحوب»، فقد قال في (المنال): «الحوب: الإثم، وتضم حاوُه وتفتح، فالضم لغة الحجاز، والفتح لغة تميم».

وجاء عكس هذا في (النهاية)، وقلت في تعليقي على هذا الموضع: «وكذا قال الفيومي في المصباح، وعكس المصنف في (النهاية)، فجعل الفتح لغة الحجاز، والضم لغة تميم، ومثله في اللسان والتاج»[6].

وبعد: فلعلّ في هذا الذي ذكرتُ دليلاً على فَرْق ما بين الكتابين، وأنه لا يغني كتابٌ عن كتابٍ شيئاً.

---

(١) ذكرت في تعليقي على هذا الموضع أن الذي في (الفائق) المطبوع، بسكون الهمزة وكسر الزاى مخففا، بضبط القلم، ولم يقيده الزمخشري بالعبارة.

(٢) المنال (حديث طهفة بن أبي زهير النهدي) والنهاية (أزل) ٤٦/١

(٣) المنال (حديث خزيمة بن ثابت السلمي) والنهاية (نهنه) ١٣٩/٥

(٤) المنال (حديث ذي المشعار مالك بن نمط الهمداني) والنهاية (حور) ٤٥٩/١

(٥) المنال (حديث وائل بن حجر)، والنهاية (عرض) ٢١٤/٣

(٦) المنال (حديث جرير بن عبد الله البجلي) والنهاية (حوب) ٤٥٥/١

توثيق نسبة الكتاب إلى ابن الأثير

على كثرة مَن ترجموا لابن الأثير، لم أجد مَن ذكر له هذا الكتابَ إلا ابنَ الشَّعَّار الموصلي المتوفى سنة (٦٥٤)، وتاجَ الدين ابن السبكي[١] المتوفى سنة (٧٧١)، وابن الشعّار يسمّي الكتاب: «منال الطالب في شرح الغرائب» ثم يقول: «وهي الأحاديث المطولات»، وابن السبكي يسميه: «شرح غريب الطِّوال»، وهذه تسمية موهمة كما ترى، فأكثر ما يطلق لفظ «الطِّوال» على القصائد السبع الجاهلية المعروفة.

وقد نظرت في كتاب «كشف الظنون» في جميع مظانّه، فلم أجد فيه ذِكراً لهذا الكتاب، ثم رأيت إسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة (١٣٣٩) في «الذيل على كشف الظنون»[٢] يذكر عنوان الكتاب: «منال الطالب في شرح طوال الغرائب» ولم يزد على ذكر العنوان شيئا.

وفيما عدا هؤلاء الثلاثة، لم أجد مَن ذكر الكتاب، أو أشار إليه، أو نقل عنه.

وقد حاك في صدري أن الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢) ربما يكون قد اطلع على «منال الطالب»، وذلك أن ابن الأثير ذكر في حديث أكيدر، قال: «ومن الناس من يقول: إنه أسلم، والأول أصحّ»، وقد حكى ابن حجر هذه العبارة عن ابن الأثير، في ترجمة أكيدر من «الإصابة»[٣]، فقال: «وقال أبو السعادات ابن الأثير أخو مصنف أسد الغابة: من الناس من يقول إن أكيدر أسلم، وليس بصحيح». فهل نقل ابن حجر هذا الكلام من «منال الطالب» أم من كتابٍ آخر من مصنفات ابن الأثير؟.

ومهما يكن من أمر، فنحن نحمد الله تعالى أنْ سَلِمَتْ لنا مقدمةُ الكتاب التي ذكر فيها ابن الأثير غرضه من تأليف الكتابِ، ومنهجه فيه، وعنوانه الذي اختاره له، ولولا ذلك كلّه لكنّا من هذا الكتاب في أمرٍ مَرِيج.

ولعلّ جهالة هذا الكتاب عند القُدامى ترجع إلى أنه من أواخر تصانيف ابن الأثير- في أكبر الظنّ- إذ كان تاريخ الانتهاء من نسخه وقراءته على مصنفه[٤] سنة (٦٠٦)، والمصنف رحمه الله توفى في سلخ ذي الحجة من السنة نفسها.

نسخة الكتاب

هي نسخة وحيدة احتفظت بها الخزانة العامة بمدينة الرباط، عاصمة المغرب الأقصى- صانه الله من الآفات

---

(١) راجع الموضع المذكور في صدر الترجمة من عقود الجمان، وطبقات الشافعية الكبرى.

(٢) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٥٦٢/٢، وأشير هنا إلى أن إسماعيل البغدادي حين ترجم لابن الأثير في هدية العارفين- الموضع السابق- لم يذكر له هذا الكتاب.

(٣) الإصابة ١٣١/١

(٤) سيأتي الكلام على ذلك في وصف نسخة الكتاب.

والمحن- وكم من المخطوطات الفريدة النادرة، احتفظت بها مكتبات المغرب العزيز، الذي ظلَّ عربيَّ الوجه واليد واللّسان، برغم عوامل القهر والاستلاب والمسخ التي تعرّض لها هذا البلد الإسلاميّ العظيم، لقد عرف المغاربة قيمة هذا الإرث الجليل الذي آل إليهم، فحفظوه وصانوه، كما يصون كِرام الأبناء ودائعَ الآباء.

والمشتغلون بالتراث ونشر النصوص يذكرون للمكتبة المغربية أنها احتفظت بنُسخ وحيدة من كتب ذوات عَدد، أذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر: حَذْف مِن نسب قريش، لمؤرج السَّدُوسي، والفَرْق في اللغة، لثابت بن أبي ثابت، ورَّاق أبي عبيد القاسم بن سلّام، والبرصان والعرجان، للجاحظ، والصاهل والشاحج، لأبي العلاء المعرّي، والوسيط في الأمثال للواحدي، والموفقي في النحو، لابن كيسان، وكتاباً صغيراً في النحو، للحسن بن عبد الله، المعروف بلُغْدة الأصبهاني[١].

وأعود إلى الحديث عن نسخة (منال الطالب)، فأقول: لقد جهدت في الظفر بنسخة ثانية من هذا الكتاب، فلم أوفق[٢].

ومِن نِعَم الله تعالى علينا أن هذه النسخةَ المغربية غير مُحْوِجةٍ إلى غيرها، فهي إلى النَّفاسة ما هي. وقد جمعت النسخةُ كلَّ أسباب القبول والتوثيق التي يعرفها المشتغلون بعلم المخطوطات[٣]:

فخطّها نسخي نفيس جداً، مضبوط ضبطاً كاملاً، مع وضع علامات الإهمال تحت الحروف المهملة.

وناسخها هو: شرف[٤] الدين محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم، وهو ابن أخي المصنف، والده: نصر الله ابن الأثير، صاحب كتاب (المثل السائر)، وقد فرغ شرف الدين من نسخ الكتاب سنة (٦٠٦)، وكتب في آخر النُّسخة:

«تمّ كتاب منال الطالب في شرح طِوال الغرائب، وذلك في سنة ستٍّ وستمائة. كتبه محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم، ولد أخي المصنِّف، حامداً[٥] للّه تعالى على نِعمه، ومصليا على رسوله[٦] مسلّماً. والحمد لله رب العالمين».

وقد سمع محمدٌ النسخةَ وقرأها على عمه المصنِّف. وكتب السماعَ عَمُّه الثاني عزّ الدين علي بن محمد،

---

(١) لعل الأيام تظهر نُسَخاً أخرى من هذه الكتب، ولكن إلى الآن لم تُعرف هذه الكتب إلّا مِن قِبَل المغاربة. وقد كتبت عن أثر علماء المغرب في حفظ التراث الإسلامي قديماً وحديثاً، منذ نحو أربع سنوات، في مجلة الثقافة المصرية، ودعوة الحق المغربية.

(٢) وقد استعنت أخي الكريم الأستاذ علي عبد المحسن زكي- وهو خبير في مفاتشة الفهارس، ومعرفة أماكن المخطوطات- فأفادني حفظه الله أنه لم يعرف غير نسخة المغرب التي بين يديّ.

(٣) إلّا ما سوف تراه من هذه المواضع القليلةِ مِن الفراغات والبياض، وهذه من المؤلف نفسه، وسيأتي الحديث عن ذلك

(٤) يبدو أنه كانت لشرف الدين هذا عنايةٌ بكتبِ عمّه، فقد رأيت نسخة نفيسة من «النهاية» مكتوبة سنة (٦٠٤، وبآخرها قراءة على شرف الدين هذا، وهذه النسخة محفوظة بمكتبة قرا مصطفى باشا، الملحقة بمكتبة بايزيد باستانبول، برقم (١٨٨١٩) وقد رأيتها خلال رحلتي إلى تركيا عام ١٣٩٠- ١٩٧٠

(٥) هكذا بكسر اللام في لفظ الجلالة.

(٦) هكذا بغير واو العطف.

ابن الأثير المؤرخ، صاحب كتاب (الكامل). وهذه صورة السماع وتاريخه، كما جاءت على صفحة العنوان:

«سمع جميع كتاب منال الطالب في شرح طوال الغرائب، من أوّله إلى آخره، علَى مصنّفه المولى الأخ [السعيد][1] مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم، إملاءً من لفظه، ولدُ [الأخ][2] الولدُ الأعزّ شرف الدين محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الكريم في عدة مجالس، في شهور سنة ست وستمائة. كتبه على ابن محمد بن عبد الكريم، في جمادى الأول هكذا من سنة ستّ وستمائة، حامداً لله تعالى، ومصلياً على رسوله محمد وآله ومسلّمًا».

وترى أثر هذا السماع على حواشي النسخة في آخر الأحاديث.

وفوق هذا السماع كتب عنوان الكتاب هكذا:

«كتاب منال الطالب
في شرح طِوال الغرائب
تأليف العبد الفقير إلى الله تعالى
المبارك بن محمد بن عبد الكريم. تقبل الله
صالح عمله وغفر له»

وأرجّح ترجيحاً أن هذا كلّه بخط المؤلف نفسه، فقد جاء مثله تماماً على صفحة العنوان لمخطوطة كتاب (المرصع) للمصنف، نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، رقم (٥٦٦٠)، وانظر الجزء الحادي عشر من (الأعلام) للزركلي. القسم الثاني. صورة رقم (٩٠٠) وانظر أيضاً مقدمة (المرصع) تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي.

وفي أعلى صفحة العنوان تملك باسم «السيد حسن نقيب الأشراف»، وتملك آخر باسم «أحمد بن محمد ابن ناصر»، وهو صاحب الخزانة الناصرية بتمجروت بالمغرب. وابن ناصر هذا معاصر للمرتضى الزَّبيدي صاحب (تاج العروس) المتوفى سنة (١٢٠٥)، وقد كتب عنه المغاربة كثيراً.

وفي أسفل الصفحة تملك باسم «محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد، سنة ثمان وثمانين وستمائة، بدمشق».

وفي الصفحة الأخيرة تملّك ومطالعة باسم «محمد بن يحيى بن يوسف بن أبي القاسم السَّلامي».

وعلى حواشي النسخة تعليقات قليلة لبعض العلماء.

والنسخة تقع في (٢٥٨) ورقة- مسطرتها ١٥ سطراً- ومقاسها ١٧×٢٥,٥ سم ورقمها في الخزانة العامة بالرباط (١٨٢) أوقاف[3].

---

(١) جاءت هذه الكلمة غامضة، وقد اجتهدت في قراءتها كما ترى.

(٢) مكان هذه الكلمة بياض، وقد رجحت أنها هكذا.

(٣) وقد كتب عن هذه النسخة، ونقل مقدمتها و نموذجاً من أحاديثها العلّامة الجليل الشيخ حمد الجاسر، بمجلة العرب- الجزء =

وبالنسخة بياض في أحاديث: سَطيح، وأبي عمرو النَّخعي، وعلي بن أبي طالب، في الصلاة على النبيّ ﷺ، والمغيرة بن شعبة الثقفي، والأعشى الحِرْمازي، وعبد الملك بن عمير (في حديثين له).

ولما كانت النسخة قد قرئت من أولها إلى آخرها، على المصنف رحمه الله، فإن هذا البياضَ منه نفسه، وقد تركه ليستكمله فيما بعد، ثم حالت المنيَّة بينه وبينه، وقد حاولت ملء هذا البياض. والله المستعان.

أخطاء النسخة

في أثناء عملي في تحقيق الجزء الأول، وقعت على طائفة يسيرة من الأخطاء والأوهام، كنت أحبّ أن أردَّها إلى غفلة الناسخ وحده، فإن الهجوم على تخطئة الأوائل نَمَطٌ صعبٌ ونَمَطٌ مخيف(١)، ثم هو من التَّقَحُّم المُزْري بصاحبه، ولكن ماذا نصنع والنسخة قد قرئت وصحّحت من أوّلها إلى آخرها على مصنفها رحمه الله.

ومهما يكن من أمر: فابن الأثير بشر، يجوز عليه ما يجوز على جميع البشر، من السَّهو والنّسيان، وسبحان من تفرّد بالعِصمة وتنزّه عن النقصان.

فمن أخطاء الضبط: جاءت «البرية» بمعنى الصحراء، دائماً وحيث ما وقعت من الكتاب، بكسر الراء خفيفة، والصواب فيها التشديد مع الكسر: «البَرِّيَّة».

وفي حديث قطن بن حارثة، ضبط «الحمول» بفتح الحاء. وقد نص صاحب القاموس على أنه بالضم.

وفي حديث استسقاء النبيّ ﷺ: جاء «سبل سابل، ومطر ماطر» بفتح اللام في «سبل» والراء في «مطر» على أنهما فعلان ماضيان، والصواب أن يكونا بالضم مع التنوين، على الاسمية، ويجريان مجرى قولهم في المبالغة: «شِعْرٌ شاعرٌ». وراجع اللسان (سبل).

وفي حديث أم معبد: ضبط الفعل «يصهل» بضم الهاء، والصواب أن تكون بالكسر أو بالفتح، فإن الفعل من باب «ضرب ومنع» كما في المصباح والقاموس..

وفي غير الضبط:

جاء في حديث استسقاء النبيّ ﷺ: قوله تعالى: «وكأي من قرية أهلكتها وهي ظالمة» ولم يرد في القرآن الكريم آية على هذا النَّسَق، وقد أثبت نصّ الآية الخامسة والأربعين من سورة الحج: «فكأين من قرية أهلكناها

السادس- السنة الخامسة- ذو الحجة ١٣٩٠- فبراير ١٩٧١ كما أشار إليها العلّامة المرحوم الأستاذ خير الدين الزركلي، في المستدرك الثاني من الأعلام ص ١٧٦

(١) هذا من تعبيرات أستاذنا الجليل محمود محمد شاكر، حفظه الله، والنمط: الطريقة. يقال: الزم هذا النمط، أي هذا الطريق، والنمط أيضاً: الضرب من الضروب، والنوع من الأنواع، يقال: ليس هذا من ذلك النمط، أي من ذلك النوع والضرب، يقال هذا في المتاع والعلم وغير ذلك.

وهي ظالمة»[(١)].

وفي حديث لقمان بن عاد، ووصفه لإخوته، قال المصنف: «والحممة: الفحمة، وجمعها: حمم، كأنها تريد به سواد شعره أو لونه». وصواب الكلام على التذكير: «كأنه يريد» فإن الواصف هو لقمان، وقد جاء في (النهاية) مادة (حمم) على الصواب، قال: «أراد سواد لونه».

وفي حديث قُسّ بن ساعدة الإياديّ: شرح المصنّف كلمة «الأجَشّ» بأنها «الرفيع الصوت». والذي في كتب اللغة: «الغليظ الصوت».

وفي حديث هند بن أبي هالة، في صفة النبيّ ﷺ: ذكر ابن الأثير تفسير ابن قتيبة لقوله: «لا يقبل الثناء إلّا مِن مكافىء» ثم قال عقبة: «وأنكر ابن الأعرابيّ هذا التأويل».

وقول المصنّف: «ابن الأعرابي» خطأ، والصواب: «ابن الأنباري»، كما جاء في (الغريبين) و(النهاية)- مادة (كفأ)، وقد قلت في تعليقي في ذلك الموضع إن ابن الأعرابي، محمد بن زياد، توفي سنة (٢٣١) فيبعد أن يتعقب ابن قتيبة المتوفى سنة (٢٧٦)، وأيضاً فإن نقد أبي بكر بن الأنباري لابن قتيبة معروف مذكور في كتب الغريب واللغة، وقد نقلت في ذلك كلمة الإمام أبي سليمان الخطابي في صدر هذه المقدمة.

وجاء في حديث رُقَيْقة بنت أبي صيفي: «وأيفع الغلامُ: إذا شَبَّ وترعرع وشارف الاحتلام، وهو من نوادر الأبنية، لأن قياس أيفع: موفع، لا يافع».

وقد علّقت على هذا الكلام في تحقيقي، فقلت: هكذا جاء في الأصل، ولعلّ صواب الكلام: «أيفع الغلامُ فهو يافع»، وذلك ليتجه إليه قول المصنف: «وهو من نوادر الأبنية» وعلى هذا جاء الكلام تامًّا في (النهاية) مادة (يفع).

وقد كدت أن أكمل الكلام بما ترى، ولكني آثرت أن أتركه على ما هو عليه، وأعلّق في الحاشية، اقتداءً بهذا العالِم الذي كتب في حاشية الكتاب معلّقاً على وهم في الحديث الأول- حديث طهفة بن أبي زهير النَّهدي، فقد قال: «ولم أر أن أصلحه، لأنه مقروء في هذه النسخة على مصنّفه، وخطّه عليها».

وبعد:

فهذا أثرٌ جليل لعالِم جليل، أرجو أن أكون قد قمت بما ينبغي له مِن التقديم والتحقيق. ورحم الله مؤلفه، وجزاه خير ما يَجْزى به عباده المخلصين، فقد صنّفه في زمان علّته وأيام مرضه، ورحم الله علماءَنا وأسلافَنا الذين عرفوا للُغتهم حقَّها؛ من كريم الرعاية، ودقّةِ النظر، وحسنِ الفقه، وكمال التصنيف، وأقاموا حولَ كتاب الله عزّ وجلّ، وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم، صرحاً شامخاً من الكَتب والمصنَّفات، لم تعرفه أمةٌ من الأمم، ولم تشهدْه

---

(١) وانظر أيضاً الآية الثامنة والأربعين من سورة الحج. ورحم الله الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي رحمة واسعة، وجعل صنيعه في (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) في موازينه يوم يأتي كل أناس بإمامهم. فلولا هذا العمل العظيم لما عرفت وعرف غيري مواطن الخلط في الآيات الكريمة، بيسر وسهولة.

ثقافةٌ من الثقافات.

وغفر الله لنا، فقد جئنا إلى هذا التراث: لننالَ به الشهادات ونرتقىَ عليه إلى المناصب، ونطلبَ به المَثالَة عند الناس، ثم لم نعطه حقَّه من الدرس والتأمل والاقتداء.

ورحم الله النضر بن شُميل، فكأنه كان يعنينا حين قال قولته العظيمة في الخليل بن أحمد، شيخ العربية. يقول النضر: «لقد عاش الخليل بن أحمد في مِرْبَدٍ من مَرابِد البصرة لا يجد قُوتَ يومه وأصحابُه يأكلون بعِلْمه الأموال».

اللهمّ إنّا نعوذ بك من فِتنةِ القول، كما نعوذ بك من فِتنة العمل، ونعوذ بك من التكلّف لما لا نُحسِن، كما نعوذ بك من العُجْب بما نُحْسِن[١].

ربَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد إذْ هديتنا وهَبْ لنا من لَدُنْك رحمة إنك أنت الوهّاب[٢].

ربَّنا اغفِر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعلْ في قلوبنا غِلاًّ للذين آمنوا ربَّنا إنك رءوفٌ رحيم[٣].

والحمد لله فاتحة كلّ خيرٍ وتمام كلّ نعمة.

مكة المكرمة في شهر شعبان ١٣٩٩

الموافق لشهر يونيه ١٩٧٩

الدكتور محمود محمد الطناحي

(١) من كلام الجاحظ في مقدمة البيان والتبيين.

(٢) سورة آل عمران ٨

(٣) سورة الحشر ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمَدُ الله على نعمه حقَّ حمدِه، وأُثنى عليه بآلائه إلى منتهى الوُسْع وجُهدِه، حَمْدَ مَن جعل الإخلاصَ غايةَ قصده، والتوفيق قرينَ خطئِه وَعَمدِه، وأصلّي على محمد رسوله وعبده، هادمِ مَشِيد الكفر وهازمِ جُنْدِه، وخيرته المؤيَّد بنَصْرٍ من عندِه، وعلى آله وأصحابه وأزواجه من بعده، صلاةً تُحِلّهم دارَ كرامته ورِفْدِه، وتُنْهِل قائلَها مِن نَمير الفلاح وِعِدِّه[1].

أما بعد، فإني لما بلغت الأمل والغرض، وأدّيت النَّفْل والمُفترَض، من تصنيف كتاب «النهاية في غريب الحديث والأثر»، وفرغت من تأليفه وجمعه، وترتيبه في أحسن وضعه، وكان الغريب الوارد فيه، المدرَج في أثنائه ومَطاويه، مفرَّقاً في أنواع صنوفه، مقسّماً في أبواب حروفه، حيث التزمنا في وضعه التقفيةَ على حروف المعجم، والابتداءَ بالأوّل فالأوّل، والأقدمِ فالأقدم، فلا تكاد تجد فيه حديثاً تامًّا وإن قلَّ كلِمُه، ولا أثراً مُتَّسقاً وإن استقلَّ مُنْتَظِمُه: أحببتُ أن أستأنف كتاباً مختصراً أجمعُ فيه من الأحاديث والآثار الطِّوال والأوساط، ما أكثَرُ ألفاظِه غريبٌ لا يفهمه أكثر الناس، وَيَعِزّ إدراكُ بعضه على كثير من الخواصّ، أُوردها كاملةً متناسقةَ الألفاظ تامَّةَ الإيراد والاقتصاص[2]، وأُتْبِع كلَّ حديثٍ منها وأثَرٍ شرحَ غريبه وتفسيرَ معانيه، وإيضاحَ المقاصدِ المودعةِ فيه.

وقد كان الأئمة والعلماء رحمةُ الله عليهم جمعوا الأحاديثَ الطِّوال ودوَّنوها، وأظهروا أسرارها للطالبين وأعلنوها، فأتَوا منها بكلِّ حسنٍ جميل، واقتَنَوْا به كلَّ ذِكر كريم وأجرٍ جزيل، إلا أنهم لم يقتصروا على نوع من طِوال الحديث والأثر، لكن جمعوا ما رُوي منْها طويلاً، سواء كان غريبه كثيراً أو قليلاً، ونحن اخترنا من الطِّوال ما كان أكثر ألفاظه غريباً، على أيِّ حاليه كان، بعيداً أو قريباً، توخِّياً للحِفظ والتَّناجي، وبلاغاً للآمِلِ والراجي. ولم نستقصِ في جمع الأحاديث والاستكثارِ منها،

(١) الماء العد: هو الدائم الذي لا انقطاع لمادته، وجمعه: أعداد.

(٢) يقال: اقتصصت الحديث: رويته على وجهه.

خوفَ الضجر والملل، وهرباً من الوقوع في الخطأ والزَّلل، فاقتصرنا على الأحاديث والآثار المشهورة في كتب الحديث والغريب، واستقصينا شرحَ ما اخترناه منها، وبسطنا القولَ في إيضاح ما شَذَّ من وجوه التأويل عنها، وجمعنا بين أقاويل من تقدَّم من العلماء، وسَبَق من الفضلاء، في شرحها وتفسيرها، وتبيين معانيها وتقريرها، وأضفنا إليه ما عسى أن يكون غُفِل عنه أو لم يُبْلَغ الغرضُ منه. مستعيذين بالله تعالى، ومتَّكلين عليه، ومستمدِّين من ألطافه حُسنَ التوفيق في الدنيا، والنجاةَ يومَ الوقوف بين يديه. إنه وليُّ الإجابة.

وقد قسمناه إلى قسمين: أحدهما في أحاديث رسول الله ﷺ، مِمَّا له فيه كلامٌ، أو ذِكرٌ سِيق الحديثُ له، أو بُني عليه(١).

والثاني في آثار جماعة من أصحابه وبعض التابعين لهم بإحسان، رضي الله عنهم أجمعين.

وسمَّيته كتاب: «منال الطالب في شرح طِوال الغرائب».

وبالله أعتضد وأستعين، وأستمدّ التوفيق من ألطافه فيما آتيه وأذَرُه من قول أو فعل، وأرغَبُ إلى كرمه أن يتغمَّدني برحمته، ويُجرِيَ الخيرَ على لساني ويدي، مُدَّةَ حياتي، إنه وليّ الإجابة، وهو حسبي ونعم الوكيل

(١) راجع هذا التقسيم في مقدمة المؤلف للنهاية ١٢/١

القسم الأوَّل

في أحاديث النبي ﷺ، ممّا له فيه كلام، أو ذِكرٌ سِيقَ الحديثُ له.

حَدِيثُ طِهْفَةَ بن أبي زُهَيْرٍ النَّهْدِيِّ

قال عِمران بن حُصَين وحُذيفة بن اليمان، صاحبا رسولِ الله ﷺ: لما قدمت[(١)] وفود العرب على النبيِّ ﷺ قام طِهْفة[(٢)] بن أبي زُهير النَّهْدِيّ، فقال: أتيناك يا رسولَ الله، من غَوْرَيْ تِهامة، بأكوار[(٣)] المَيْس، ترتمي بنا العِيس، نَسْتَحْلِب الصَّبِير، ونَسْتَخْلِب الخَبِير، ونَسْتَعْضِد البَرير، ونَسْتَخِيل الرِّهام، ونَسْتحيل أو نستجيل الجَهام،[(٤)] في أرضٍ غائلة النِّطا[(٥)]، غليظة المَوْطا، قد نَشِف المُدْهُنُ ويَبِسَ الجِعْثِنُ، وسقط الأُمْلُوجُ ومات العُسْلُوج، وهَلَك الهَدِيُّ ومات الوَدِيُّ. بَرِئْنا يا رسولَ الله من الوَثَن والعَنَن، وما يُحدث الزَّمَن، لنا دعوةُ السلام[(٦)] وشريعة الإسلام، ما طَما البَحْرُ وقام يعارُ، ولنا نَعَمٌ هَمَلٌ أَغْفالٌ ما تَبِضُّ بِبِلَال[(٧)]، ووَقِيرٌ كثيرُ الرَّسَلِ قليلُ الرِّسْل، أصابتْها سَنَةٌ[(٨)] حمراءُ مُؤْزِلَةٌ، ليس لها عَلَلٌ ولا نَهَلٌ.

فقال رسول الله ﷺ:

اللهّم بارِكْ لهم في محضها ومَخْضِها، ومَذْقِها وفِرْقِها، وابعَثْ راعِيَها في الدَّثْر بيانع الثَّمر، وافجُرْ لهم[(٩)] الثَّمَدَ، وبارك لهم في المال والولد، من أقام الصلاة كان مسلماً، ومن آتى الزكاة كان محسناً، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصاً. لكم يا بني نَهْدٍ ودائعُ الشِّرك ووضائعُ المُلْك، لا نُلْطِطْ في الزكاة، ولا نُلْحِد في الحياة، ولا نتثاقل عن الصلاة.

---

(١) سنة تسع.

(٢) ضبطت الطاء في الأصل بالفتح والكسر، وفوقها كلمة «معاً» وسيأتي الكلام عليه.

(٣) بحاشية الأصل: على أكوار.

(٤) بحاشية الأصل: من.

(٥) بحاشية الأصل: «المنطا» ويأتي الكلام عليه.

(٦) بحاشية الأصل: المسلمين.

(٧) ضبطت الباء في الأصل بالفتح والكسر، وفوقها «معاً» ويأتي في الشرح.

(٨) بحاشية الأصل: «سنية» بالتصغير، ويأتي الكلام عليه.

(٩) بحاشية الأصل: «له» في هذا الموضع والذي بعده.

وكتب معه كتاباً إلى بني نَهْد: من محمد رسول الله إلى بني نَهْد بن زيد: السلام على مَن آمن بالله ورسوله، لكم يا بني نَهْد، في الوَظِيفَة الفَرِيضَةُ، ولكم العارضُ والفَرِيشُ، وذُو العِنان الرَّكُوبُ، والفَلُوُّ الضَّبِيْسُ، لا يُمْنَع سَرْحُكُمْ، ولا يُعْضَدُ طَلْحُكُم، ولا يُحْبَسُ دَرُّكُم، ولا يُوكَلُ أُكْلُكُم، ما لم تُضْمِرُوا الإِماق وتأكلوا الرِّباق، مَن أقرَّ بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاءُ بالعهد، والذِّمَّةُ، ومَن أبَى فعليه الرِّبْوَةُ.

وفي رواية بعد قوله: «ووضائع المُلْك»: ما لم يكن عَهْدٌ ولا مَوْعِدٌ.

*

* *

هذا الحديث يُروى عن الحسن بن أبي الحسن البصرى، عن عِمران بن حُصَين، وقال فيه: طُهَيَّة بن أبي زهير.

ويُروى عن حَبَّة بن جُوَين العُرَنِيّ، عن حُذيفة بن اليمان، وقال فيه: طهفة بن أبي زهير، وهو أشهر الاسمين[1]، وأكثرهما جرياً على الألسُن وفي كتب العلماء.

وقد أخرج هذا الحديثَ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة[2] الدِّينَوَرِيّ، وأبو سليمان حَمْد ابن محمد الخَطَّابي، وأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري[3]، وأبو موسى محمد بن أبي بكر الحافظ الأصفهاني، وغيرُهم من العلماء، وهو حديثٌ مشهور متداوَل بين رواة الحديث.

وسمعت في آخر هذا الحديث زيادةً لم أجدها في واحدٍ من هذه الكتب، وهي: فقال له علي ابن أبي طالب: يا رسول الله، نراك تكلِّم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، ونحن بنو أبٍ واحد، فقال: أدَّبني ربِّي فأحسن تأديبي، ورَبِيتُ[4] في بني سعد.

---

(١) قال عز الدين ابن الأثير في أسد الغابة: «أخرجه أبو عمر هاهنا [يعني ابن عبد البر، صاحب الاستيعاب، أخرجه في طهفة] وأما ابن منده وأبو نعيم فأخرجاه: طهية، بضم الطاء، وآخره ياء مشددة تحتها نقطتان». وانظر التعليق التالي.

(٢) لم أجده في كتابه «غريب الحديث» الذي حققه ونشره ببغداد الأخ الصديق الدكتور عبد الله الجبوري. هذا وقد أشار ابن حجر إلى أن ابن قتيبة ذكره في «غريب الحديث» من طريق زهير بن معاوية، عن ليث، عن حبة العرني، عن حذيفة بن اليمان. وأورده ابن حجر في «طهية». انظر الإصابة ٢٩٧/٣، والاستيعاب ص ٧٧٤، وأسد الغابة ٩٦/٣-٩٨، والعقد الفريد ٥٣/٢-٥٥.

(٣) الفائق ٢٧٧/٢-٢٨٢.

(٤) ربيت، بفتح الراء وكسر الباء مخففة، بوزن رضيت، كما في أساس البلاغة، وكذلك ضبط في الأصل عند شرح الحديث.

الوفود: جمع وَفْد، والوَفْد: جمع وافِد، كوَعْدٍ ووُعود، وراكِبٍ ورَكْب. والوفد: القوم يجتمعون ويَرِدُون البلاد، وكذلك الذين يقصدون الملوك والأمراء، لانتجاعٍ واستِرْفادٍ أو زيارة وغير ذلك. تقول: وَفَد يَفِدُ فهو وافِدٌ، وأوفَدْتُه فوَفَدَ.

وطَهْفَة: يروى بفتح الطاء وكسرها، والمعروف في اللغة الفتح، لأن الطَّهْفَة أعالي الصِّلّيان، وهو نَبْتٌ تَسْمَنُ عليه الإبلُ.

والطَّهْفُ: الذُّرَة، واحدتها: طَهْفَة.

وطُهَيَّةُ: تصغير طُهْيَة. يقال: ما في السماء طُهَيَّةٌ، أي شيءٌ من سحاب.

والنَّهْدِيّ: منسوب إلى نَهْدٍ، وهو ابن زيد بن لَيث بن سُود[1] بن أَسْلُم بن الحافِ بن قُضاعة.

والغَوْر: الأرض المنخفضة، ضِدّ النَّجْد.

وتِهامَةُ: اسمٌ لمكَّة وما حولَها من الأغوار، من قولهم: تَهِمَ الحَرُّ: إذا اشتدَّ مع رُكود الريح.

وتثنية الغَوْر: إشارةٌ إلى ناحيتين منها خاصَّة.

ويروى: «مِن غَوْرِيّ تِهامة» بياء النِّسبة، أي من الأرض المُنْهبطة من تِهامة.

والأكوار: جمع الكُور، بالضمّ، وهو رَحْل البعير، كالسَّرْج للفرس.

والمَيْسُ: شَجَرٌ صُلْبٌ أملسُ، تُتَّخذ منه الرِّحال[2].

وتَرْتَمِي بنا: أي تُسرع، وهو تفتعل من الرَّمْي.

والعِيسُ: الإبل البِيض التي في بياضها ظُلْمةٌ خفيَّة، واحدتها عَيْساءُ.

والصَّبِير: سحابٌ أبيض مُتراكبٌ، وهو أقلُّ السَّحابِ مَطَراً، مِن صُبْرِ الشيء، وهو غِلَظُه وكثافته.

---

(١) «سود» بضم السين، و«أسلم» بضم اللام كما ضبط في الأصل، هنا، ثم في حديث ابن زمل الآتي. و«الحاف» بهمزة الوصل، ويقال: الحاف والحافي، بإثبات الياء وحذفها، كما يقال في العاص والعاصي. راجع جمهرة أنساب العرب ص ٤٤٠-٤٤٣، وانظر أمالي ابن الشجري ٧٣/٢.

(٢) زاد ابن منظور في اللسان (ميس): فلما كثر ذلك قالت العرب: الميس: الرحل.

واستحلابه: استدراره، استفعال من الحَلَب، أي إنا لَنطمعُ في استدرارِ السَّحاب القليل الماء، لشدَّة الجَدْب.

وَنَسْتَخلب: من الخَلْب، وهو القَطْعُ والشَّقُّ، مِن خَلَب السَّبُعُ الفريسةَ، يَخْلُبها[1] وَيخْلِبها، إذا شقَّها ومزَّقها، وبه سُمّي المِخْلَبُ، وهو المِنْجَل، وظُفْر كلِّ جارحٍ من الحيوان.

والخَبِير: النَّبات، ومنه قيل للوَبَر: خَبِيرٌ.

ونَسْتَعْضِد: نستفعل من العَضْد: القَطْع، وبه سُمّي المِعْضَد، وهو المِنْجَل وما يُقطع به الشجر. يقال: عَضَدْتُ الشجرةَ واستعضدتها، وهو أحدُ ما استوى فيه فَعَلَ واستَفْعل، كقولهم: قَرَّ بمكانه واستقرَّ. وكذلك القول في نستحلب ونستخلب. ويجوز أن يكون أراد: إنّا نَسألُ أن يُخْلَبَ لنا ويُعْضَد.

والبَـريرُ: ثَمر الأراك إذا اسوَدَّ وبَلَغَ. وقيل: هو اسمُه في كل حالٍ. أراد: إنا نَجنيه من شجره ونأكلُه، للجَدْب والقَحْط.

ونستخيل، بالخاء المعجمة: مِن خِلْتُه أَخالُه: إذا ظننتَه، وخال واستخال: إذا ظَنَّ ظَنًّا بالشيء لحرصِه عليه وحاجته إليه، وَتخَيَّلتِ السَّحابةُ: إذا تهيأت كأنها تُمْطِرُ، وأَخْيَلَتْ: إذا رأيتَها فحسبْتَها ماطِرَةً.

والرِّهام: جمع رِهْمَةٍ، وهي المطر الضعيف الذي لا يُرْوي الأرضَ ولا يسيلُ منه وادٍ. أراد: إنا نظُنُّ الرِّهامَ خَليقةً بالسَّحِّ.

ونَسْتحيل، بالحاء المهملة: من الإِحالة،[2]، وهي النَّظَرُ، يقال: استَحِلْ كذا: أي انظُرْ إليه.

والجَهامُ: الغَيْمُ الذي لا ماءَ فيه، أي نَطْلب حالَ مطره، ولا ننظر من السحاب إلاّ إلى جَهام.

ومن رواه: «نستجيل» بالجيم، فهو مِن جالَ في الأرض يجولُ: إذا ذهب فيها كذا وكذا.

أراد: إنّا نراه جائلاً في الجَوِّ والأفُق، وإن كان جَهاماً لشدّة حاجتنا إليه، كما يقال: مَن أحبَّ شيئاً أكثر من ذِكره.

والغائلة: المُهْلِكة، من غالَه يغُولُه: إذا أهلكه.

---

(١) بضم اللام وكسرها.

(٢) في النهاية: من حال يحول: إذا تحرك.

والنِّطاءُ:[1]: البُعْدُ، والنَّطِيُّ: البعيدُ، أي إنها فَلاةٌ يُهلِكُ بُعْدُها مَن سَلَكها.

ويروى: «غائلة المَنْطا» وهو مَفْعَلٌ منه.

والمَوْطَأُ: مَوضِعُ القدَم في المشي، يصف حُزُونةَ الأرض وخُشونتَها.

والمُدْهُن: نُقْرةٌ واسعةٌ في الجَبَل والصَّخر، يجتمع فيها الماءُ. وهو من قولهم: دَهَنَ المَطَرُ الأرضَ: إذا بَلَّها بَلًّا يسيراً.

والجِعْثِنُ: أصْلُ النَّبات، وقيل: أصل الصِّلِّيان.

والأُمْلُوج: واحد الأماليج، وهي وَرَقٌ كأنه عِيدانٌ، يكون لضَرْبٍ من شجر البَرِّ، وقيل: هو نَوَى المُقْلِ[2].

ورُوي: «وسَقَط الأُمْلُوجُ مِن البِكارة» أي هُزلت البِكارة، جمع البَكْر، وهو الفَتِيُّ من الإبل. يعني أنها هُزلت فسقط عنها ما علاها من السِّمَن بِرَعْي الأُمْلُوج، فسمَّى السِّمَنَ نفسَه أُمْلُوجاً، على سبيل الاستعارة[3]، كقول الشاعر يصف غَيْثاً:

أقْبَلَ في المُسْتَنِّ مِن رَبابِهِ ... أسْنِمةُ الآبالِ في سَحابِهِ[4]

يعني أن أسْنِمةَ الإبل عَظُمتْ بَرعْي ما أنْبَته ماءُ هذا السحاب، فجعل الأسنمةَ نفسَها في السَّحاب مبالغةً.

والعُسْلُوج: الغُصْنُ الناعمُ الذي تتشعَّب به الورق. ومَوْتُه كنايةٌ عن يُبْسِه.

والهَدِيُّ: الهَدْيُ، وهو الذي يُهْدَى إلى الكعبة من الإبل للنَّحْر، وإنما أرادها هنا الإبلَ مُطلقاً، فسمَّاها هَدِيّاً، لأنه يكون منها، أو أراد: هلك منها ما أُعِدَّ للهَدْي واخْتير له، وواحدة الهَدِيّ: هَدِيَّة، بالتشديد فيهما.

والوَثَنُ: ما يُعبَد من دون الله تعالى. والفرق بينه وبين الصنم أن الوثن كلُّ ماله جُثَّة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة وغيرها كصورة الإنسان. والصنم: الصورة بلا جُثَّة، ومنهم

---

(١) هكذا جاء ممدوداً، وسبق في متن الحديث: «النطا» مقصوراً، وهو الأصل فيه، وعليه ترجم في المعاجم في المعتل.

(٢) المقل، بضم الميم وسكون القاف: هو ثمر الدَّوْم.

(٣) هذا من كلام الزمخشري في الفائق، وعزاه إليه المصنف في النهاية.

(٤) البيتان من غير نسبة في الفائق، والكامل ٩١/٣

من عكس القضية فيها، ومنهم من لم يفرق بينهما[1].

والوَدِيُّ: الفَسِيلُ الصغير من النخل، واحدتها: وديَّةٌ.

والعَنَنُ: الاعتراض والخلاف والباطل واللَّجاج. أي تبرأنا من أن نعارضَ أو نخالفَ في شيء مّما تأمر به وتَنْهى عنه، فإنهم متى تبَّرأوا من الوثن وعبادته ثم اعترضوا على الحق وخالفوه، لا يُجْدى عليهم تبرؤهم شيئاً؛ لأن الاعتراض لا يكون إلا عن شكّ، والشاكُّ في الدِّين لا دينَ له.

وقوله: «وما يُحدث الزَّمن» أي ما يَحْدُث فيه من البِدع والمظالم، مما لا يدَ لنا فيه، وهذا على ما كانوا يذهبون إليه من أن الدهرَ يصيبهم بالمكاره، ويجوز أن يريد به: إننا برئنا من أن نقولَ بقول الجاهلية إن الأحداثَ والَمكارِه إلى الزَّمَن.

وطَما البحرُ وطَمَّ: إذا ارتفع وعلا.

وتِعارُ، بكسر التاء: جبلٌ[2] معروف، يُصرَف ولا يُصرَف.

وهاتان الكلمتان عندهم مما يُستعمل في النفي على التأبيد، لأن ارتفاعَ البحر ومَدَّه لا ينقطع، وثبوت الجبل لا يزول. أي إنا لازمون لهذه الأشياء، قائمون بها أبدا، لا نرتدُّ عنها ولا نَنْقُضها.

والنَّعَم: اسمُ جنسٍ، يقع على الإبل والبقر والغنم، وأكثر ما يُستعمل في الإبل، وقيل إنه واحدُ الأنعام، وهي الأموال الراعية. والنَّعَم لا يؤنَّث، والأنعام تذكَّر وتؤنَّث، وتقعان على القليل والكثير.

والهَمَل، بفتحتين: المهملة التي لا رُعاةَ فيها ولا مَن يُصلحها ويهديها، ومنه المثل[3]: «اختلط المَرْعيُّ بالهَمَل» أي الخير بالشر، والصحيحُ بالسَّقيم. وواحد الهَمَل: هامِلٌ، كطَلَبٍ وطالِب.

والأغفال: جمع غُفْل، بالضم، وهي النَّعَم التي لا سِمةَ عليها. وقيل: الغُفْل: الذي لا يُرجَى خيره ولا شرُّه. وقيل: أراد بها التي لا ألبانَ لها، من قولهم: أرضٌ غُفْلٌ، إذا لم تُمْطَر. وهو الأشبَهُ.

وبَضَّ الضَّرْعُ يَبِضُّ: إذا قَطَر منه اللَّبَنُ. وبَضَّ الحجرُ: إذا خرج منه القليلُ من الماء.

والبِلال، بالكسر والفتح: النَّداوَةُ واليسير من الماء قَدْرَ ما يَبُلُّ الشيءَ.

---

(١) قال السهيلي: يقال لكل صنم من حجر أو غيره: صنم، ولا يقال: وثن إلا لما كان من غير صخرة، كالنحاس ونحوه. الروض الأنف ٦٢/١.

(٢) في بلاد قيس من أعمال المدينة، لا ينبت شيئاً. معجم ما استعجم ص ٩٩، في رسم (أبلى)، ومعجم البلدان ٣٩٣/١.

(٣) جمهرة الأمثال ١١٠/١، والمستقصى ٩٥/١، ومجمع الأمثال ٢٣٨/١، والفائق، وما ذكره المصنف في شرح المثل سلخه من كلام الزمخشري في الفائق.

والبلال بالكسر: جمع بَلَلٍ، وأراد به اللبنَ، لأنه يَبُلُّ ما مَسَّه، أي إنها لُهزالها ما تقطُر ضُروعُها بلبَنٍ يَبُلُّ[(١)].

والوَقِير: الغَنم الكثيرة. قال أبو عبيدة: لا يقال للقَطِيع وَقِيرٌ حتى يكون فيه الكلبُ والحمار الذي يحمل الراعي عليه متاعَه.

والرَّسَلُ، بفتح الراء والسين: ما يُرْسَل من الماشية إلى المرعَى، وهو فَعَلٌ بمعنى مُفْعَلٌ[(٢)]. وجمعه: أرْسالٌ. وقيل: هو القطيع من كل شيء. وقيل: هو ما بين عَشْرٍ إلى خمسٍ وعشرين من الإبل والغنم. ومنه قولهم: جاءوا أرسالا، أي جماعاتٍ متفرقة. وقيل: هو التفرّق والانتشار في المرعى، لقلّة النبات وتفرُّقه.

والرِّسْل، بكسر الراء: الَّلبَنُ، أي هي كثيرة العدد عند الخروج إلى المرعى، قليلة اللبن لُهزالها.

والسَّنَة الحمراء: الشديدة المُجْدبة، لأن الآفاق تحمرُّ وتغبرُّ في سنة الجدب.

ويروى: «سُنَيَّةٌ» بالتصغير، فإن صحَّت، فإنه أراد تشديد أمرها وتعظيمه، كما يقال: أصابتهم دُوَيهْيَةُ الدهر، وأتتهم الدُّهَيْماء[(٣)] أي فتنةٌ مظلمةٌ، وهو الذي يسمونه تصغير التعظيم[(٤)]، ومنه قول أوس ابن حَجَر[(٥)]:

فُـوَيْق جُبَيْلٍ شامـخِ الـرأسِ لم يكن ... لـيـبـلُغَـه حـتى يَـكِـلَّ ويُـعْـمِـلا[(٦)]

صغَّر جُبَيْلًا ثم بالغ في صفة علوِّه.

والمُؤْزِلَة، هكذا تروى بهمزة ساكنة وكسر الزاي الخفيفة، وفُسِّرت أنها الجائيةُ بالأَزْل، والأَزْل:

---

(١) نسب الهروي هذا الشرح إلى ابن قتيبة. الغريبين ٢٠٩/١، وهذا مما يؤكد أن ابن قتيبة أورد حديث طهفة وشرحه، وقد أسلفت القول أني لم أجده في المطبوع من كتابه غريب الحديث.

(٢) هذا شرح ابن قتيبة، كما حكى المصنف في النهاية، عن الخطابي، وضعَّفه الخطابي، وقوَّى التفسير الأخير، في كلام طويل تراه هناك.

(٣) أتى هذا في حديث حذيفة، ذكر الفتنة فقال: «أتتكم الدهيماء، ترمي بالنشف، ثم التي تليها ترمي بالرضف، والذي نفسي بيده ما أعرف لي ولكم إلا أن نخرج منها كما دخلنا فيها». الفائق ٤٤٩/١، والنهاية (دهم).

(٤) عبارة الهروي: «وصغر السنة تشديداً لأمرها وتنكيراً». الغريبين ٤٥/١، هذا وقد ذكر الهروي وجوهاً كثيرة للتصغير في ترجمة (سنة) من الغريبين.

(٥) ديوانه ص ٨٧، وتخريجه في ١٦٤.

(٦) رواية الديوان:

......لم تكن ... لتبلغه حتى تكل وتعملا

والسياق هناك على الخطاب.

الضيق. يقال: أَزَلَه يأزِلُه أزْلاً، إذا حبسه وضيَّق عليه. والرواية لا تنتظم مع هذا التصريف، لأن المؤزلة من آزَلَتْ، بالمدّ. فإن صحّت الرواية فيكون قد عدَّى الفعلَ بالهمزة، يقال: أَزَلَ الأمرُ يأزِلُ، إذا ضاق واشتدّ، وآزلَه غيرُه.

وفي كتاب الزمخشري: «الْمُؤَزِّلة» بفتح الهمزة وتشديد الزاي[1]، فإن صحّت الرواية فيكون قد عدَّى الفعلَ بالتشديد، للتكثير.

والعَلَلُ: الشُّرب بعدَ الشُّرب. والنَّهَلُ: الرِّيُّ، وقد نَهِلَ يَنْهَل نَهَلاً. أي لا نجد ما نَرْوَى منه، ولا ما نشرَبُه ثانياً بعد الأول من قلّة الماء، أي إنا دخلنا في الإسلام راغبين مع هذه الحال الشديدة.

والَمحْض، بالحاء المهملة: اللبن الخالص غيرُ المَشُوب بالماء. والَمخْض، بالخاء المعجمة: اللبن الممخوض لإخراج زُبْدِه.

والَمذْق: المَمْذُوق المخلوط بالماء.

والفِرْق بالكسر: فسَّره بعضهم باللبن أيضاً، وقيل هو بالفتح: نوعٌ منه، وقيل المفتوح: مِكيالٌ يُكال به اللبن[2]، والمعروف في الكسر أنه القَطِيعُ من الغنم.

والدَّثْر: المال الكثير، وفسَّره بعضهم بالخِصب، وهو في الواحد والاثنين والجمع والمذكَّر والمؤنَّث بلفظٍ واحد، لأنه مصدر. يقال: أدْثَر الرجلُ: إذا اقْتنَى، دَثْراً.

واليانع: الُمدْرِك، وقد يَنَعَت الثَّمرةُ وأيْنَعَتْ. والباء في «بيانع»[3] للتسبيب، أي بسبب يانع الثمر، أو معه[4].

والثَّمَدُ: الماء القليل.

وفَجْرُه: فَتْحُه وإغزارُه. وقد فَجَره وفَجَّره.

---

(١) الذي في الفائق: «المؤْزِلة» بسكون الهمزة وكسر الزاي مخففاً، بضبط القلم، ولم يقيده الزمخشري بالعبارة.

(٢) وهذا المكيال قال في ضبطه الزمخشري: «فيه لغتان، تحريك الراء، وهو الفصيح، وتسكينها» الفائق ١٠٤/٣، وحكى الهروي عن أحمد بن يحيى، ثعلب: «قل: فرق، بفتح الراء، ولا تقل: فرْق» الغريبين (فرق).

(٣) في الأصل: «والياء في يانع» وأصلحته كما ترى. وجاء بحاشية الأصل هذا التعليق: «قوله: «والياء في يانع للتسبيب» وهم، وصوابه والله أعلم: «والباء» منقوطة بواحدة، لأنها في لفظ الحديث: «وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر» وهو تفسير قوله عليه السلام: «بيانع»، ولم يقل أحد: الياء للتسبيب قط. ولم أرَ أن أصلحه، لأنه مقروء في هذه النسخة على مصنفه، وخطه عليها، وكان ينبغي أن تكون العبارة: «في بيانع الثمر». والله أعلم».

(٤) هذا من كلام الزمخشري في الفائق.

وفي رواية: «وابعَثْ راعيَها على الدَّثْر» وهو دعاءٌ لهم بكثرة مَواشيهم.

وفي رواية أخرى: «واحبِسْ راعيَها في الدَّثْر» وهو دعاءٌ لهم بكثرة النبات والخِصْب؛ لأن الراعيَ إذا وجد موضعاً فيه مَرْعىً كثير وماءٌ غزير، احتَبَس عليه ولم يبرح.

والضمير في «له» للراعي أو لِطهفة؛ لأن الخطاب معه، وفي «لهم» لِطهفَة وأصحابه الوافدين

والودائع: العُهود، جمع وَدِيع، وهو مِن تَوادَعَ الفريقان: إذا تعاهدوا على ترك القتال، واسم ذلك العَهْد: الوَدِيعُ[1]. . تقول: أعطيته وَدِيعاً: إذا أعطيتَه عَهْداً.

وقيل: أراد بودائع الشِّرك: ما كانوا استُودِعُوه من أموال الكُفَّار الذين لم يدخلوا في الإسلام. أي إنها حلالٌ لكم، لأنه مالُ كافرٍ قدَرْتُم عليه، يدلُّ عليه ما بعده من قوله في الرواية الأخرى: «ما لم يكن عهدٌ ولا مَوعِد». أي ما لم يأخذوا عليكم فيه عهداً، أو التزمتم لهم به وعداً، فحينئذ يجب عليكم أداؤُه إليهم.

ووضائع المُلْك: هي ما كان عليهم من الخراج والقطائع لملوك الجاهلية. وواحد الوضائع: وَضِيعة. أي لا نأخذ منكم ما كان ملوككم وَظَّفُوه عليكم، بل هو لكم مطلَقٌ. وقيل: أراد بالوضائع الوظائفَ التي وُظِّفَتْ على المسلمين من الصدقات والزَّكَوات، لا نَزِيدُ عليكم فيها. هكذا فسَّره القُتَيْبيّ.

قال أبو موسى: والأوّل أولى، لأنه قد جعل النبوَّةَ في هذا التأويل مُلْكاً، والنُّبوّة لا تسمَّى مُلْكاً، ويدلّ عليه قولُ ابي سفيان بن حرب للعبّاس يومَ الفتح: لقد أصبح مُلْكُ ابنِ أخيك عظيمًا، فقال له: ويلك، ليس بمُلك ولكنها النُّبوّة.

وهذا القول مبنيٌّ على أن المُلْك بضم الميم، والذي رأيت في كتاب القُتيبيّ: «وضائع المِلْك» بكسر الميم، فإنه قال: هي الوضائع نُوظِّفها على المسلمين في المِلْك، وهو ما يُلْزَمُه الناسُ في أموالهم. فإن صحت الرواية بالكسر، صحّ تأويلُه.

وألَطَّ يُلِطُّ، ولَطَّ يَلُطُّ، فهو مُلِطٌّ ولاطٌّ: إذا دَفَع عن حَقٍّ يَلْزَمه، وسَتَرَهُ.

والإلحادُ: الميلُ عن الحقّ إلى الباطِل، وقد ألحد يُلحد فهو مُلْحِد.

وقوله: «في الحياة» أي مع دوامها وامتدادها.

---

(١) هذا قول ابن قتيبة، كما أفاد الهروي في الغريبين (ودع)، وذلك دليل آخر على أن ابن قتيبة ذكر حديث طهفة وشرحه، وسيأتي نظيره في كلام المصنف قريباً.

والفَريضة: الهَرمَةُ من النُّوق، وهي الفارضُ أيضاً، وقد فرضتْ فهي فارِضٌ وفارِضةٌ وفَريضة، فهي فعيلة بمعنى فاعل.

والعارِضُ: الناقة التي أصابها كَسْرٌ أو مَرَضٌ، وكذلك الشاةُ، ومنه قولهم: بَنُو فلانٍ أكّالُون للعوارض، إذا كانوا لا ينحرون إلا مريضاً أو كَسِيراً(١).

والفَرِيشُ: الحديثة العَهْدِ بالوِلادة، وهي كالنُّفَساء من النِّساء. وأراد ذاتَ اللبن.

ولم يرد بقوله: «لكم كذا وكذا» أنَّا لا نعُدُّها عليكم، وإنما أراد أنَّا لا نأخذ منكم المَعِيب، لأن فيه إضراراً بأهل الصَدقة، ولا نأخذ منكم ذاتَ الدَّرّ، لأن فيه إضراراً بكم، ولكنا نأخذ الوسَطَ من أموالكم.

وذو العِنان: الفَرَسُ، وأضافه إلى العِنان، لأنه يُلْجَم عند الرُّكوب.

والرَّكُوب: الذَّلُول المركوب، فَعُولٌ بمعنى مفعول.

والفَلُوُّ: المُهْرُ.

والضَّبِيْسُ: الصَّعْب، وهو في الناس: العَسِرُ. أراد: إنّ لهم ما ركبوا من الخيل وأولادها، واقتَنَوْه منها، ويدلُّ عليه قوله عليه السلام: «قد عَفَوْنا لكم عن صدقة الخيل».

والسَّرْحُ: الماشيةُ، بمعنى السارِحة، وهي التي تَسْرَحُ إلى المَرْعَى، أي تذهب.

ومَنْعُه: دَفْعُه عن المرعَى. أي لا يمنعُه أحدٌ عن الرعي.

ورُوي: «لا يُقْطَع سَرْحُكم» على أن السَّرْحَ جمع سَرْحةٍ، وهي الشجرة العظيمة.

والطَّلْحُ: شجرٌ معروف من العِضاه وشجرِ الشوك. وعَضْدُه: قَطْعُه. وقد تقدم في أول الحديث.

والدَّرُّ: اللبن. وأراد ذوات الدَّرِّ. أي لا تُحْشَر إلى المُصدِّق فتُحبس عن المرعى.

والأُكْلُ، بالضم: القُوتُ. أي لا تؤكل أقواتكم ووجوهُ مَطاعِمكم.

ورُوي: «لا يُوكل كَلُّكم(٢)» من الكَلِّ: العيال. أي لا تُوكل عِيالُكم إليكم فيما لا تُطيقونه. ويشهد له قولُه عليه السلام: «مَن ترك كَلًّا فإلَيْنا».

---

(١) زاد في النهاية: خوفاً أن يموت فلا ينتفعون به، والعرب تعير بأكله.

(٢) أورده المصنف في النهاية، في ترجمة (كلل) ولم يذكره في (أكل).

والإضمار: جَعْلُ الشيء في الضمير، وهو ما تنطوي عليه السَّريرة.

والإماق: تخفيف الإمْآق، بحذف الهمزة بعد إلقاء حركتها على الميم الساكنة قبلها، مثل قولهم في إقرَأْ آية: إقْرَ آية، حذفت همزةُ آية، بعد أن ألقيت فتحتُها على همزة[1] اقرأ الأخيرة، فصارت بوزن اقْرَعاية.

والإمآق: من أماق الرجلُ: إذا صار ذا مَأْقَةٍ، وهي الحميَّة والأَنَفة، كقولك: أكْأَب الرجلُ من الكآبة. المعنى: ما لم تُضمروا الحَمِيَّةَ وأنَفَة الجاهليّة التي منها يُنْتَج النَّكْثُ والغَدر.

قال الزمخشري: وأوجَهُ من ذلك أن يكون الإماق مصدر أماق، على ترك التعويض[2] بالهاء، كقوله تعالى[3]: ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ والأصل: إماقة وإقامة، وهوَ أفعل من الُموقِ: الُحمْق، والمراد: ما لم تُضمروا الكفرَ والعملَ على ترك الاستبصار في دين الله تعالى. وقد وصف الله عز وجل في غير موضعٍ من كتابه المؤمنين بأُولى الألباب، والكافرين بأنهم لا يعقلون.

ورُوي: «ما لم تُضمروا الرِّماق» مصدر رامَقَني، وهو نَظَرُ الكاشِحِ والمُعْرِض، والمرادُ: النفاق، وقيل: هو من قولهم: عيشُ فلانٍ رِمَاقٌ، أي ضَيِّقٌ. يريد: ما لم تضق صدورُكم عن أداء الحقّ[4].

والرِّباق: جمع ربْق، وهو الحَبْل، وأصله أن الغنم إذا ولدتْ أخذوا حَبْلاً وشدُّوا فيه عُرًى، وجعلوا في عُنُق كل سَخْلَة عُرْوةً، وكلّ عُروة رِبْقَةٌ. وأراد به هاهنا العَهْدَ، شبَّه ما لَزِمَ أعناقَهم من عَهْد الإسلام وعَقْده بالرِّبْق في أعناق البَهْم، وشبَّه نَقْضَه بأكل البَهْمة رِبْقَها، وقطعِه والذهابِ حيث شاءت.

والذِّمَّةُ: الأمان. والرِّبْوة: الزيادة على ما فُرِض على المُذْعِن المطيع. جعل ذلك عقوبةً لإبائه وامتناعه، وكلُّ شيءٍ زاد فقد رَبَا.

وقوله في الرواية الآخرة: «ما لم يكن عَهْدٌ ولا موعدٌ» أي ما لم يكن ذلك خِلافاً لعَهْد أو موعدٍ منّى، أو على ما تقدّم من الوجه الآخر، وما لم يوجد منكم تثاقلٌ عن الصلاة فتتركونها، ولم يحصل منكم تَلَطُّطٌ في الزكاة، أي تقاعُدٌ عن أدائها، أو سترُ ما يجب فيه وإخفاؤه، أوَتلَحُّدٌ في الحياة، أي

---

(١) هذا كله من كلام الزمخشري في الفائق.

(٢) في الفائق: على ترك التعويض، كقولهم: أريته إراء، وكقوله تعالى....

(٣) سورة الأنبياء ٧٣، والنور ٣٧، وآية الأنبياء بفتح الميم، وآية النور بكسرها.

(٤) ويروى أيضاً: «ما لم تضمروا الرِّفاق»، وحكاها المصنف في النهاية (رفق) وفسره بالنفاق.

ميلٌ عن الحقّ ما دمتم أحياء. كذا رواه أبو موسى على التّفعُّل والتّفاعُل، وقال: روى القُتَيبيُّ هذه الألفاظَ على لفظ النهى للواحد المخاطَب، يعني: لا تُلْطِطْ في الزكاة، ولا تُلحدْ في الحياة، ولا تتثاقلْ عن الصلاة. قال: ولا وَجْهَ له، لأنه يخاطب الجمعَ ويشترط عليهم. والذي في كتاب الزمخشري بالنون[1]: «لا نُلْطِطُ ولا نُلْحدُ ولا نتثاقل على الخبر»[2] وهو أحسنها. والله أعلم.

وقوله: «ورَبيتُ في بني سعد» أي نشأت فيهم. وبنو سعدٍ: عشيرة سعد بن بكر بن هوازِن، لأن حليمة بنت أبي ذُؤَيب السَّعدية كانت مرضعةَ النبيّ عليه السلام، ومربّيتَه إلى أن نشأ، وردَّتْه إلى أهله[3].

(١) الذي في الفائق بالتاء المثناة من فوق، كرواية ابن قتيبة التي ضعّفها أبو موسى.
(٢) هكذا في الأصل، والذي في الفائق: «عن الصلاة»، وهو الذي سبق عندنا في متن الحديث.
(٣) بحاشية الأصل: بلغت القراءة على مصنفه إلى هاهنا. والحمد لله حق حمده.

حَدِيثُ خُزَيمَة بن ثَابت

أو ابن حكيم السُّلمىّ ثم البَهْزيّ وليس بالأنصاريّ

خرج مع النبيّ ﷺ في عِيرٍ لخديجة بنت خُويلد، إلى الشام[1]، وكانت بينه وبين خديجة قَرابةٌ، فقال له: يا محمدُ، إني أرى فيك خِصالاً، وأرى عليك من الناس محبّةً، وأشهد أنك النبيّ الذي يخرج من تِهامةَ، وقد آمنتُ بك، فإذا سمعتُ بخروجك أتيتُك . .

فلما انصرفوا رجع خُزيمةُ إلى بلاده، فأبطأ عن رسول الله ﷺ، حتى كان يوم فتح مكة، فوقف على النبيّ عليه السلام، فلما رآه قال: مرحباً بالمهاجر الأوّل، ما الذي بَطَّأً بك يا خزيمة؟ أين ما وعدتني؟ قال: يا رسولَ الله، ما منعني أن أكون مِن أول مَن أتاك، وأنا مؤمنٌ بك، غير منكرٍ لبَيْعتك، ولا ناكثٍ لعَهْدِك، وأنا مُقِرٌّ بالقرآن، كافرٌ بالطُّغيان، مؤمن بالرحمن، بريء من الأوثان، والله لقد أتيتك وعُذْري عَدَدَ[2] أصابعي هذه، فما نَهْنَهَني عنك أن لا أكونَ أوّلَ مَن دان بدينك وأجاب دعوتك، إلا أنه أصابتنا بعدَك سنواتٌ شِدادٌ متواليات، تركت المُخَّ راراً، والمطيَّ هاراً، غاضَتْ لها الدِّرَّة، ونَقَصتْ لها الثَّرَّة، وعادَ لها النِّقادُ مُجْرَنْثِما، والذِّيخُ مُحْرَنْجما، والفَريشُ مُسْحَنْكِكا، والعِضاهُ مُسْتَحْلِكا، أيْبَسَتْ بارضَ الوَديس، واجتاحَتْ جَميمَ اليَبيس، وأفْنَتْ أصولَ الوَشيج، حتى آلَ السُّلامَى، وأخْلَفَ الخُزامَى، وأيْنعت العَنمةُ، وسَقَطت البَرَمَةُ، وبَصَّت الحَلَمةُ، وتَفَطَّرَ اللِّحاءُ، وحَمَلَ الراعي العُجالَةَ، واكتفى مِن حَمْله بالقَيْلَة، أتيتُك مُسْرِعاً غيرَ مبدِّلٍ لقولي.

فقال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى يعرض على عبده نصيحةً، فإن قَبِلها سَعِد، وإن تركها شَقِيَ، وإن الله عزّ وجلّ يبسُط يدَه لمسيء الليل بالنهار ليتوبَ، فإن تاب تاب الله عليه، ولمسيء النهار بالليل ليتوبَ، فإن تاب تاب الله عليه، وإنّ الحقَّ ثقيلٌ كثِقَله يومَ القيامة، وإن الباطِلَ خفيفٌ كخفّته يومَ القيامة، وإن الجنةَ محظورٌ عليها بالدَّآليل، وإن النارَ محظورٌ عليها بالشهوات. انْعَمْ صباحاً، تَرِبَتْ يداك.

---

(١) بحاشية الأصل: بلغت مقابلة لفرعه وتصحيحاً لهذا الأصل. ولله الحمد والمنة.

(٢) هكذا ضبط في الأصل بالنصب.

وفي رواية[١]: تركت المُخَّ رزاما، والمَطيَّ هاماً، وغاضَتْ لها الدِّرَّة، وتَبعَتْ لها الثَّرَّة، وعاد لهاالنِّقادُ مُتجَرثِما، والعِضاهُ مُسْتَخْلِفا، والوشيجُ مُسْتَحْنِكا، حتى قُطَّتِ القَنِطة. وذكر باقي الكلمات نحو ما تقدم.

*

* *

وفي الحديث طولٌ، إلا أنه لا يتضمّن غريباً، وهو حديثٌ غريبٌ، إسناداً ومَتْناً[٢]. رواه الطَّبَراني في المعجم الكبير، وغيرُه من العلماء بإسنادهم إلى ابن جُرَيج، عن عطاء، عن جابرٍ أن خُزَيمة...

ورُوي من طريقٍ آخر عن ابن جُرَيج، عن الزُّهْريّ مُرسَلاً، أن خزيمة...

قال أبو موسى رحمه الله: وهو أولى من رواية ابن جُرَيج عن عطاء عن جابر.

وأخرجه أبو عبيد أحمد بن محمد الهرويُّ، في كتابه، مُفرَّقاً في أبوابه.

شرحه

السُّلَميّ: منسوب إلى سُليم بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قيس عَيلان.

والبَهْزِيّ: منسوبٌ إلى بَهْز بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُلَيم، بَطْنٌ منهم.

والعِيرُ: الإبل تحمل المِيرةَ والبَزَّ وغيرهما من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ للتجارة وغيرها.

والمهاجر: من ترك وطنَه وانتقل إلى غيره رغبةً فيه، وهو في الأصل: اسم فاعلٍ من الهَجْر ضدِّ الوَصْل، وهو في الإسلام اسمٌ لمن أسلم، وخرج من وطنه إلى النبيّ ﷺ، بالمدينة، وأقام عنده، وإنَّما سمّاه المهاجِرَ الأولَ، إشارةً إلى صحبته معه أولاً وإيمانه به.

والنَّكْث: نَقْضُ العهد، وهو مِن نَكْثِ الحبلِ المفتول.

---

(١) وهي رواية الطبراني، كما ذكر المصنف في ترجمة (رزم) من النهاية.

(٢) قال ابن حجر: «وإسناده ضعيف جداً مع انقطاعه». وترجمه في «خزيمة بن حكيم» ثم أفاد أن الطبراني رواه في الأوسط. الإصابة ١١٢/٢، وانظر أسد الغابة ١٣٤/٢، ١٣٥.

والطُّغيان: مُجاوزة الحَدِّ، ويريد به مخالفةَ سُنن الإسلام وحُدودِه.

والأوثان: جمع وَثَنٍ، وهو كلّ ما يُعبد من دون الله، وفيه وفي الصنم خِلافٌ قد تقدَّم في حديث طِهفة.

والرحمن: اسمٌ خاصٌّ لله تعالى، لا يُطْلَق على غيره، وهو فَعْلانُ، من الرحمة، للمبالغة.

والنَّهْنَهَةُ: الكفُّ والمنع والزَّجر عن الشيء، والأصل فيه: نَهَّهَ، بثلاث هاآت، فأبدلوا من الهاء الوسطى نُوناً للفرق بين فَعْلَلَ وفَعَّل.

والدِّين: الطاعة، يقال: دانَ له يَدينُ: إذا أطاعه ودخل تحت حُكمِه، ودان فُلانٌ بدِين فلان: إذا أخذ به وتابَعه عليه.

والسَّنوات: جمع صِحَّة لسَنةٍ، ويريد بها الجَدْبَ، ولذلك وصفها بالشِّدَّة.

والرَّارُ: الرَّقيق الذائب لشدّة الجَدْب والهُزال، فإن المُخَّ مع السِّمَن يكون ثَخيناً يملأ العَظْم.

والمَطِيّ: جمع مَطِيَّة، وهي الناقة التي يُرْكب مَطاها، أي ظَهْرُها، وقيل: لأنها يُمْطَى بها في السَّير، أي يُمَدّ، يقال: مَطَوْتُ بهم في السَّير، أَمْطو مَطْواً.

والهارُ، بتخفيف الراء: الساقِطُ الضعيف، مِن هارَ يَهُورُ هَوْراً، فهو هائرٌ وهارٌ وهارٍ، بالرفع والجرّ، فأما هائرٌ فهو الأصل، كقائلٍ من قال، وأما هارٌ بالرفع، فعلى حذف الهمزة، وأما هارٍ بالجرّ، فعلى نقل الهمزة إلى بعدِ الراء، وجَعْلِها ياءً، ثم عُمِل بها ما عُمل بالمنقوص، نحو قاضٍ وداعٍ، وكما عملوا في شاكي السِّلاح، من شائك.

ويُروى: «هارّاً» بالتشديد، مِن هَرَّ يَهِرُّ: إذا كَلَح في وجهه وصاح عليه، كما يَهِرُّ الكلبُ. أي هَرَّ بعضُها في وجه بعض من الجَهْد وشدّة الزمان.

والغَيْض: النَّقْص، وغاضت العينُ: إذا غارَتْ.

والدِّرَّة: اللَّبَن والمطر.

والثَّرَّة: كثْرةُ اللَّبن. يقال: سحابٌ ثَرٌّ: كثير الماء، وناقةٌ ثَرَّة: واسعةُ مَخرج اللبن من الضَّرع، ويقال فيها: الثِّرَّة، بالكسر[1].

والنِّقاد: جمع نَقَدٍ، بالتحريك، وهي رُذال الضَّأن وصِغارها.

---

(١) تكلم الهروي على الكسر والفتح، فانظر مقالته في الغريبين ٢٧٨/١.

والمُجْرَنْثِم: المُجْتمِع المُتقبِّض، وتجمُّعُها من الجَدْب، لأنها لا تجد مرعىً تنتشر فيه. والنون زائدة. ولم يقل: مُجْرَنْثِمة، لأن لفظ النِّقاد لفظُ الاسم الواحد، كالجِدار والحِمار[1].

وفي روايةٍ: «اليَراعُ» بدل «النِّقاد». واليَراعُ: الضِّعاف من الغنم وغيرها، والأصل في اليراع: القَصَبُ، ثم سُمِّيَ به كلُّ ضعيف، ولذلك قيل للجبان: يَراعٌ، كأنه خالي الجَوف مِن قلبِه، خُلُوَّ باطن القصَب.

وعادَ في الأصل بمعنى الرُّجوع إلى الشيء المفارَق، وهو هاهنا بمعنى «صارَ» مجازا واتِّساعاً، ولهذا فُسِّر قوله تعالى[2]: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ في مِلَّتِنا﴾ أي لَتصيرُنّ، لأن صالحاً عليه السلام لم يكن في مِلّتهم.

والذِّيخ، بالذال والخاء المعجمتين: ذَكَر الضِّباع، والأنثى: ذِيخَة.

والمُحْرَنْجِم: الكالحُ المُتقبِّض مِن شدَّة الجَدْب، والنون زائدة. أي عَمَّ المَحْلُ حتى نالَ السِّباعَ والبهائمَ[3].

والفَريشُ: صِغَار الإبل، وقيل: إنما صِغَارها الفَرْشُ[4]. والفَريش: الناقة التي ولدت حديثاً، كالنُّفَساء مِن النِّساء. وقيل: الفَريش من النَّبات: ما انبسط على وجه الأرض، ولم يَقُم على ساق[5]. وقال الأزهري[6]: هو الموضع الذي يكثُر فيه النبات.

والمُسْحَنْكِك: الشديدُ السَّوادِ، من الاحتراق. يقال: اسْحَنْكَك الليلُ: إذا أظلمَ، والنون زائدة.

والعِضاهُ: شجر الشوك، واحدتها عِضَةٌ، وهي أنواعٌ كثيرة.

والمُسْتَحْلِك: الأسودُ، يقال: أسودُ حالكٌ، أي شديدُ السَّوادِ، والسين والتاء زائدتان. ولو قيل في المسحنكك إن السين زائدة والنون أصليّة، من قولهم: أسودُ حالكٌ، بمعنى حانِك، لَجازَ.

والبارضُ: أول ما يبدو من النبات، من البُهْمَى وغيرها، وهو نَبْتٌ ينبُت في السَّهْل، فهي ما

---

(١) هكذا بالحاء المهملة في الأصل، وتحتها حاء صغيرة علامة الإهمال، وكذلك جاء في أصل الغريبين ٣٣٩/١، وجاء في النهاية واللسان «الخمار» بالخاء المعجمة.

(٢) سورة الأعراف ٨٨، وإبراهيم ١٣.

(٣) زاد في النهاية: يقال: حرجمت الإبل فاحرنجمت: أي رددتها فارتد بعضها على بعض واجتمعت.

(٤) هذا من كلام أبي بكر بن الأنباري، كما ذكر الهروي في الغريبين (فرش).

(٥) كأنه مفروش عليها، وهو قول ابن قتيبة، كما ذكر الهروي.

(٦) لم أجده في التهذيب في ترجمة (فرش)، وهو مما سمعه الهروي من الأزهري، وحكاه في الغريبين.

دامت صِغاراً: بارِضٌ، فإذا طالَتْ تَبيَّنَتْ أنواعُها. وقيل: هو ما بَرَضَ من النَّبت، أي طلعَ وكَسَا وَجْهَ الأرض.

والوَدِيسُ والوَدْسُ: أوّل نبات الأرضِ، وأوْدَسَتِ الأرضُ وتَوَدَّسَتْ: إذا أنْبَتَت ما غَطَّى وَجْهَها، وقيل: هو ما طالَ منه وكثُر.

واجتاحَتْ: أهْلَكَتْ واستأصَلَتْ.

والوَشْيجُ: ما التفَّ من الشَّجر. أي أفنَتْ أصولَ الشجر، إذ[1] لم يَبقَ في الأرض ثَرىً ولا نَداوة. وقيل: الوشيج: نباتٌ له أغصانٌ ووَرَقٌ لِطافٌ.

والجَمِيم: نَبْتٌ يطُولُ حتى يصيرَ مثل جُمَّة الشَّعَر، وقيل: هو ما طال من البارِض، والعَمِيمُ أطْوَلُ منه.

واليَبِيسُ: اليابِسُ من النبات. يقال: يَبِس فهو يَبِيسٌ، مثل سَلِم فهو سَلِيمٌ.

وآلَ: بمعنى عادَ ورجَع، والأَوْلُ: الرُّجوع.

والسُّلامَى: عِظام الأصابع، جمع سُلامِيَةٍ، وهي الأُنْمُلة من أنامل الأصابع. أي عاد المُخُّ إلى العَظْم، يقال: آخِرُ ما يَبْقَى المُخُّ في السُّلامَى[2].

والخُزامَى: نَبْتٌ له زَهَرٌ أزرقُ طَيِّبُ الرِّيح، وهو خِيَرِيُّ[3] البَرِّ.

وأخْلَفَ النَّبْتُ: إذا أخرج نباتاً وزَهراً، فصار يَخْلُفُ نباتاً قبلَه.

والعَنَمَةُ: واحدة العَنَم، وهو شجرٌ له أغصانٌ دِقاقٌ، وثَمَرٌ أحمرُ ناعمٌ، يُشَبَّه به البَنانُ.

وأيْنَعَت الثَّمَرةُ ويَنَعتْ: إذا نَضِجَتْ وأدركَتْ.

والبَرَمَةُ: واحدة البَرَمِ، وهو ثمر الأراك، ولا طَعْمَ له، كانوا يُضطَرُّون إلى أكله عند الجَدْب، فلما جاء الخِصْبُ سقط من شَجَرته واستَغْنَوا عنه.

وبَضَّتْ: أي سالَتْ وتحلَّبَتْ، وكذلك ضَبَّتْ، على القَلْب.

---

(١) هكذا في الأصل والنهاية. وفي الغريبين (وشج): إذا.

(٢) عبارة المصنف في النهاية: «إن آخر ما يبقى فيه المخ من البعير إذا عجف: السلامى والعين». وعبارة الهروي في الغريبين (سلم): السلامى آخر ما يبقى فيه المخ.

(٣) من الخير، بكسر الخاء، وهو الكرم والجود. ويقال للخزامى: خيري البر، لأنه أذكى نبات البادية ريحاً. المصباح المنير.

والحَلَمةُ: رأس الثَّدْي والضَّرع، وهو أيضاً نَباتٌ ينبُت في السَّهْل.

والتَّفَطُّر: التَّشَقُّق.

واللِحاء: قِشْر الشجر. أي تشقَّق فطلعت فروعُه وأغصانُه لإخراج الثمر.

والعُجالة، بالضم: اللَّبَن الذي يحمله الراعي من المرعَى إلى أصحاب الغنم قبل أن تَصْدُر وإنما يفعل ذلك إذا كثُر اللبنُ عليه، فيحلُبها في المرعَى.

ويروى: «العِجالة» بالكسر، وهي ما يحمل الراعي عليه زادَه، كالتَّيس والكَبْش.

وقيل: هما بالضم والكسر: ما يتعجَّله الإنسانُ.

والقَيْلَة، بالفتح: شُربُ نصف النهار، مِن القائلة: شدَّةِ الحَرّ. أي إن الراعيَ يكتفي بشربه نصفَ النهار، ولا يَعْرِض لما يحمله، من كثرة اللبن.

وبَسْطُ اليدِ: كناية عن الكَرم والجُود، وفَتْحِ باب البِرِّ واللُّطْف والرحمة.

ومُسِيء الليلِ والنهارِ: من باب إضافة اسم الفاعل إلى الظَّرف، أي المُسِيء فيهما. والباء في الليل والنهار متعلِّقة بيَبْسُط.

والحَظْرُ: المَنْعُ، والمحظور: الممنوع، كأنه جُعِل عليه حَظِيرةٌ، وهو ما يُتَّخَذ من الشجر حولَ الغنم.

والدَّآلِيلُ: الدَّواهي والشدائد، واحدها: دُؤْلُولٌ(١).

وقوله: «انْعَمْ صَبَاحاً» أي نَعِمْتَ في صباحك، وأنْعَم اللهُ صباحَك، من النَّعْمة والرَّفاهية، وهو من تحايا العرب، كانوا يقولون: انْعَمْ صباحاً، وانْعَمْ مساء وظَلاماً، وعِمْ صباحاً، كأنه محذوف، من نَعِمَ يَنْعِم، بالكسر، كقولهم: خُذْ، من أخَذَ يأخُذُ.

وقوله: «تَرِبَتْ يداك»: أكثَرُ العلماء على أن هذا اللفظَ إنما يقال في الدعاء بالخير، والتعجُّب في الغالب، كما يقال: لِله دَرُّكَ، ولِله أبوك. وقد تكررت هذه اللفظةُ في الحديث، وفي كلام العرب، وأكثَرُ ما يُراد بها الدعاء والتعجُّب، وإن كان أصلُها خلافَ ذلك، لأن تَرِبَ الرجلُ: إذا افتقر، كأنه لَصِق بالتُّراب، ولذلك حمل بعضُهم هذا الحديثَ على ظاهره. أي افتقَرتَ إن خَالفتَ مواعظي. والصحيح أنه أراد به الدعاء، لأنه قرنه بقوله: «انْعَمْ صباحاً».

---

(١) زاد في النهاية: وهذا كقوله: حفت الجنة بالمكاره.

هذا شرح الرواية الأولى، وأما الرواية الثانية: فإن الرِّزام جمع الرَّازِم، وهو المُعْيي المشرفُ على الهلاك، وقد رَزَمَ رُزُوماً[1]: إذا خَوِيَ من الجُوع، فإن صحَّت الرواية فيكون معنى «تركَت المُخَّ رِزاماً»: تركت ذَوي المُخِّ هَلْكَى خاوِيةً، على حذف المضاف، وهو «ذوِي» وإقامةِ المضاف إليه- وهو المُخّ- مقامَه.

والهامُ: جمع الهائم، وهو الذاهب على وجهه، أو جمع الهامة التي كانوا يقولون في الجاهليّة إن عِظام الموتى تصير هامةً، أي طَيْراً، كالبُوم، فتطير من قبر الميِّت. فيكون معناه: إن المَطِيَّ من قِلَّة العَلَف، ذهبت على وجهها في طَلَب الخِصْب، أو أنها ماتت وخرجت منها الهامةُ.

وقوله: «تَبِعَتْ لها الثَّرَّةُ» أي إن الثَّرَّةَ تَبِعت الدِّرَّةَ في النُّقْصان. يقال: تَبِعْتُه وتَبِعْتُ له.

والمُتَجرْثِم: الذي سقط من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ ،أو هومُتَفَعْلِلٌ من اجْرَنْثَمَ: إذا اجتمع وتَقَبَّضَ.

وقوله: «والعِضاهُ مُسْتَخلِفاً». قيل: إنه تصحيف، والرواية: «مُسْتَحْلِكاً» فإن المستخلف مِن أخْلَفَ النباتُ: إذا ظهر من أصوله، وهو فإنما[2] يصف الجَدْبَ لا الخِصْبَ.

والمُسْتَحْنِك: قريبٌ من معنى المُسْحَنْكِك، وهو المُسْوَدّ، إلا أن المُسْتحنك من قولهم: أسودُ حانِكٌ، بمعنى حالِك.

وقوله: «قُطَّتِ القَنِطَةُ» القَطُّ: القَطْعُ عَرْضاً، والقَدُّ: القطع طُولاً. والقَنِطة: قال أبو موسى: لا أعرفها، إلا أن يكون أراد القَطِنةَ، بتقديم الطاء على النون، وهي هَنَةٌ دُون القِبَةِ التي تكون مع الكَرِش. ويقال أيضاً للَحْمةٍ بين الوَرِكين: قَطِنَةٌ. والله أعلم[3].

---

(١) ورُزاما أيضاً، بضم الراء، ومضارعه بكسر الزاي وضمها، على ما في اللسان.
(٢) هكذا بالفاء، وهو وارد في كلامهم.
(٣) بهامش الأصل: بلغ مقابلة وتصحيحاً، ولله الحمد والمنة.

حديث جهيش بن أوس النخعي

قدم على رسول الله ﷺ في نَفَر من أصحابه، فقال: يا نبيَّ الله، إنّا حَيٌّ من مَذْحِج، عُبابُ سالِفُها، ولُبابُ شرفُها، كِرامٌ غيرُ أبْرامٍ، نُجَباءُ غيرُ دُحَّضِ الأقدام، وكائِنْ قَطَعْنا إليك مِن دَوِّيَّةٍ سَرْبَخٍ، ودَيْمُومَةٍ صَرْدَحٍ، وتَنُوفَةٍ صَحْصَحٍ، يُضْحي أعلامُها قامِساً، ويُمْسي سَرابُها طامِساً، على حَراجيجَ كأنَّها أخاشِبُ بالحَوْمانَة، مائلةُ الأَرْحُل، وقد أسلَمْنا على أن لنا مِن أرضنا ماءَها ومرعاها، وهُدَّابَها.

فقال النبيّ ﷺ: اللهم بارِكْ على مَذْحِجَ، وعلى أرض مَذْحِجَ، حَيٌّ حُشَّدٌ رُفَّدٌ زُهْرٌ.

وكتب لهم رسول الله ﷺ، كتاباً على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامِ الصلاة لِوقْتها، وإيتاءِ الزكاة بحَقِّها، وصومِ رمضانَ، فمن أدركه الإسلامُ وفي يده أرضٌ بيضاءُ وقد سقَتْها الأنواءُ، فنصف العُشْر، وما كانت من أرضٍ ظاهرةِ الماءِ العُشْرُ. شَهِد على ذلك عثمانُ بنُ عفَّانَ، وطلحةُ بن عُبَيد الله، وعبدُ الله بن أُنَيْس الجُهَنيّ.

*

* *

أخرجه الخَطَّابيُّ في غريبه، وقال: يُروى هذا الحديث عن عيسى بن يونس، عن الأوزاعيّ، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلَمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة(١).

وأخرج غريبَه الهَرويُّ في كتابه، مُفَرَّقاً، والزمخشري(٢)، تاماً.

---

(١) قال عز الدين ابن الأثير في ترجمة جهيش وقدومه على النبي ﷺ:
«في إسناد حديثه نظر». أسد الغابة ٣٦٨/١، وقال الذهبي في التجريد ٩٣/١:
«ذكر في حديث كأنه موضوع».
وانظر حديث جهيش في طبقات ابن سعد ٣٤٦/١، والإصابة ٢٦٦/١، ٢٦٧، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٦٧/٤.
(٢) الفائق ٣٨٥/٢.

جُهَيْشٌ: تصغير[1] جَهْش، يقال: جَهَشَتْ نفسي وأجْهَشَتْ: إذا نَهَضَتْ إليك وهَمَّتْ بالبُكاء، وجَهِش[2] الصَّبيُّ إلى أُمِّه: إذا فَزِع إليها.

والنَّخعِيّ[3]: منسوب إلى النَّخع، واسمه حَبِيبُ بن عمرو، من عَريب بن زيد بن كَهْلان.

ومَذْحِج، بفتح الميم وكسر الحاء قبل الجيم: هو لقبُ مالك بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان. سُمِّيَ به لأنه وُلِد على أَكَمَةٍ حمراءَ باليمن[4]، يقال لها: مذحج.

والنَّخع: بَطْنٌ من مَذْحِج.

وعُباب الماء: معظمه وكثرته وارتفاعه، ثم استعير فقيل: جاءوا يَعُبُّ عُبابُهم، وبِعُبِّ عُبابِهم، ومنه قول الشاعر[5]:

فلو شَهِد الزَّيدانِ زيدُ بن مالكٍ ... وزيدُ مناةٍ حين عَبَّ عُبابُها

وسالِفُها: مَن سَلَفَ وتقدَّم من آبائهم، أو ما سلَف من عِزِّهم ومَجْدِهم. يريد أنهم أهل سابقةٍ وشَرَفٍ.

واللُّباب: الخالص من كل شيء.

ويجوز في عُبابٍ ولُبابٍ التنوينُ والإضافةُ إلى السالف والشرف.

والأَبْرام: جمع بَرَمٍ بالتحريك، وهو الذي لا يدخُل في المَيْسِر والقِمار الذي كانوا يُعانُونه وهم مُوسِرُون، لبُخْله أو فقره، وكانوا يعُدُّونه من مكارمهم ومن فِعالِ كِرامهم.

---

(١) اختلف فيه، فقيل بالتصغير كما ترى، وقيل: بفتح أوله وكسر الهاء وسكون التحتانية، وقيل بفتح أوله وسكون الهاء بعدها موحدة، وقيل: آخره سين مهملة مع التصغير أيضاً. وقيل: اسمه الأرقم. ثم اختلف في اسم أبيه، فقيل: أوس، وقيل: أويس، وقيل: يزيد. انظر مع المراجع السابقة: الاشتقاق ص ٤٠٥، وجمهرة الأنساب ص ٤١٥، وتاج العروس (جهس).

(٢) بفتح الهاء وكسرها، والكسر أكثر، وهو من باب سمع ومنع. القاموس والتاج.

(٣) لم ترد الواو في الأصل، وزدتها على جاري عادته.

(٤) وقيل في اشتقاق «مذحج» أقوال أخرى، جمعها العلامة الزبيدي في التاج (ذحج) وانظر الفائق.

(٥) دختنوس بنت لقيط بن زرارة، كما في الفائق. وهناك أبيات من وزن البيت وقافيته لدختنوس في النقائض ص ٦٦٦، والأغاني ١٤٥/١١، وأنبه إلى أنه قد جاء في الفائق: «دختنوس بنت حاجب بن زرارة»، والصواب: «بنت لقيط» كما في النقائض والأغاني، وأمالي ابن الشجري ٩٧/١، وتاج العروس (دختنس- قهوس).

والبَرَمُ مُسَمّىً بمصدر بَرِمَ به: إذا ضَجر وسَئِم، لأنهم كانوا يَضْجَرُون منه ومن فِعله، أو سُمِّي بثَمَر الأراك، وهو شيء لا طعمَ له من حلاوةٍ ولا حُموضة.

والنُّجباء: جمع نَجيب، وهو النفيس الكريم الجَيِّد في نوعه من الناس وغيرهم. يقال: رجلٌ نجيبٌ، بَيِّنُ النُّجْبة والنَّجابة، وانتجَبَه: إذا اختاره.

والدُّحَّض، بالتشديد: جمع داحِضٍ، من الدَّحْض: الزَّلَق والزَّلَلِ، أي ليسو ممّن لا ثباتَ لهم ولا عزيمةَ، وليسو[1] ساقِطي المراتب، زالِّين عن عُلُوِّ المنازل.

وكائِنْ: بمعنى كم، وفيها لُغاتٌ أشهرها: كأيٍّ، بتشديد الياء والتنوين، وكائِنْ بوزن قاضٍ، وقرىء بهما قوله تعالى[2]: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ﴾.

وهي في أصلها مُركَّبةٌ من كاف التشبيه وأيٍّ التي للاستفهام، والتنوين الذي فيها قد يُكْتَب نُوناً، ولم يظهر له صورةُ حرفٍ إلا فيها[3].

والدَّوِّيَّة منسوبة إلى الدَّوِّ، وهو الصحراء التي لا نباتَ بها، وقد يُبْدَل من الواو المدغمة ألفٌ، إبدالاً غيرَ مَقِيس، فيقال: داوِيٌّ، كطائيٍّ وحارِيٍّ.

والسَّرْبَخ: الواسعة.

والدَّيْمُومة: البَرِّيَّة البعيدة الأرجاء التي يُدام فيها السَّير، فلا تكاد تنقطع، فهي فَعْلُولَةٌ من الدَّوام، وياؤها منقلبةٌ عن واوٍ تخفيفاً، وبعضهم يجعلها فَيْعُولَةً[4]، مِن دَمَمْتُ القِدْرَ: إذا طَلَيْتَها

---

(١) في الفائق: «أوليسوا» وكلام ابن الأثير كله مسلوخ من شرح الزمخشري هناك.

(٢) سورة آل عمران ١٤٦، وقرأ ابن كثير وأبو جعفر يزيد بن القعقاع، بألف ممدودة بعد الكاف، وبعدها همزة مكسورة، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة بعد الكاف، وبعدها ياء مكسورة مشددة. انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢١٦، والنشر في القرآت العشر ٢٤٢/٢.

وجاء في الأصل: «وكأي» بتنوين الياء مكسورة، وأثبته بالنون متابعة لرسم المصحف الشريف.

(٣) قال ابن الشجري: «قالوا في معنى «كم» الخبرية: كأين وكائن، مثل كاعن، لغتان كثر استعمالهما، إلا أن الخفيفة أكثر في الشعر، والثقيلة أكثر في القراءة، ولم يقرأ من السبعة بالخفيفة إلا ابن كثير وحده، ووافقه من غير السبعة يزيد بن القعقاع المدني.

وأصل الثقيلة «أيّ» دخلت عليها كاف التشبيه، فعملت فيها الجر، وأزيلتا عن معنييهما، فجعلتا كلمة واحدة مضمنة معنى «كم» التي للتكثير، ووصل التنوين بها في الوقف، وجعلت له صورة في الخط، وصار كأنه حرف من الأصل، فلذلك وقف القراء عليها بالنون، اتباعاً لخط المصحف، إلا أبا عمرو فإنه أسقطها لأنها في الأصل تنوين، ووافقه من غير السبعة يعقوب بن إسحاق الحضرمي».

ثم أخذ ابن الشجري في بيان أصل «كائن» الخفيفة، في كلام طويل تراه في الأمالي ١٠٦/١، ١٠٧.

(٤) في الأصل والنهاية: «فيعلولة» وأثبت الصواب من الفائق واللسان (ديم)، وجاء بهامش الأصل: «كذا وصوابه فيعولة».

بالطِّحال والرَّماد، ويُفَسِّرها بالأرض المُشْتَبِهةِ الأكناف التي لا عَلَمَ بها، فمسالكها مُغَطَّاةٌ على سالكها، كما يُغَطِّى الدِّمامُ(١) ما طُلِيَ به من القِدْر.

والصَّرْدَحُ: الأرض المُسْتَوية. وتُروى بالسين، وهي الأرض اللَّيِّنة التي تُنبت النَّصِيَّ.

والتَّنُوفَةُ: البَرِّيَّة الواسعة، ووزنها فَعُولة، وتاؤها أصليّة، وجمعها تَنَائِفُ.

والصَّحْصَحُ: المكان المستوى الواسع.

والقامِسُ: فاعِلٌ بمعنى مفعول، من القَمْسِ: الغَمْسِ، يقال: غَمَسْتُ الثوبَ في الماء، وقَمَسْتُه.

والأعلام: الجبال وما يُستدَلُّ به على الطُّرق، واحدها: عَلَمٌ. والمراد انغماس الأعلام في السَّراب، وهو ما يراه الناظرُ في الصحراء وشدَّةِ الحرِّ كالماء. يعني أن جبالها تبدو وترتفع للناظر مرَّةً وتغيب أخرى، وذلك أن لُمُوعَ السَّراب يَطْفُو بالأشخاص في رأى العين، ويَرْسُب بها، وإنما ذكَّر قامِساً والأعلامُ جمعٌ، لأن أَفْعالاً يكون للواحد، قال سيبويه(٢): إن بعض العرب يقول: هو الأنعام، واستشهد بقوله تعالى: (٣)﴿وَإِنَّ لَكُمْ في الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا في بُطُونِهِ﴾، والعرب تأتي بلفظ الجمع والمعنى واحِدٌ، كقولهم:

وطابَ ألبانُ اللّقاحِ وبَرَدْ(٤)

فقال: بَرَد، والألبانُ جمعٌ، وتأتي بلفظ الواحد وتُريدُ به الجمع، كقوله تعالى: (٥)﴿وَالْعَصْرِ. إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾. فالإنسان واحد، واستثنى منه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم جماعة. فلذلك قالَ: «ويُضْحي أعلامُها قامِساً» والقياس: قامِسةً.

والطَّمْسُ: المَحْوُ، يقال: طَمَسْتُ الشيءَ أطمِسُهُ(٦): إذا محوْتَه وأزلتَ أثَرَه، وطَمَس هو، يتعدَّى ولا يتعدَّى، فمع التعدية يريد أن سَرابَها يُغَطِّي الأعلامَ والرُّبى ويسترُها، ومع القُصُور(٧) يريد أن سرابَها يذهب مرَّةً ويعود أخرى، أو يُمْسِي لا أثَرَ له.

---

(١) الدمام، بكسر الدال: طلاء.

(٢) الكتاب ٢٣٠/٣، وتعقبه ابن العربي في أحكام القرآن ص ١١٣٩، وانظر مجاز القرآن ٣٦٢/١.

(٣) سورة النحل ٦٦.

(٤) من غير نسبة في معاني القرآن للفراء ١٢٩/١، ١٠٨/٢.

(٥) أول سورة العصر.

(٦) بضم الميم وكسرها، ومصدره طمس وطموس.

(٧) يريد عدم التعدية.

قال الخَطّابي: كان الأشبَهُ أن يكون «سرابُها طامياً»، أي عالياً، ولكن كذا يُرْوى.

والحَراجيجُ: جمع حُرْجُوجٍ، وهي الناقة الطويلة على وجه الأرض، وقيل: هي الضامِرةُ، من الحَرَجِ: الضِيق[1]، والجيم مكرَّرة.

والأخاشب: جمع الأخْشَب، وهو الجبل الخَشِن الكثيرُ[2] الحجارة.

والحَوْمانَةُ: الأرض الغليظة المُنْقادة، وجمعُها حَوامِينُ.

والهُدَّابُ: الوَرَقُ الذي لا يَنْبسِطُ، كوَرَق الأَثْل والطَّرْفاء، ويقال له: الهَدَبُ أيضاً، بالتحريك، وأراد به الشجَر الذي هذا ورقُه.

والحُشَّدُ بالتشديد: جمع حاشِدٍ، يقال: حَشَدَهم يَحْشُدهم[3] ويَحْشِدهم: إذا جَمَعهم.

والرُّفَّد: جمع رافِد، وهو المُعِين والمساعد. أي إذا دَهِمَهم[4] أمرٌ أو نابَهُم خَطْبٌ، جمع بعضُهم بعضاً وتساعدُوا[5]، وصاروا يداً واحدةً في أمرهم.

والزُّهْر: البِيضُ، جمع أزهَرَ، ويريد به بِيضَ الأحساب والأخلاق، ومنه قول سُحَيمٍ[6]:

إن كنتُ عبـداً فنفسي حُـرَّةٌ كـرَمـاً ... أو أسـوَدَ الـلَّونِ إني أبـيضُ الـخُـلُقِ

والأرض البيضاء: التي لا زرع بها.

والأنواء: نُجوم الأمطار، واحدها: نَوْءٌ، وهي معروفةٌ.

وإنما ألزمَهُم على ما سَقَتْه السماءُ نصفَ العُشْر، والواجبُ على أمثالها العُشْرُ، رفْقاً بهم وَتألُّفاً لهم على الإسلام، وهو خاصٌ لهم، لأن الثابتَ المعروف فيما سَقَتِ السماءُ والسَّيْحُ العُشْرُ، وما سُقِيَ بالناضِح والدَّوالِي نصفُ العُشْر[7]

---

(١) زاد في النهاية وجهاً ثالثاً، فقال: وقيل: الحادة القلب.

(٢) في النهاية والفائق: الغليظ.

(٣) قال الفيومي في المصباح المنير: من باب قتل، وفي لغة من باب ضرب.

(٤) من باب تعب، وفي لغة من باب نفع. قاله في المصباح.

(٥) هكذا في الأصل، وتحت العين عين أخرى صغيرة، علامة الإهمال، وجاء في الفائق: «وتساندوا» بالنون.

(٦) ديوانه ص ٥٥.

(٧) بهامش الأصل: بلغ مقابلة وتصحيحاً، ولله الحمد والمنة.

حَدِيثُ قطن بن حارثة العُلَيمي

لمّا قدِم وفدُ بني عُلَيم، مِن كَلْب، على رسول الله ﷺ، قام قَطَنُ بن حارثة العُلَيميّ، فقال: يا رسولَ الله . . . وذكر كلاماً. قال القُتَيْبيّ[١]: لم يُصحِّحْه لنا المحدِّثُ ولا غيرُه. فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً، نُسختُه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من محمد رسول الله، لعمائر كَلْبٍ وأحلافها، ومَن ظَأرَه الإسلامُ مِن غيرهم، مع قَطَن بن حارثة العُلَيْمي، بإقام الصلاةِ لوقتها، وإيتاءِ الزكاة بحقِّها، في شدَّة عَقْدِها ووفاء عهدِها، بمَحْضَر من شُهود المسلمين: سعدِ بن عُبادة، وعبدِ الله بن أُنَيس، ودِحْيةَ بنِ خليفةَ الكلبيّ. عليهم في الهَمُولَة الراعيةِ البُساطِ الظُّؤار، في كلّ خمسين ناقةٌ، غيرُ ذاتِ عَوارٍ، والحَمُولَةُ المائرةُ لهم لاغيةٌ، وفي الشَويِّ الوَريِّ مُسِنَّةٌ حامِلٌ، أو حائلٌ، وفيما سَقَى الجَدْوَلُ مِن العَين المَعِين العُشْرُ من ثمرها ومِمَّا أخرجَتْ أرضُها. وفي العِذْي شَطْرُه بقيمة الأمين، لا تُزادُ عليهم وَظِيفةٌ ولا تُفرَّق. شَهِد الله على ذلك ورسولُه. وكتب ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ.

*

* *

أخرجه القُتْيبيّ في غريبه[٢]، وقال: يرويه ابنُ الكلبيِّ عن أبيه، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقَّاص، وكذا أخرجه الزمخشريّ[٣]، وأخرج أيضاً أن رسول الله ﷺ كتب لحارثة بن قَطَنٍ ومَنْ بدَومَةِ الجَنْدل، من كَلْب: إن لنا الضاحيةَ من البَعْلِ، ولكم الضامِنةُ من النَّخْل، لا تُجْمَع سارِحتُكم، ولا

---

(١) انظر التعليق التالي.

(٢) لم أجده في «غريب الحديث» لابن قتيبة، المطبوع في بغداد. وممن نسب إلى ابن قتيبة ذكر هذا الحديث الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٤٣/٥، وحكى الهروي عن ابن قتيبة شرحاً لجزء من هذا الحديث. راجع الغريبين ١٦٧/١.

(٣) الفائق ٢٦/٣، وأيضاً ٣٣١/٢، وانظر طبقات ابن سعد ٣٣٤/١، ٣٣٥ والعقد الفريد ٣٤/٢، ٣٥.

تَعُدُّ شارِدتكم، ولَا يُحظَر عليكم النَّباتُ، ولا يُؤخذ منكم عُشْرُ البَتات. وهذا الفَصل أشبَهُ بحديث أُكَيْدِر من حديث قَطَن، وسنذكر حديث أُكَيْدِر عند الفراغ من هذا الحديث.

شرحه

قد اختلف أصحاب كتب معارف الصحابة، في اسم قطن بن حارثة، فمنهم من أثبته هكذا: قطن بن حارثة العُلَيميّ، وجعل هذا الحديثَ له، ولم يذكُر حارثة، ومنهم من أثبت حارثة بن قطن، ولم يذكُر قَطَناً، ولم أر فيما وَقفْتُ عليه مَن جمع بينهما، ولعلهما اثنان (١). والله أعلم.

والعُلَيْميّ: منسوب إلى عُلَيْم بن جَناب بن كَلْب بن وَبَرَة.

والعمائر: جمع عِمَارة، بالفتح والكسر، وهي الحيّ العظيم، أولها الشِّعْب ثم القبيلة ثم العِمارة ثم البَطْن ثم الفَخِذ. وقيل غير ذلك. فمَن فتح ذهب إلى التفاف بعضِهم على بعض، كالعَمارة، وهي العِمامة، ومن كَسَر فلأنّ بهم عِمارةَ الأرض.

ومَن ظَأَره الإسلام: أي عَطَفه، يقال: ظَأَره يَظْأَره: إذا عَطَف عليه ورَفَقَ به، ومنه قيل للمُرْضِعة ولَدَ غيرها: ظِئْرٌ، فجعل الإسلامَ له ظِئْراً، استعارةً ومجازاً، ومنه المثَل: «الطَّعْنُ يَظْأَر» (٢) أي يعطِفُ على الصُّلْح.

والأحلاف: جمع حَلِيفٍ، وهو المُحالِف والمُعاهِد، وقد حالَفه: إذا عاهَدَه، وسواء كانوا بنى أبٍ واحد، أو من آباءٍ شَتَّى.

وشِدَّة عَقْدِها: ما تعاقَدُوا عليه من الأيمان والوفاء بالعهود.

ودِحْية الكلبيّ، تُكْسَر دالُه وتُفتح، على الحالة والمَرَّة، من الدَّحْيِ والدَّحْوِ: البَسْطِ، وقيل: الدِّحْية بالكسر: رئيس الجُنْد.

والهَمُولَةُ: الإبلُ التي أُهمِلت للرَّعْي، وتُرِكت تَرْعَى حيث شاءت، ولا تُستعمل فَعُولةٌ بمعنى مُفْعَلة (٣)، ولهذا أكَّدها بالراعية.

---

(١) ترجمه في الاسمين: ابن عبد البر، وعز الدين ابن الأثير، وابن حجر. راجع الاستيعاب ص ٣٠٩، ١٣٠٦، وأسد الغابة ٤٢٧/١، ٤٠٨/٤، والإصابة ٣١٢/١، ٢٤٣/٥.

(٢) جمهرة الأمثال ١٤/٢، والمستقصى ٣٢٩/١، ومجمع الأمثال ٤٣٢/١، قال الميداني: يضرب في الإعطاء على المخافة، أي طعنك إياه يعطفه على الصلح.

(٣) في النهاية واللسان (همل): «مفعولة»، وهو خطأ.

والبُساط، يروى بالضم والفتح والكسر، فأما الضَّمّ فقال القُتيبيُّ: هو جمع بِسْطٍ بالكسر، وهي التي معها أولادُها، وجُمعتْ على فُعال، كما جُمع ظِئْرٌ على ظُؤارٍ. قال: ولم أسمع بها مجموعةً هذا الجمعَ إلّا في هذا الحديث.

وأما الكسر، فقال الأزهريّ(١) هو جمع بِسْطٍ، بالكسر، وهي الناقة التي تُركَتْ وولَدُها لا يُمْنَع منها، ولا تُعْطَف على غيره. وبِسْطٌ: بمعنى مبسوطة، كالطِّحن والقِطْف، أي بُسِطَتْ على أولادها.

وأما الفتح فهو الأرض الواسعة، فإنّ صحَّت الرواية فيكون المعنى: في الهَمُولة التي ترعى الأرضَ الواسعةَ. وحينئذ تكون الطاء منصوبة بالراعية، على ما فيه من الفصل بين الراعية والظُّؤار.

والظُّؤار: جمع ظِئْر، وهي التي ظُئِرت على غير ولدِها من النُّوق، أي عُطِفت عليه، وأُنِّسَتْ به لتُرضِعَه.

وقوله: «في كلّ خمسين ناقةٌ» أي في كلّ خمسين ناقةً ناقةٌ. و«في» الثانية بدلٌ من «في» الأولى، كأنه قال: في كلّ خمسين من الإبل الهَمُولةِ الراعيةِ ناقةٌ.

والعَوارُ، بالفتح: العَيبُ، وقد يُضَمّ، أي لا يُؤخَذ في الزكاة ناقةٌ مَعِيبةٌ، كما لا يؤخذ منهم النَّفيسُ الكريمُ عليهم(٢).

والحَمُولَةُ، بالفتح: ما يَحْتَمِلُ عليه الناسُ من الدَّوابّ، سواء كانت عليها الأحمالُ أو لم تكن، كالرَّكوبة. وأما الحُمُولة، بالضم، فهي الأحمالُ. والحُمُول(٣)، بلا هاءٍ: الإبلُ التي عليها الهَوادجُ، سواء كان فيها نساءٌ أو لم يكنّ.

والمائرة: التي تحمل المِيرةَ، وتُجْلَب عليها الأقواتُ وغيرُها، وقَدْ مارَهُم يَمِيرُهم، فهو مائرٌ، فجعل الفِعلَ لها، وهو لأصحابها توسُّعاً.

واللاَّغيةُ: المُلْغاة المُطَّرحةُ متروكةً، لا تُعدُّ عليهم، ولا يُلْزَمُون لها صدقةً، فهي فاعلة بمعنى مفعولة.

والشَّوِيُّ: جمع شاءٍ، نحو كَلْبٍ وكَلِيب. وقيل: هو اسم الجمع، كالمَعِيز، في المَعْز.

---

(١) تهذيب اللغة ٣٤٥/١٢، ولم ينص الأزهري على الكسر، وانظر تعليقي على ذلك في حواشي الغريبين ١٦٦/١.

(٢) وإنما يؤخذ منهم الوسط، كما سبق في حديث طهفة.

(٣) ضبط في الأصل بفتح الحاء، ونص صاحب القاموس على أنه بالضم، وقال: الواحد حمل، بالكسر ويفتح.

والوَرِيُّ: السَّمِينُ، فعيلٌ بمعنى فاعل، يقال: وَرِيَ اللحمُ يري، فهو وارٍ ووَرِيٌّ: إذا اكتنز وسَمِن.

والمُسِنَّة: الكبيرة من البقر والشاء، وهي التي أثنَتْ بطُلوع ثَنِيّتها، وتُثْني البقرةُ والمِعْزَى في السنة الثالثة، والضائنة في السنة الثانية. ولا يُراد بالمُسِنَّة الهَرِمةُ الكبيرةُ.

والحاملُ: التي في بطنها ولدُها.

والحائل: التي لم تَحْبَل، يقال: حالت الناقةُ وأحالَتْ: إذا حمَلَتْ عاماً ولم تحمل عاماً، فهي حائلٌ ومُحِيلٌ.

والجَدْوَل: النَّهْرُ الصَّغير من الماء، كالساقية.

والماء المَعِينُ: الذي جَرَتْ عيونُه. يقال: حَفَرْتُ حتى عِنْتُ، أي بلغتُ العُيونَ، والماء مَعِينٌ ومَعْيونٌ: أي مُجْرًى مُسالٌ.

وأراد بالثَّمَر: ما يَخرج من غَلَّة الزُّرُوع، لأنها ثمرُها.

والعِذْيُ، بكسر العين وسكون الذال: ما لا يُسْقَى من الزَّرع، ويَقْنَعُ بماء المطر.

والشَّطْر: النِّصف، ولعل هذا قد كان في صدر الإسلام، أو خاصّاً لهم، كما تقدم في حديث جُهَيش.

وقوله: «بِقيمة الأمين» أي لا يُحاف عليهم، بل تُقَوَّم غَلَّتُهم قِيمةَ عَدْلٍ، ويُؤْخَذُ الواجبُ منها.

والوَظيفة: ما يُقدَّر للانسان من الشيء وعلى المِلْك مِن خَراجٍ وغيره. وقد وظَّفْتَه توظيفاً.

وأمّا حديثُ حارثةَ بن قَطَن: فإن الضاحيةَ النَّخلةُ التي في البَرِّ والصحراء، وضاحية كلِّ شيء: ناحيتُه البارزةُ التي لَا حائل دونَها.

والضامِنةُ: ما تضمَّنَتْها أمصارُهم وقُراهُم من النَّخل، فهي فاعلة بمعنى مفعولة. وقيل: سُمِّيت ضامنةً، لأن أربابَها ضَمِنُوا عِمارتَها، فهي ذاتُ ضمانٍ، كعيشةٍ راضية، أي ذات رِضىً، في أحد التأويلين[1].

---

(١) والتأويل الآخر: أن تكون راضية بمعنى مرضية، كما يقال: ماء دافق، أي مدفوق. راجع مجاز القرآن ٢٦٨/٢، ومعاني القرآن ١٨٢/٣، وزاده بيانا ابن سيده في المخصص ٧٠/١٥.

والبَعْلُ من النَّخل: الشارِبُ بعُروقه من غير سَقْيِ سماءٍ ولا غيرها. قال الأزهري[1]: هو ما نَبت من النَّخل في أرضٍ يقرُبُ ماؤُها، فرسَخَتْ عُروقُها في الماء، واستغنَتْ عن ماء السماء والأنهار وغيرِها.

والسارِحةُ: السائمةُ من المواشي، أي لا يُجْمَع بين مُتَفرِّقها ليصيرَ مالاً تجب فيه الزكاةُ. وقيل: لا تُجمع إلى المُصدِّق من أماكنها، لكن يأتيها فيأخذ زكاتَها حيث هي.

والشارِدةُ: التي شَرَدَتْ عن الغنم ونَفَرَتْ وخرجَتْ منها.

والفارِدَةُ: الشاة المنفردة عن الغنم. أي لا تُضَمُّ إلى الشاء فتُحْسَب معها.

والحَظْر: المَنْعُ. أي لا تُمنَع عن رعي النَّبات.

والبَتاتُ: المتاع الذي يكون في البيت للانتفاع. أي لا يُؤخذُ منه زكاةٌ، فأطلق عليها اسمَ العُشْر[2].

---

(١) تهذيب اللغة ٤١٣/٢، وانظر غريب الحديث لأبي عبيد ٦٧/١.

(٢) بهامش الأصل: بلغت القراءة على مصنفه إلى هنا. والحمد لله.

حَدِيثُ أُكَيْدِرِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ الكِنْدِيِّ

كتب له رسول الله ﷺ كتاباً فيه: هذا كتابٌ من محمد رسول الله حين أجاب إلى الإسلام وخَلَع الأَنْدادَ والأصنام، مع خالد بن الوليد سيفِ الله، في دَوْمَة الجَنْدَل وأكنافِها: أنّ لنا الضاحيةَ من الضَّحْلِ والبَوْرَ والمَعامِيَ وأغفالَ الأرضِ والحَلْقةَ والسِّلاحَ، ولكم الضامِنةُ من النَّخل، والمَعِينُ من المعمور، لا تُعْدَلُ سارِحَتُكم، ولا تُعَدُّ فارِدَتُكم، ولا يُحْظَر عليكم النَّبات، ولا يؤخذ منكم عُشْرُ البَتات، تقيمون الصلاةَ لوقتها، وتؤتون الزكاةَ لحقِّها، عليكم بذلك عَهْدُ الله وميثاقُه.

*

* *

أخرجه أبو عبيد[1] بغير إسناد، وأخرجه الزمخشريّ[2] في غريبه، وهو أشبهُ بالفصل الذي ذكره لحارثة بن قَطَنٍ، وقد تقدَّم.

شرحه

أكيدر بن عبد الملك: رجل من كِنْدَة، وكان نصرانياً مَلِكاً على دَوْمَة الجَنْدل، أسره خالد بن الوليد، وأحضره إلى رسول الله ﷺ، فحَقَنَ له دمه، وصالحه على الجِزية، ثم خلَّى سبيله، فرجع إلى بلده. ومن الناس من يقول: إنه أسلمَ، والأول أصحُّ[3].

(١) غريب الحديث ١٩٩/٣.

(٢) الفائق ٤١٦/٣، وانظر حديث أكيدر أيضاً في مغازي الواقدي ص ١٠٣٠، والروض الأنف ٣١٩/٢، والعقد الفريد ٤٧/٢، ومعجم ما استعجم ص ٣٠٣، في رسم (تبوك)، ومعجم البلدان ١٠٨/٤، في رسم (دومة الجندل).

(٣) راجع أسد الغابة ١٣٥/١، والتجريد ٢٧/١، والإصابة ٦٢/١، ١٢٩ ـ ١٣١، وهذه العبارة الأخيرة حكاها ابن حجر عن المصنف.

والكِنْديّ: منسوب إلى كِنْدَةَ، واسمه ثَوْرُ بن عُفَير[1] بن الحارث، من بني عَرِيب بن زيد بن كَهْلان. قيل: سُمِّيَ به لأنه كَنَدَ أباه نِعْمتَه، أي كَفَرَها[2].

ودَوْمَةُ الجَنْدَل: قريةٌ وحِصنٌ بين الحجاز والشام[3]، وتُضمُّ دالُها وتُفتح، فالضمّ لأهل اللغة، والفتح لأصحاب الحديث. قال لَبيد، يصف بنات الدهر[4]:

وأعْصَفْنَ بـالـدُّومِيّ من رأس حِصْنِـه   وأنْـزَلْـنَ بـالأسبـاب رَبَّ المُـشَـقَّـرِ

يعني بالدُّومِيّ أُكَيْدر صاحبَ دُومَةِ الجَنْدل. والمُشَقَّر: حِصْنٌ بالبَحْرين.

والأنداد: جمع نِدٍّ ونَدِيدٍ، وهما مِثْلُ الشيء المُضادّ له في أموره، ونادَّه يُنادُّه مُنادَدَةً ونِداداً، من نَدَّ البعيرُ: إذا نَفَر واسْتَعْصَى.

والأصنام: جمع صَنَمٍ، وهو ما كانوا يتَّخذونه إلَهاً من دون الله تعالى، ممّا يصوِّرونه، وقد تقدَّم الخِلافُ فيه وفي الوَثَن، في حديث طِهْفة.

وخَلْعُها: كنايةٌ عن تركها والتَّبرِّي منها، كما يخلع الإنسان قميصَه، كأنه كان قد تَرَدَّى به واشتمل عليه، فخرج عنه وفارَقَه.

والضاحِيَةُ: النَّخلةُ الخارجةُ عن العِمارة، وهي خِلاف الضامِنة، وقد بسَطْنا شرْحَهما في آخر حديث قَطَن بن حارثة.

والضَّحْلُ: الماء القليلُ، وهو الضَّحْضاح، ومنه قولهم للصخرة الضَّخمة التي لا يغمُرها الماءُ لقلّته: أتانُ الضَّحْلِ.

والبُورُ: يروى بالضم والفتح، فمَن ضمَّ ذهب إلى جمع البَوارِ، وهي الأرض الخراب التي لم تُزرَع، ونظيره في الجمع: عَوانٌ وعُونٌ. ويجوز أن يكون جمعَ بائرٍ، وهو الهالِك، كقوله تعالى:[5] ﴿وكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾ أي هَلْكَى.

يريد الأرضَ التي قد هَلك نباتُها.

ومَن فتح ذَهَب إلى المصدر، يقال: بارَ الشي يَبُورُ بَوْراً وبَواراً، والوصف بالمصدر غير عزيز،

---

(١) في جمهرة الأنساب ص ٤٢٥: عفير بن عدي بن الحارث.

(٢) ومنه قول الله جل ثناؤه: «إن الإنسان لربه لكنود» الآية السادسة من سورة العاديات. راجع الاشتقاق ص ٣٦٢.

(٣) انظر الكلام على تحديده في معجم ما استعجم ص ٥٦٤.

(٤) ديوان لبيد ص ٥٦، وتخريجه في ٣٧٢.

(٥) سورة الفتح ١٢.

وقد يكون المصدرُ بالضمّ أيضاً[١]، يُقال: رجلٌ بُورٌ، وقومٌ بُورٌ.

والمَعامِي: جمع مَعْمىً، وهو مَفْعَلٌ من العَمَى. يريد به الأراضيَ المجهولةَ التي ليس فيها أثَرُ عِمارةٍ، كالمَجْهَلِ والمجَاهِلِ.

والأَغْفال: جمع غُفْلٍ، بالضمّ، وهي الأراضي التي أُغْفِلَتْ وأُهْمِلَتْ، فلا أثَرَ بها يدلُّ على عِمارتها، ومنه الإبلُ الأغفالُ: التي لا سِماتَ عليها.

والحَلْقَةُ، بسكون اللام: الدُّرُوع.

والسِّلاحُ: اسمٌ عامٌّ، يقع على السَّيف والرُّمْح والسِّهام، وكلِّ ما يُقاتَلُ به.

والمَعِين: الموضع الذي عانَ ماؤه، أي جَرَى.

والسَّارِحةُ: المواشي إذا سَرَحتْ إلى المَرْعَى وخرجَتْ إليه.

وعَدْلُها: صَرْفُها عن مَرْعىً تُريدُه، يقال: عَدَل عن الشيء وإليه: إذا مالَ عنه وإليه.

والفارِدةُ: الشاةُ المُنْفرِدة الزائدة على الفَرِيضة، لا تُعَدُّ عليهم وتُحْتَسَبُ في الزكاة.

والحَظْر: المَنْع. أي لا تُمْنَعُون من الرَّعْي أو من الزِّراعة حيث شئتم.

والبَتاتُ: المتاع مما ليس للتجارة، وقد تقدَّم في حديث قَطَنٍ[٢].

---

(١) هذا والذي قبله كله من كلام الزمخشري في الفائق.

(٢) بحاشية الأصل: بلغ تصحيحاً. ولله الحمد والمنة.

حَدِيثُ ذِي ٱلْمِشْعَارِ مَالِكِ بْنِ نَمَطٍ ٱلْهَمْدَانِي

إن وفدَ هَمْدان قدموا على النبيّ ﷺ، فلَقُوه مُقْبلاً من تَبُوك، فقال ذو المِشعار[1] مالك بن نَمَطٍ: يا رسولَ الله، نَصِيَّةٌ من هَمْدان، من كلِّ حاضرٍ وبادٍ، أتَوْك على قُلُصٍ نَواجٍ، متّصلةٌ بحبائل الإسلام، لا تأخذُهم في الله لَوْمةُ لائمٍ، من مِخْلافِ خارفٍ ويامٍ، عَهْدُهم لا يُنْقَضُ عن شِيَةِ ماحِلٍ، ولا سوداءَ عَنْقَفِيرٍ، ما قام لَعْلَعٌ، وما جَرَى اليَعْفُور بِصُلَّعٍ.

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتابٌ من محمد رسول الله لِمِخْلافِ خارفٍ وأهلِ جنابِ الهَضْبِ وحِقافِ الرَّمْلِ، مع وافِدِها ذي المِشعارِ مالك بن نَمَطٍ، ومَن أسلم من قومِه، على أنَّ لهم فِراعَها ووِهاطَها وعَزازَها، ما أقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة، يأكلون عِلافَها ويَرْعَوْن عَفاءَها، لنا مِن دِفْئِهم وصِرامِهم، ما سَلَّموا بالمِيثاق والأمانة. ولهم مِن الصَّدقةِ الثِّلْبُ، والنَّابُ، والفَصِيلُ، والفارِضُ، والدِاجِنُ، والكَبْشُ الحَوَرِيُّ، وعليهم فيه الصَّالِغُ، والقارِحُ.

*

* *

(١) هذا هو المشهور في ضبطه، بالشين المعجمة والعين المهملة. قال البكري: «بكسر أوله وبالعين المهملة، على وزن مفعال: موضع من منازل همدان باليمن، وإليه ينسب ذو المشعار، وهو مالك بن نمط الهمداني». معجم ما استعجم ص ١٢٣٢.
وقال المرتضى الزبيدي بعد أن نقل عبارة القاموس: «ذو المشعار»: «هكذا ضبطه شراح الشفاء، وقال ابن التلمساني: بشين معجمة ومهملة، وغين معجمة ومهملة». تاج العروس (شعر).
وذكر الزرقاني في شرح المواهب اللدنية ٣٤/٤، قال: «ولقبه ذو المشغار، بميم مكسورة فشين فغين معجمتين، أو مهملتين، ثم راء».
وانظر الاشتقاق لابن دريد ص ٤٢١.

أخرجه القُتَيبِيُّ [١] من حديث أبي رَوْق[٢]، والزمخشريُّ[٣]، وفرَّقه الهرويُّ في أبواب كتابه.

شرحه

ذو المِشْعار، بكسر الميم: من أذواء اليمن، ومِفْعالٌ من أبنية المبالغة كالمِطْعام والمِطْلاق، ويجوز أن يكون مشتقًّا من الشِّعْر، أو الشَّعَر، أو الشِّعار.

ونَمَطٌ، بفتح الميم: هو اسمٌ لضَرْبٍ من البُسُط معروف، فسُمِّي به. والنَّمَط أيضاً: الجماعة من الناس.

والهَمْدانيّ: منسوب إلى هَمْدان، بسكون الميم، واسمُه أَوْسَلَةُ[٤] بن مالك، من بني زيد بن كَهْلان بن سبأ، وهو فَعْلان من الهُمُود: خُمودِ النارِ، أو من أهْمَدَ بالمكان: إذا أقام به، أو أهْمَدَ في السَّير: إذا أسرعَ.

والنَّصِيَّة: مَن يُنْتَصَى مِن القوم، أي يُختار من نَواصِيهم: رُؤوسِهم وأشرافِهم، يقال: هؤلاء نَصِيَّةُ قومهم: أي خِيارُهم، وهذه نَصِيَّةُ الإبل، وانتصَيْتُ من القوم رجلًا: أي اخترتُه، وقيل للرؤساء والأشراف: نَواصٍ، تشبيهاً بالنَّواصِي، جمع ناصِيَةٍ، وهي شَعَر مُقَدَّم الرأس، كما قيل لهم: ذَوائِبُ، ورؤوس،وهامٌ، وجَماجِمُ، ووُجُوهٌ، قال[٥]:

* في مَحْفِلٍ مِن نَواصِي القومِ مَشْهُودِ *

وقيل لهم: نَصِيَّةٌ، كما قيل لمن يُختار من العسكر: سَرِيَّةٌ، أي يُختار من سَراتِهم.

والحاضر: المقيم بالمدن والقُرى. والبادي: المقيم بالبادية، وقد بدا يبدُو فهو بادٍ.

---

(١) غريب الحديث ١/٥٤٨.

(٢) أبو روق الهزاني- بكسر الهاء وفتح الزاي المشددة- واسمه عطية بن الحارث، تهذيب التهذيب ٧/٢٢٤، وطبقات المفسرين للداوودي ١/٣٨٠، وجمهرة الأنساب ص ٣٩٣.

(٣) الفائق ٣/٤٣٣، وانظر مع المراجع السابقة: العقد الفريد ٢/٣١، والروض الأنف ٢/٣٤٨، والاستيعاب ص ١٣٦٠، وأسد الغابة ٥/٥٠، والإصابة ٦/٣٥، وعيون الأثر ٢/٢٤٥.

(٤) هنا اختصار في النسب، انظره في الاشتقاق ص ٤١٩، وجمهرة الأنساب ص ٣٩٢.

(٥) قائلته أم قيس الضَّبِّية، كما في شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٠٦٠، واللسان (نصى)، وصدر البيت:

ومشهد قد كفيت الغائبين به

وهو من غير نسبة في الفائق والأساس والصحاح.

والقُلُص: جمع قَلُوصٍ، وهي الناقة الشابَّة، وقيل: لا تزال قَلُوصاً حتى تصيرَ بازِلاً، وهي التي دخلت في السنة التاسعة، وتُجمَع على قِلاصٍ أيضاً.

والنَّواجي: جمع ناجيةٍ، وهي المسرعة، يقال: نَجَتْ تَنْجُو نَجاءً، إذا أسرعَتْ، وبها سُمِّيَ الرجلُ ناجِيَةَ.

والحَبائل: جمع حِبالَةٍ، بالكسر، وهي التي يُصادُ بها، من أيِّ شيءٍ كانت، فاستعارها لأحكام الإسلام وحُدُودِه التي يلتزم بها مَن دخل في الإسلام.

ويجوز أن تكون الحبائلُ جَمْعَ حِبالةٍ، وحِبالةٌ جمع حَبْلٍ، نحو بَغْلٍ وبِغالة.

وحَبْل الإسلام: كنايةٌ عن عَهْدِه وميثاقه، ومنه قوله تعالى(1): ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

ومُتَّصلةٌ: مرفوعةٌ صِفةً لِنَصِيَّةَ، ويجوز أن تُجَرَّ صفةً للقُلُصِ.

والمِخْلاف لأهل اليمن كالرُّسْتاق لغيرهم، وجمعه مَخالِيفُ.

وخارِفُ ويامٌ: قبيلتان من اليمن، ويُصْرَفان ولا يُصْرَفان، على اختلاف التقديرين في التذكير والتأنيث.

والعَهْدُ: اليمين والميثاق.

والشِّيَةُ: الوشايةُ، وهي مصدر وَشَى به يَشِي شِيَةً: إذا نَمَّ عليه وسَعَى به، والهاء في آخرها عوضٌ من الواو المحذوفة من أولها، كالعِدَة والزِّنَة، من الوَعْد والوَزْن. وأصلُ الوَشْي: استخراج الحديث باللُّطف والسُّؤال.

والماحِلُ: الساعي بالنَّمائم والإفساد بين الناس، يقال: مَحَل بفُلانٍ: إذا سعَى به إلى السُّلطان.

وفي رواية القُتيبيّ: «عن سُنَّةِ ماحِلٍ» بالسين المهملة والنون المُشَدَّدة(2)، وهي الطريقة.

المعنى أنه لا يُنْقَض عهدُهم بوَشْي من يسعَى بهم ويتقوَّل عليهم، أو بطريقة ساعٍ معروفٍ بالسِّعاية، وهذا كما يقال: أنا لا أُفسد ما بيني وبينك بمذاهب الأشرار، أي بما يذهبون إليه من السَّعْي والفساد.

---

(1) سورة آل عمران ١٠٣.

(2) قوّى الزمخشري هذه الرواية.

وتقدير قوله: «لا يُنقضُ عن شِيَةِ ماحِلٍ» أي لا يكون نَقْضُ عهدهم صادراً عن قولِ ساعٍ.

والعَنْقَفيرُ: الداهية، ووصفَها بالسَّوادِ لشدَّتها، يقال: عَقْفَرَتْه الدَّواهي: إذا صرعَتْه وأهْلَكَتْه. يعني أن هذا العهدَ مَرْعِيٌّ غيرُ مَنْكُوثٍ بما يُتَقَوَّل عليهم، ويُدْهَوْنَ به من الدَّواهي. أي لا يُنقَضُ عهدُهم عن داهيةٍ عظيمة تنزل بهم وتضطرهم إلى النَّقض، ولكنهم يقيمون على العهد، ويُقام لهم عليه.

ولَعْلَعٌ: جبلٌ(١)، ويذكَّر ويؤنَّث، ولهذا جاء في رواية: ما قامَتْ لَعْلَعُ(٢)، وفي أخرى: ما أقامَتْ.

واليعْفور: الخِشْفُ(٣) ووَلَدُ البقرة الوحشيَّة. وقيل: هو تَيْسُ الظِّباء. والياء زائدة(٤).

والصُّلَّع: الصحراء التي لا نَبْتَ فيها، وهي بارزةٌ مستوية، ومنه صَلَعُ الرأسِ من الشَّعَر. يريد اننا لا نزال كذلك ما ثبت لَعْلَعٌ وأقام، وما جرى ولدُ البقرة في البَرِّيَّة.

وجِناب الهَضْب، بكسر الجيم: موضعٌ(٥).

والهَضْب: جمع هَضْبةٍ، وهي الأكَمَةُ والرابِيَةُ، ويجوز أن يريد بالهَضْب المطر،أي الموضع المعروف به.

والحِقاف: جمع حِقْف الرَّمْل، وهو ما اجتمع منه واَعوجَّ واستطال.

والوافِدُ: واحد الوَفْد، وهم الذين يدخلون المُدن على الأمراء والمقدَّمين، وقد تقدَّم في حديث طِهْفة.

وقوله: «ومَن أسلم من قومه» في موضع جَرٍّ، عطفاً على قوله: «لمخلافِ خارفٍ» أو على قوله: «مع وافِدِها».

والفِراعُ، بالعين المهملة: جمع فَرَعَةٍ، وهي ما عَلا من الأرض وارتفع.

---

(١) اختلف في تحديده، فقيل: مَن آخر السواد إلى البر، ما بين البصرة والكوفة. وقيل غير ذلك. راجع معجم ما استعجم ص ١١٥٦.

(٢) وعلى التأنيث لا ينصرف، كما ذكر أبو عبيد البكري. وهذه الرواية التي أشار إليها المصنف هي رواية ابن قتيبة والهروي والزمخشري. وقال الهروي في الغريبين (لعلع): وأنثه لأنه جعله اسماً للبقعة ولما حول الجبل، وهو إذا ذكر صرف، وإذا أنث لم يصرف.

(٣) الخشف، مثلث الخاء، وهو ولد الغزال.

(٤) ذكره المصنف في النهاية، في (عفر) و(يعفر).

(٥) هكذا من غير تحديد عند ابن قتيبة والزمخشري. وانظر معجم ما استعجم ص ٣٩٥، ومعجم البلدان ١٤٠/٣.

وقال القُتيبيّ: «الفراعُ: أعالي الجبال، وما أشرف من الأرض، واحدتها: فرَعَةٌ، وجبلٌ فارِعٌ: إذا كان عالياً».

وفَرْعُ كلّ شيء: أعلاه.

والوِهاطُ: جمع وَهْطٍ، وهي الأراضي المطمئنة.

والعَزازُ، بفتح العين المهملة والزاءين: الأرض الصُّلبة المشتدَّة الخَشِنة.

والعِلاف: جمع عَلَفِ الدَّوابِّ في الأصل، كجَمَلٍ وجِمال[1]، فاستعاره للطَّعام، كقول الآخر[2]:

إذا كنتَ في قومٍ ولم تكُ منهمُ فكُلْ ما عُلِفْتَ مِن خبيثٍ وَطَيِّبِ

والعَفاءُ: الأرضُ التي ليس فيها عِمارةٌ ولا حَدٌّ واضحٌ. وقال القُتَيبيّ: هو ما ليس لأحدٍ فيه شيءٌ. وقيل: أراد به الكَلأ[3]، وسُمِّيَ بالعَفا مقصوراً الذي هو المَطَرُ، كما سُمِّيَ المطرُ بالسماء. ولو رُويَ بالكسر، على استعارة اسم الشَّعَر، للنَّبات، كان وجْهاً قويًّا[4].

والدِّفْءُ: اسمُ ما يُدْفِىء ويُسَخِّنُ، ومنه قوله تعالى[5]: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنافِعُ﴾ أي ما يُتَّخذ من أصوافِها وأوبارها، مما يُستَدْفَأ به.

والمراد بالدِّفء ها هنا: الإبلُ والغَنَم، لأنها ذواتُ الدِّفء، فحذف المضاف وأقام المضافَ إليه مُقامَه.

والصِّرامُ في الأصل: قطع الثمرة واجتناؤ ها من الشجر، يقال: هذا زمن الصِّرام والجِداد، والمراد به ها هنا النَّخلُ نفسُه، أو الثَّمر بعينه مجازاً، على حذف المضاف أيضاً.

وقوله: «ما سلَّموا بالميثاق والأمانة» أي إنهم مأمونون على صدقاتِ أموالهم، بما أُخذ عليهم

---

(١) ويقال أيضاً: أعلاف، كما يقال: أحمال. أفاده ابن قتيبة، والمصنف ينقل عنه.

(٢) هو خالد بن نضلة، كما في الحيوان ١٠٣/٣، والبيان والتبيين ٢٥٠/٣، وفي حواشيه فضل تخريج. والبيت من غير نسبة في الفائق والأساس (علف). وانظر رواية أخرى في اللسان (عدا).

(٣) صحح الزمخشري هذا التفسير.

(٤) هذا كلام الزمخشري.

(٥) الآية الخامسة من سورة النحل.

من الميثاق؛ العهدِ، وبالأمانة، فلا يُبعث إليهم عاشرٌ[1] ولا مُصَدِّقٌ، ويُقْنَع منهم بما يُعْطُون، سُكوناً إلى صدقهم وأمانتهم.

والثِّلْب: الجملُ الهَرِمُ الذي تكسَّرت أسنانُه.

والنَّابُ: الناقة المُسِنَّة، سُمّيتْ بذلك لأن نابَها يطولُ إذا هَرِمَتْ.

والفارض: المسنَّة أيضاً، وقد فَرَضَتْ تَفْرُضُ فُرُوضاً.

والفَصِيلُ: ولَدُ الناقة إذا فُصل عن أُمِّه، فعيلٌ بمعنى مفعول.

والدَّاجنُ: الشاةُ التي تألف البيتَ وتتربَّى فيه، ولا تُبعث إلى المرعَى.

والحَوَرِيُّ: منسوبٌ إلى الحَوَرِ، بفتح الحاء والواو[2]، وهي الجلودُ المتَّخذة من جلود الغنم، مصبوغَةً بحُمرة.

والصَّالِغ من البقر والغنم: الذي كَمُل وانتهى سِنُّه، وذلك في السَّنة السادسة، يقال: سَلَغت البقرةُ والشاة تَسْلَغُ سُلُوغاً، فهي سالِغٌ وصالِغ، الذكر والأنثى سواء، والسُّلُوغ في ذوات الأظلاف كالبُزُول في ذوات الأخفاف، والقُرُوحِ في ذوات الحافِر، وهو منتهى أسنانها.

ووَلَدُ البقرة في أول سنة: عِجْلٌ وتَبِيعٌ، ثم جَذَعٌ، ثم ثَنِيٌّ، ثم رَباعٍ، ثم سَدِيسٌ، ثم سالِغٌ.

ووَلَدُ الشاة أوَّلَ سنة: حَمَلٌ أو جَدْيٌ، ثم جَذَعٌ، ثم ثَنِيٌّ، ثم رَباعٍ[3]، ثم سَدِيسٌ، ثم سالِغٌ.

والقارح من ذوات الحافر: ما دَخَلَ في السنة الخامسة إلى أن يستكملها ويدخلَ في السادسة، ومنهم من يجعلُ القارحَ ما دَخَل في السادسة، والأول أصَحُّ؛ لأنه في السنة الأولى حَوْلِيٌّ، ثم جَذَعٌ، ثم ثَنِيٌّ، ثم رَباعٍ، ثم قارِح[4].

---

(١) العاشر: هو من يأخذ العشر في جمع الزكاة. يقال: عشرت ماله أعشره، بضم الشين، وفعله من باب قتل. والمصدق، بضم الميم وفتح الصاد مخففة وتشديد الدال مكسورة: هو عامل الزكاة الذي يستوفيها من أصحابها. يقال: صدقهم يصدقهم فهو مصدق، كل ذلك بتشديد الدال.

(٢) قال في النهاية: وهو أحد ما جاء على أصله، ولم يعلّ كما أعلّ ناب.

(٣) بكسر العين منونة، وهو مثل تنوين «قاضٍ وساعٍ» قال الفيومي في المصباح: أربع إرباعاً: ألقى رباعيته، فهو رباعٍ، منقوص، وتظهر الياء في النصب، يقال: ركبت برذوناً رباعياً، والجمع ربع، بضمتين، وربعان، مثل غزلان.

(٤) بحاشية الأصل: بلغ تصحيحاً، ولله الحمد والمنة.

حَدِيثُ وَائِلِ بنِ حُجْرٍ الحَضْرَمِيِّ

وفد على النبي ﷺ بالمدينة، وقد كان بشَّر به أصحابه قبلَ قدومه، فقال: يأتيكم وائلُ بن حُجْرٍ من أرضٍ بعيدة، من حَضْرَمَوْتَ، طائعاً راغباً في الله عَزَّ وجَلَّ، وفي رسوله، بقيَّةُ أبنا الملوك، فلما دخل عليه رحَّب به وأدناه من نفسه، وبسط له رداءَه، فأجلسه عليه، وقال: اللهمّ بارك في وائلٍ وولده وولدِ ولدِه. واستعمله على الأقيال من حَضْرَمَوْتَ، وكتب معه ثلاثة كتب، كتابٌ خالِصٌ له على قومه، وكتابٌ له ولأهل بيته، وكتابٌ له ولقومه:

ففي الكتاب الأول: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبو(1) أمية، إنَّ وائلاً يُسْتَسْعَى وَيَتَرَفَّل على الأَقْوال حيث كانوا مِن حَضْرَمَوْتَ.

وفي الكتاب الثاني: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبي(2) أمية، لأبناء مَعْشَرٍ وأبناء ضَمْعَجٍ، أقوالِ شَبْوَةَ، بما كان لهم فيها من ملكٍ وعُمرانٍ، ومَزاهِرَ وعُرْمانٍ، ومِلْحٍ ومَحْجَرٍ، وما كان لهم من مالٍ بحَضْرَمَوْتَ، أعلاها وأسفلِها، من الجِوار والذِّمَّة، الله لهم جارٌ والمؤمنون أنصارٌ إن كانوا صادقين.

وفي الكتاب الثالث: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى وائلِ بن حُجْرٍ، والأَقْيال العَباهِلة، والأَرْواع المشابيب، من أهل حَضْرَمَوْتَ، بإقام الصلاةِ المفروضة وأداء الزكاة المعلومة، عندَ مَحَلِّها، على التِّيعَةِ شاةٌ، لا مُقَوَّرَةُ الأَلْياط، ولا ضِناكٌ، والتِّيمَةُ لصاحبها، وأَنْطُوا الثَّبَجَةَ، وفي السُّيُوب الخُمْسُ، لا خِلاطَ ولا وِراطَ ولا شِناقَ، ولا جَلَبَ ولا جَنَبَ ولا شِغارَ في الإسلام، ومن أَجْبا فقد أَرْبَى، وكلُّ مُسْكِرٍ حرامٌ، ومَن زَنا مِمْ بِكْرٍ فاصْقَعُوه مائةً، واستَوْفِضُوه عاماً، ومَن زنا مِمْ ثَيِّبٍ فضرِّجُوه بالأَضاميم، لا تَوْصِيمَ في الدِّين، ولا غُمَّةَ في فرائض الله، لكل عشرةٍ من السَّرايا ما يَحمِلِ القِرابُ من التَّمر. ووائلُ بن حُجْرٍ يَتَرَفَّلُ على الأقيال، أميرٌ أمَّره رسولُ الله، فاسمعوا وأطيعوا.

* * *

(1) هكذا بالرفع، وسيتكلم عليه المصنف في الشرح.
(2) وهنا جاء بالجر، رعاية لحق الإعراب.

أخرج بعضَه أبو عبيد(١)، عن سعيد بن عُفَير، عن ابن لَهِيعَة، عن أشياخه من حَضْرَمَوْتَ.

وأخرجه الخَطَّابي مُفَرَّقا في موضعين من كتابه، وقال: حَدَّثني محمد بن الحسن بن إبراهيم، قال: أخرج إلينا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ الحسين من أولاد وائل بن حُجْر كتاباً في أَدَمٍ، ذكر أنه كتابٌ كتبه رسولُ الله ﷺ لجَدِّه وائلِ بن حُجْر، إملاءً على عليِّ بن أبي طالبٍ، كرَّم الله وجهه، وقال: قلَّدني أبي هذا الكتابَ عند موته، وقال: يا بُنَيَّ تَواصَيْنا بهذا الكتابِ حتى صار إليَّ.

وجمع الزمخشريُّ الرواياتِ في كتابه(٢)، وأخرجه أصحابُ معارف الصحابة في كتبهم مجموعاً.

شرحه

وائلٌ: اسم فاعل من وَأَل يَئِلُ وَأْلًا: إذا لجأ(٣) إلى شيءٍ، والمَوْئِلُ: المَلْجأ.

وكان وائلٌ قَيْلًا من أقيال حَضْرَموتَ، ومن أبناء ملوكها.

وحُجْرٌ، بضم الحاء: اسمٌ معروف، تقول العربُ عند الأمرِ تُنْكِرُه: حُجْراً له، أي دَفْعاً، وهو استعاذةٌ من الأمر.

والحَضْرَميُّ: منسوبٌ إلى حَضْرَمَوْتَ، وهو اسمٌ للصُّقع المعروف بين اليمن والبحر مُشَرِّقاً، مُسَمًّى باسم حَضْرَمْوتَ(٤) بن قيس بن معاويةَ الحِمْيريّ، وهو اسمٌ غير منصرفٍ، مُركَّبٌ من اسمين، أولهما مبنيٌّ على الفتح، وقد يضاف الأول إلى الثاني، فتعتقِبُ على الأول وجوهُ الإعراب، وتُخيِّرَ في الثاني بين الصرفِ وتركه، لزوال التركيب، ومنهم من يضمّ الميم، فيخرجه على زنة عَنْكَبُوتٍ.

وهذا النَّسَب خارجٌ عن القياس إلى المركَّب، كما قيل في النسب إلى عبد شمسٍ، وعبد الدارِ وعبد قيس: عَبْشَمِيٌّ، وعَبْدَرِيٌّ، وعَبْقَسِيٌّ، والقياس: عَبْدِيٌّ وحَضْرِيٌّ.

وأبو أُمَّية، هكذا يُروى بالرفع في حال الجرّ؛ لأنه اشتهر بذلك وعُرِفَ به، فجرى مَجْرى المثل

---

(١) غريب الحديث ٢١١/١.

(٢) الفائق ١٤/١، وانظر أيضاً: طبقات ابن سعد ٣٤٩/١- ٣٥١، ومجمع الزوائد ٣٧٣/٩- ٣٧٦، والعقد الفريد ٤٨/٢، والاستيعاب ص ١٥٦٢، وأسد الغابة ٤٣٥/٥، والإصابة ٣١٢/٦.

(٣) في الاشتقاق ص ١٢٦، ٢٦١: إذا نجا من الشيء.

(٤) في اسم أبيه خلاف، انظره في جمهرة الأنساب ص ٤٦٠، ومعجم البلدان ٢٩٢/٣.

الذي لا يُغَيَّر، نحو قولهم: علي بن أبو طالب، بالرفع، لأن أباه اشتهر بكُنيته، فلا يكاد يُعرَف اسمُه، واسمُه عبد مناف، واسمُ أبي أُميَّةَ سُهَيْلٌ.

وهذا المُهاجِرُ هو صحابيٌّ من بني المغيرة المخزوميّ أخو أمِّ سلمة(١)، بعثه رسولُ الله ﷺ وسلم إلى الحارثَ بن عبدِ كُلال(٢) الحِمْيرىّ ملكِ اليمن، واستعمله على صَنْعاءَ وغيرِها، ثم ولّاه أبو بكرٍ بعدَه اليمنَ.

والأَقْيالُ: ملوك اليمن، دون الملك الأعظم، يكون كلُّ واحدٍ منهم مَلِكاً على قومه ومِخْلافه، وهو جمعُ قَيْلٍ على ظاهر لفظه، كما قِيل في جمع رِيحٍ: أرْياحٌ، والشائع فيه: أرواحٌ، على الأصل.

وأصل قَيْلٍ(٣): قَيِّلٌ، فَيْعِلٌ من القول، فحذفت عينُه(٤)، كأنه الذي له قولٌ نافذٌ مسموعٌ، وجمعه على الأصل: أقوالٌ بالواو، كأموات في جمع مَيْتٍ.

ويُسْتَسْعَى: أي يُستعمل على الصَّدَقات، من الساعي، وهو عامل الصدقة الذي يأخذها من أربابها.

وَيترفَّل: يَتَسَوَّدُ ويترأَسُ، يقال: رفَّلْتُه فترفَّلَ. قال ذو الرُّمَّة(٥):

إذا نحن رَفَّلْنا امرءًا سادَ قومَه ... وإن لم يكن من قبلِ ذلك يُذْكَرُ

استعاره من تَرْفيلِ الثَّوب، وهو إسباغُه وإسبالُه.

ومَعْشَرٌ وضَمْعَجٌ: قبيلتان من حميرَ وأهلِ حَضْرَمَوْت، وهما من آباءِ وائل بن حُجْرٍ وقومه.

وضَمْعَجٌ، بالضاد المعجمة والجيم، وهو اسم الناقة الضَّخمةِ التامَّة.

وشَبْوَةُ، بفتح الشين وسكون الباء الموحَّدة: اسم الناحية التي كانوا بها من حضرموت.

والعُمْران: المعمور من الأرض.

والمَزاهِر: الرِّياض، جمع مَزْهَرٍ؛ لأنها تجمع أصنافَ الزَّهَر والنبات.

---

(١) زوج النبي ﷺ. وكان المهاجر أخاها لأبيها وأمها. الاستيعاب ص ١٤٥٢، وأسد الغابة ٢٧٧/٥.

(٢) بضم الكاف، بوزن غراب، على ما في القاموس، وانظر الاشتقاق ص ٥٢٦.

(٣) راجع إصلاح المنطق ص ١٠، وقد بسط ابن الشجري الكلام عليه في الأمالي ٣٨٧/١.

(٤) المصنف، رحمه الله، يحكي كلام الزمخشري بحروفه، وإن لم يصرح، والذي في الفائق وبه يلتئم الكلام: فحذفت عينه، واشتقاقه من القول، كأنه الذي له قول، أي ينفذ قوله.

(٥) ديوانه ص ٦٥٤، وتخريجه في ١٩٨٥.

والعُرْمان: المزارع، وقيل: الأكَرَة[1]، واحدها، أعْرَمُ، وقيل: عَرِيمٌ.

ويروى: عِرْضانٌ، بكسر العين وضمِّها والضاد المعجمة، جمع عَرِيضٍ، وهو الذي أتى عليه من المَعْز سَنَةٌ، وتَناوَلَ النَّبْتَ والشَّجرَ بعُرْضِ شِدْقِه، أي جانبه، وهو عند أهل الحجاز الخَصِيُّ منها خاصَّةً. ويجوز أن يكون جمعَ العِرْضِ بالكسر، وهو الوادي الكثيرُ الشَّجَرِ والنخل.

ومَحْجَرُ: قرية معروفة بحضرموت، وقيل: هو مَحْجَنٌ، بالنون: موضعٌ معروف بها.

ومَحاجِنُ النَّخْل: حَظائرُ تُتَّخذُ حولَها.

والجِوار والذِّمَّة: الأمان والعهد. يقال: أَجَرْتُ فلاناً: إذا منَعْتَ من ظُلمه ونصَرْتَه، وأجاره الله من العذاب: أي أنقذه. والاسم: الجِوار، وهو في الأصل مصدر جاوره مُجاوَرةً وجِواراً.

والعَباهِلَةُ: الذين أُقِرُّوا على ملكهم، لا يُزالُون عنه ولا يُمنَعون منه، مِن عَبْهَلَهُ: إذا أهملَهُ، وكلُّ شيء أهملتَه فلا تمنَعُه مما يُريد، ولا تأخذ على يديه فقد عَبْهَلْتَه، والتاء فيها لتأكيد الجمع، كتاء صَياقِلَةٍ، والأصل عَباهِلُ، كصَياقِل، ويجوز أن يكون الأصل عَباهِيل، فحُذفت الياء وعُوِّض منها تاءُ التأنيث، كـزنادِقـةٍ، في زَنادِيق. ويجوز أن تكون عَلماً للنَّسب، على أن الواحدَ عَبْهَليٌّ، منسوبٌ إلى العَبْهلَة التي هي المصدر.

والأَرْواعُ: الذين يَرُوعُون الناسَ بحُسْن المنظر وجمال الهيئة والشَّارة، واحدهم: رائعٌ، كشاهدٍ وأشْهادٍ، وأصله من قولك: راعني الشيءُ يرُوعُني أي أفزعني، : وهو أن يُفْرطَ في حُسْنِه حتى يُفْزِعَ من نَظَر إليه، كقوله تعالى[3]: ﴿يَكَادُ سَنَابَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ أي لإفراط ضيَائه.

والمَشَابِيبُ: الزُّهْرُ المُسْتَنِيرُو الوُجوهِ، الذين كأنما شُبَّتْ ألوانُهم: أي أُوقِدَتْ، واحدهم: مَشْبُوبٌ، يقال: شَبَّ النارَ يشُبُّها: إذا أوقدها، ورجلٌ مَشْبوبٌ: إذا كان أبيضَ الوجهِ، أسودَ الشَّعَر، حَسَن المَنْظَر[4].

ومَحِلُّ الزكاة، بكسر الحاء: الوقت الذي[5] تجب فيه باستكمال الحول، وهي مَفْعِلٌ من

---

(١) الأكرة بثلاث فتحات: الحُرَّاث. قال الفيومي في المصباح: أكرت الأرض: حرثتها، واسم الفاعل أكار، للمبالغة، والجمع أكرة، كأنه جمع آكر، وزان كفرة، جمع كافر.

(٢) يرى الزمخشري أن العين بدل من الهمزة، وأن المعنى أبهله، وشاهد إبدال العين من الهمزة شائع معروف، وهو قول ذي الرمة:

أعن تـوسمت من خرقـاء منزلـة ... مـاء الصبابـة من عينيك مسجـوم

(٣) سورة النور ٤٣.

(٤) زاد في النهاية، قال: ويروى: «الأشباء» بكسر الشين وتشديد الباء جمع شبيب، فعيل بمعنى مفعول.

(٥) في الأصل: «التي» وصححته من النهاية، وذكره هناك في حديث الهدى.

حُلول الدَّيْن، وأصله: مَحْلِلٌ، فسُكِّنت اللام الأولى، ونُقلت حركتُها إلى الحاء، وأُدْغِمت في الثانية.

والتِّيعَةُ: الأربعون من الغنم، وقيل: هي اسمٌ لأَدْنـى ما تجب فيه الزكاة من الإبل والغنم وغيرها، كأنها الجملةُ التي للسُّعاة عليها سبيلٌ مِن تاعَ إليه يَتِيعُ: إذا ذهب إليه، أو هو من تاعَ اللِّبَأَ[(١)] والسَّمْنَ، يَتُوعُ ويَتِيعُ: إذا رفعه بكِسْرةٍ أو تَمْرةٍ.

أي لهم أن يرفعوا منها شيئاً ويأخذوه.

وعينها ياءٌ، أو منقلبة عن الواو، بحسَب المَأْخَذ.

والمُقْوَرَّةُ: المُسْتَرْخِيةُ الجُلودِ، بهُزالها، وقد اقْوَرَّ الجِلدُ يَقْوَرُّ اقْوِراراً، من قولهم: دارٌ قَوْراءُ، أي واسعةٌ، لأنه يَفْضُل حينئذ عن الجِسم ويتَّسعُ.

والألْياطُ: جمع اللِّيط، وهو القِشْرُ اللاَّصِق بالشَّجر والقَصَب، مِن لاطَ حُبُّه بقلبي يَلِيطُ ويَلُوط: إذا لَصِق به، فاسْتُعير للجلد؛ لالتزاقه باللحم، وإنما جاء به مجموعاً، لأنه أراد: لِيطَ كلِّ عضوٍ.

والضِّناك: المكتنزة اللحم، من الضَّنْكِ: الضِّيقِ، لأن الاكتنازَ تَضامٌّ وتَضايُقٌ.

أي لا يؤخَذ منهم الرَّديء ولا النَّفيسُ، إنما يؤخذ الوسَطُ[(٢)].

والتِّيمة: الشاةُ الزائدةُ على التِّيعة، حتى تبلُغَ الفريضةَ الأخرى. وقيل: هي الشاة المربوطةُ المعلوفة في البيت للاحتلاب، وأيَّتُهما كانت فهي المحبوسة، إمَّا عن الصدقة، وإمَّا عن الرَّعْى، من التَّتْيِيم، وهو التَّعْبيدُ والحَبْسُ عن التصرف الذي للأحرار.

قال أبو عبيد[(٣)]: وربما احتاج صاحِبُها إلى لحمها فذَبَحها، فيقال: قد آتَّامَ الرجلُ: إذا أكل التِّيمَة.

والإنطاء: الإعطاءُ، لغة يمانِيَةٌ. يقال: أَنْطَى يُنْطي، كأعطى يُعطي.

والثَّبَجَة: الوسَط، والأصل: الثَّبج، وألحقه تاءَ التأنيث، لانتقاله من الاسميّة إلى الوصفيّة.

أي أعطُوا المتوسطة بين الخِيار والرُّذال.

---

(١) اللبأ، بكسر اللام وفتح الباء: أول اللبن في النتاج.

(٢) سبق هذا الفقه في حديث طهفة، وحديث قطن بن حارثة.

(٣) راجع غريب الحديث ٢١٣/١، ففيه اختلاف يسير.

والسُّيُوب: الرِّكاز، وهو المال المدفون في الجاهلية، أو المَعدِن، جمع سَيْبٍ، وهو العطاء، لأنه مِن فضل الله على مَن أصابه. وقيل: السُّيُوب: عُروقٌ من الذَّهب والفِضَّة، تَسِيبُ في المَعدِن، أي تَجري فيه.

والخُمسُ: سهمٌ من خمسة أسهم، وتُضمّ ميمُه وتُسكَّن.

والخِلاطُ: مصدر خالَطَه يُخالطه مُخالَطةً وخِلاطاً، والمراد به أن يَخلِطَ الرجلُ مالَه بمال غيره ليمنعَ حقَّ الله منه، أو يَبْخسَ الساعىَ فيما يجب له، وهو معنى قوله في الحديث الآخر[1]: «لا يُجْمَعُ بين مُتفرِّقٍ ولا يُفَرَّق بين مُجْتمِع خَشْيَةَ الصَّدقةِ».

أما الجمعُ بين المتفرِّق، وهو الخِلاط: فمِثل أن يكون ثلاثة نَفَرٍ، لكلِّ واحدٍ منهم أربعون شاةً، وقد وجب على كلِّ واحدٍ منهم شاةٌ، فإذا أظَلَّهم السَّاعي جمعوها لئلّا يكونَ عليهم فيها إلا شاةٌ واحدةٌ.

وأما تفريقُ المجتمع: فأن يكون شريكان ولكلٍّ واحدٍ منهما مائةُ شاةٍ وشاةٌ، فيكون عليهما فيها ثلاثُ شِياهٍ، فإذا أظلَّهم السَّاعي فرَّقا غنمهما، فلم يكن على كلّ واحدٍ منهما إلّا شاةٌ واحدة، فَنُهُوا عن ذلك.

قال الشافعيّ: «الخطاب في هذا للمُصَدِّق ولربِّ المال» لأن الخُلْطةَ مؤَثِّرةٌ عنده في زيادة الزكاة ونُقْصانها.

وأما أبو حنيفة فلا يَجعل لها أثراً، ويكون معنى الحديث عنده نَفْي الخِلاط لنَفْي الأثَر، كأنه يقول: لا أثَرَ للخُلْطة في تقليل الزكاة وتكثيرها.

والوِراط: أن يجعلَ غنَمه أو إبلَه في وَهْدةٍ من الأرض لتَخْفَى على المُصَدِّق، مأخوذٌ من الوَرْطة، وهي الهُوَّةُ العميقة في الأرض، يقال: تورَّطت الغَنَمُ: إذا وقعتْ في الوَرْطة، ثم استُعير للناس إذا وقعوا في بَلِيَّةٍ يَعْسُر المَخْرجُ منها.

وقيل: الوِراطُ أن يُغَيِّبَ إبلَه أو غنَمه في إبل غيره أو غنمِه، لئلّا يراها المُصَدِّق.

---

(١) راجع صحيح البخاري (باب لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع. من كتاب الزكاة) ١٤٤/٢، و(باب في الزكاة وأن لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق خشية الصدقة. من كتاب ترك الحيل) ٢٩/٩.
وسنن ابن ماجه (باب ما يأخذ المصدق من الإبل وباب صدقة الغنم. من كتاب الزكاة) ٥٧٦/١، ٥٧٧.
والموطأ (باب صدقة الخلطاء. من كتاب الزكاة) ٢٦٤/١.
وانظر الأم للإمام الشافعي ١١/٢.

وقيل[1]: هو أن يُقال للمُصَدِّق: عند فلانٍ صدقةٌ، وليست عنده فيورِّطه في ذلك.

والشِّناق: المشاركة في الشَّنَق، وهو ما بين الفريضتين من كلّ ما تجب فيه الزكاة، كالزيادة على الخَمْس من الإبل إلى العَشر، والزيادةِ على العَشر إلى الخمسَ عَشرةَ. أي لا يُؤخَذُ في الزيادة على الفريضة زكاةٌ، إلى أن تبلغَ الفريضةَ الأخرى. وإنما سُمِّيَ شَنَقاً، لأنه ليس بفريضةٍ تامَّةٍ، فكأنه مشنوقٌ، أي مكفوفٌ عن التَّمام، من شَنَقْتُ الناقةَ بزمامها: إذا كَفَفْتَها.

فمعنى قوله: «لا شِناقَ» أي لا يَشْنِقُ الرجلُ غنَمه أو إبلَه إلى مال غيره، ليُبطِلَ الصدقة، وهو قريبٌ من الخِلاط. تقول العربُ إذا وجب على الرجل شاةٌ في خمسٍ من الإبل: قد أشْنَقَ، أي وجب شَنَقٌ، فلا يزال مُشْنِقاً إلى أن تبلغَ إبلُه خمساً وعشرين، فيزول عنه اسمُ الإشناق، وعليه ابنةُ مخاضٍ، ويقال له: مُعْقِلٌ، أي مُؤَدٍّ للعِقال مع ابنة المخاض، لتُشَدَّ به، فإذا بلغت إبلُه ستّاً وثلاثين إلى خمسٍ وأربعين، فهو مُفْرِضٌ، أي وجبت في إبله الفريضة، وهي البَعيرُ المأخوذ في الزكاة من ابن اللَّبُون فصاعِداً.

والجَلَبُ: يكون في شيئين، أحدهما في الزكاة، وهو أن يَقْدَمَ المُصَدِّقُ على أهل الزكاة، فينزلَ موضعاً من أرضهم، ثم يرسلَ إلى المياه مَن يجلِبُ إليه الأموال، ويجمُعها عنده ليأخذَ صدقتَها، فَنُهِيَ عن ذلك، وأُمِر أن تُؤخذَ صدقاتُهم على مِياهِهم. يقال: جلب الشيءَ يَجْلِبُه ويَجلُبُه، جَلْباً وجَلَباً.

والثاني: يكون في السِّباق، وهو أن يَتْبَع الرجلُ فرسَه فيزجُرَه، ويُجلِبَ عليه، حثّاً له على الجري، فنُهي عن ذلك. يقال: جَلَب على فرسه يَجْلُب جَلَباً: إذا صاح به مِن خَلْفِه، واستحثَّه وأجلَبَ عليه مِثلُه.

والجَنَبُ: يكون في الزكاة كالجَلَب، وهو أن يأمرَ المُصدِّقُ بالأموال أن تُجنَب إليه ليأخذَ صدقتَها، يقال: جَنَبْتُ الدابَّةَ جَنَباً: إذا قُدْتَها إلى جَنْبك. وقيل: هو أن يُجْنبَ ربُّ المال بمالِه، أي يُبعدَ عن موضعه، حتى يحتاجَ المُصدِّقُ إلى الإبعاد في طلبه واتِّباعه.

والجَنَبُ في السِّباق: أن يَجُنبَ فرساً إلى فرسِه الذي يُسابق عليه، فإذا فَتَر المركوبُ تحوَّل إلى المَجْنُوب.

والشِّغار: نكاحُ كان في الجاهلية، كان يقول الرجلُ للرجلِ: شاغِرْني، أي زَوِّجْني بنتك أو

(١) هذا القول لأبي سعيد الضرير، والذي قبله لشمر، والقول الأول لأبي بكر بن الأنباري. ذكر كل ذلك الهروي في ترجمة (ورط) من الغريبين.

أختك، أو مَن تَلي أمرَها، حتى أزوِّجَك أختي أو بنتي، أو مَن ألي أمرَها، ولا يكون بينهما مَهْرٌ، ويكون بُضْعُ كلِّ واحدةٍ منهما في مقابلَة بُضْعِ الأُخرى، وقيل له: شِغارٌ، لارتفاع المَهْر بينهما، مِن شَغَر الكلبُ: إذا رفع إحدى رجليه ليبولَ، وقيل: هو مِن شغَرتُ فلاناً من البلد: إذا أخرجتَه منه، فكأنَّ كلَّ واحدٍ منهما قد أخرج وَلِيَّتَه[(١)] إلى الآخَر.

وأَجْبا الرجلُ: إذا باع الزرعَ قبل أن يبدوَ صلاحُه، وأصله الهمزُ، من جبأ عن الشيء: إذا كفَّ عنه، لأن المُبتاعَ مُمْتنِعٌ من الانتفاع به إلى أن يُدرِك، وإنما خُفِّفت الهمزة ليزاوج أَرْبَى[(٢)].

وقيل: أراد[(٣)] بالإجباء أن يُغَيِّب إبلَه عن المُصَدِّق، من أجبأتُه: إذا واريته، والاوَّلُ الوجهُ[(٤)].

وأرْبَى: أي دخل في الرِّبا، يقال: أرْبَى يُرْبِي إرباءً، وأصل الرِّبا: الزِّيادةُ، وقد ربا المالُ يَرْبُو رَبْواً، والاسم الرِّبا، مقصورٌ. والمعنى أنه إذا باعه على أن فيه كذا كذا قَفِيزاً، وهو غير معلوم، فإن نَقص أو زاد عمّا وقع التعاقُد عليه، فقد حصل الرِّبا في أحد الجانبين.

وقوله: «ومَن زنا مِمْ بِكْرٍ» قلب نون «مِن» ميماً، لوقوع باء «بِكْرٍ» بعدها، وهو قلبٌ مُطَّردٌ إذا كانت النون ساكنة، نحو عَنْبرٍ ومِنْبر.

وأما قوله: «ومَن زنا مِم ثَيِّبٍ» فإنّ قلبَ النونِ ميماً لغةٌ يمانيَةٌ، كما يقلبون لام التعريف ميماً، كقوله: «ليس من امْبِرِّ[(٥)]» يريد: من البِرّ.

والبِكْر والثَّيِّب يقعان على الرجل والمرأة، فالبِكر: الذي لم يتزوج، والثَّيِّب: الذي تزوَّج.

والصَّقْع: الضَّرْب على الرأس، ومنه فرسٌ أصْقَعُ، وهو المُبَيَّضُ أعلا رأسِه، والمرادُ ها هنا الضَّربُ على الإطلاق.

والاستِيفاضُ: التَّغْريبُ والنَّفيُ والطَّرد، مِن وَفَضَ وأوْفَضَ: إذا عَدا وأسرَعَ، واستوفَضَت الإبلُ: إذا تفَرَّقتْ في رَعْيها.

---

(١) أي المرأة التي يلي أمرها. هذا من كلام أبي عبيد في غريب الحديث ١٢٧/٣، وانظر الغريبين ٣٧٣/١، وحواشيه.

(٢) قال المصنف في النهاية: والأصل في هذه اللفظة الهمز، ولكنه روى هكذا غير مهموز، فإما أن يكون تحريفاً من الراوي أو يكون ترك الهمز للازدواج بأربى.

(٣) هذا قول ابن الأعرابي، كما صرح الهروي في الغريبين ٣١٧/١.

(٤) زاد في النهاية، قال: وقيل أراد بالإجباء العينة [بكسر العين] وهو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى، ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثمن الذي باعها به.

(٥) تمامه: «ليس من امبر امصيام في امسفر» أي ليس من البر الصيام في السفر.

والتَّضريج: التَّدْمِيَةُ، مِن الضَّرج، وهو الشَّقُّ، وثوبٌ مُضَرَّجٌ، أي مصبوغٌ بالحُمْرة، وتَضرَّج: إذا تَلَطَّخ بالدَّم.

والأَضامِيمُ: الحِجارة، واحدتها إضْمامَةٌ، إفْعالةٌ من الضَّمِّ، وأراد بذلك الرَّجْم الذي هو حَدُّ الزاني الثَّيِّب.

والتَّوصِيمُ: الفُتور والتَّواني، أي لا إهمالَ[1] لإقامة الحُدُود، وأصله من الوَصْم: الصَّدْع. ثم قيل لمن به وَجَعٌ وتكسُّرٌ في عِظامه: مُوَصَّمٌ، كما قيل لمن في حَسَبه غَميزَةٌ: مَوْصُومٌ، ثم شُبِّه الكَسلانُ المتثاقلُ بالوَجِع المتكسِّر، فقيل: به تَوْصِيمٌ، والمعنى: لا مُحاباةَ في دِين الله ولا تَوانِيَ.

والغُمَّةُ: مِن غَمَّه، إذا سَتَره وغَطَّاه، أي لا تُستَر فرائضُه ولا تُخْفَى، إنما تُظْهَرَ ويُجْهَر بها.

والسَّرايا: جمع سَرِيَّةٍ، وهي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعَمائة، تُبْعَث إلى العدُوّ، سُمِّيت بذلك لأنهم يكونونَ خِيارَ الجيش، من السَّرِيِّ: النَّفِيس، وقيل: لأنهم يُنَفَّذُون سِرّاً، وليس بالوَجْه، لأن لام السِّرِ راءٌ، وهذه ياءٌ. وقيل: هو مِن السُّرَى: سيرِ الليل، لأنَّ أكثر ما يُنَفَّذُون فيه.

والقِرابُ: شِبْه جِرابٍ يضع فيه المسافرُ زادَه وسِلاحَه.

ويروى: «القِرافُ» بالفاء، جمع قَرْفٍ، بالسكون، وهو وِعاءٌ من جِلْد يُدْبَغ بالقِرْفَة، وهي قِشْرُ الرُّمَّان، وأكثر ما يُحمل فيه الخَلْعُ، وهو لحمٌ يُطْبَخ بالتَّوابِل، ثم يُجعَل فيه.

أوجب عليهم أن يُزَوِّدُوا كلَّ عشرة من السَّرايا المجتازةِ بهم ما يَسَعُ هذا الوعاءُ من التَّمْر[2].

---

(١) هكذا في الأصل: «لإقامة» باللام. وفي النهاية: «لا تفتروا في إقامة الحدود ولا تحابوا فيها». والذي في الفائق، والمصنف يحكي كلامه بشيء من التصرف: «لا هوادة ولا محاباة في دين الله».

(٢) بحاشية الأصل: بلغ تصحيحاً، ولله الحمد والمنة.

حديث جرير بن عبد الله البجلي

قال عبد الله بن العباس: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى الغداة قعد في مُصلَّاه حتى تطلُعَ الشمسُ، فقال يوماً: يَطَّلِعُ عليكم من هذا الفَجِّ مِن خير ذي يَمَنٍ، عليه مَسْحَةُ مَلَكٍ(١)، فطلع جريرُ ابنُ عبد الله البَجَليّ في أحدَ عشرَ راكِباً مِن قومِه، فعقَلُوا ركابهم، ثم دَنَوْا، فقال جريرٌ: يا معشرَ قريش، أين رسولُ الله؟ فقال رسول الله: يا جريرُ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، إنّ غِلَظَ القُلُوب والجفاءَ والحُوبَ في أهل الوَبَر والصُّوف، يا جريرُ، إنك لن تستحقَّ حقيقةَ الإسلام، ولا تستكملَ شَريعةَ الإيمان حتى تَدَعَ عِبادةَ الأَوثان. وذكر الحديث.

ثم قال: أين تنزلون يا جريرُ؟ قال: نَنْزِلُ في أكناف بيشَةَ، بين سَلَمٍ وأراك، وسَهْلٍ ودكْدَاك، وحُمُوضٍ وعَناك، ونَخْلَةٍ وضالَة، وسِدْرَةٍ وآءَة، ونَجْمَةٍ وأَثْلَة، شتاؤنا ربيع، ورَبِيعُنا مَريع، وماؤنا يَمِيع، لا يُقامُ ماتِحُها، ولا يَحْسَرُ صابِحُها، ولا يَعْزُب سارِحُها.

فقال النبيُّ ﷺ: أما إنّ خيرَ الماء الشَّبِمُ، وخيرَ المالِ الغَنَمُ، وخيرَ المَرْعَى الأراكُ والسَّلَم، إذا أخلف كان لَجِينا، وإذا أُكِل كان لَبِينا، وإذا سقط كان دَرِينا.

فقال جرير: يا رسول الله، أخبِرني عن السماء الدُّنيا، وعن الأرض السُّفْلَى.

قال: خلق الله السماءَ الدُّنيا من الموج المكْفُوف، وحَفَّفَها بالنُّجوم، وجَعلها رُجُوماً للشياطين، وحِفْظاً من كل شيطانٍ رجيم، وخلق الأرضَ السُّفْلَى من الزَّبَد الجُفاء، والماءِ الكَبَا(٢). سبحان خالقِ النُّور.

ثم ذكر إسلامَه ومُبايعتَه.

* * *

(١) يروى بفتح الميم واللام، وبضم الميم وسكون اللام. ويأتي الكلام عليه في الشرح.

(٢) هكذا جاء في الأصل بفتح الكاف مقصوراً، وكتب فوقه: «قصر». والذي في غريب الحديث لابن قتيبة: «الكباء» بضم الكاف ممدوداً، وكذلك أورده المصنف في النهاية، ترجمة (كبا)، وعنه صاحب اللسان. وذكره الزمخشري كذلك في الفائق ٢٢٠/١، في غير حديث جرير.

أخرج غريبَه ابن قتيبة [١]، عن أبيه، بإسناده عن الزُّهريّ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس، وكذلك أخرجه الزمخشريّ [٢]، وأخرجه بتمامه الطَّبرانيّ، وهو غريب من حديث الزُّهْرِيّ.

شرحه

الاطِّلاعُ: الإشراف على الشيء، وهو افتعالٌ من الطُّلوع، يقال: طلَعْتُ على القومِ: إذا أتيتَهم.

والفَجُّ: الطريق والمَسْلَك الواسِع.

وقوله: «مِن خير ذي يَمَنٍ» أي رجلٌ من خير أذواء اليمن، فحذف الموصوف، كقوله تعالى [٣]: ﴿وَمَامِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾.

وأذْواءُ اليمن [٤]: ملوكُهم، كذي يَزَنٍ وذي رُعَيْن.

وقوله: «عليه مَسْحَةُ ملكٍ» أي أثَرٌ ظاهِرٌ يُستدلُّ به عليه، كما يقال: عليه مَسْحَةُ جَمالٍ ومَسْحَةُ عِتْقٍ [٥] ومَسْحةُ كَرَمٍ، وهي كلمةٌ تقال للرجل الخيِّر الشريف، في مَعْرِض المدح، ولا تُقال في الذَّمِّ، كأن هذه الأشياء مَسَحَتْه بيدها فأبقَتْ فيه أثَرَها.

والمَلَكُ، إن كان بفتحتين فهو أحدُ الملائكة [٦]، وأكثر ما يُروى بضم الميم، يعني أن عليه أثَرَ المُلْك، فإنّ جريراً كان من أشراف اليمن ومُقَدَّميها.

وغِلَظُ القُلُوب: كنايةٌ عن القَساوة.

---

(١) غريب الحديث ١/٥٤٢.

(٢) الفائق ١/٤٣٢، وانظر أيضاً طبقات ابن سعد/٣٤٧، والاستيعاب ص ٢٣٦، وأسد الغابة ١/٣٣٣، والإصابة ١/٢٤٢، والعقد الفريد ٢/٤٩، ومعجم ما استعجم ص ٢٤٩، في رسم (بيشة)، ومجمع الزوائد ٩/٣٧٢.

(٣) سورة الصافات ١٦٤. وهذا الذي ذهب إليه المصنف رحمه الله، هو رأى البصريين. قال مكي بن أبي طالب: «تقديره عند الكوفيين: وما منا إلا من له مقام، ثم حذف الموصول وأبقى الصلة، وهو بعيد جداً. وقال البصريون: تقديره: وما منا ملك إلا له مقام معلوم، على أن الملائكة تبرأت ممن يعبدها، وتعجبت من ذلك». مشكل إعراب القرآن ٢/٢٤٤، وانظر تفسير القرطبي ١٥/١٣٧.

(٤) انظر الكلام على أذواء اليمن مستقصى في أمالي ابن الشجري ١/١٧٠- ١٧٢.

(٥) العتق، بكسر العين: الكرم والجمال والنجابة والشرف والحرية.

(٦) وعلى هذا التفسير اقتصر المصنف في النهاية، في ترجمة (ملك).

والحوبُ: الإثمُ، وتُضَمّ حاؤه وتفتح، فالضمّ[1] لغة الحجاز، والفتح لغة تَميم.

وقوله: «في أهل الوَبَر والصُّوف» يعني أهلَ الإبل والغنم، لملازمتهم إياها وسُكْنَى البوادي، بخلاف أهل الحَضَر.

والأوثان: الأصنامُ، وقد تقدَّم الفرقُ بينَهما[2].

والأكناف: النَّواحي، واحدها: كَنَفٌ، بالتحريك.

وبيشة وادٍ[3] كان لبني خفاجةَ، وبعضهم يهمزها.

والسَّلَمُ: شجرةٌ من شجر الشَّوك، واحدتها: سَلَمَةٌ.

والأراك: شجرٌ معروفٌ، يُتَّخذ منه السِّواك، وهو من خير عَلَف الإبل.

والدَّكْداك: الرَّمْل المُتلبِّد بالأرض، غير الشديد الارتفاع.

والسَّهْلُ: ضِدُّ الحَزْن.

والحُمُوض: جمع حَمْضٍ، وهو من النَّبت: ما كان فيه حُموضَةٌ ومُلُوحة، وهو للإبل كاللحمِ والفاكهةِ للإنسان.

والعَناكُ، بالنون: قيل: هو الرَّمْل، والعانِك: رملٌ في لونه حُمرةٌ. وذكر الأزهريُّ[4] أنه خطأ وتصحيفٌ، وإنما هو عاتِكٌ، بالتاء. وقال الجوهريّ[5]: العانِك: رملةٌ فيها تعقُّدٌ، لا يقدر البعيرُ على المشي فيها إلا أن يَحبُوَ.

والذي جاء في رواية القُتَيبيّ[6]: «علاك» باللام، وهو شجرٌ ينبُت بالحجاز، ويقال له: العَلَكُ، أيضاً، وقيل: هي شجرُ سَوْءٍ.

---

(١) وكذا قال الفيومي في المصباح. وعكس المصنف في النهاية، فجعل الفتح لغة الحجاز، والضم لغة تميم، ومثله في اللسان والتاج.

(٢) في الحديث الأول.

(٣) من عمل مكة، مما يلي اليمن، من مكة على خمسة مراحل. معجم البلدان ٣٣٤/٢.

(٤) تهذيب اللغة ٣١٦/١.

(٥) الصحاح (عنك).

(٦) وكذلك روى الزمخشري. ورواية النون للطبراني، كما ذكر المصنف في النهاية.

والضَّالَةُ، بتخفيف اللام[١]: شجر السِّدْر البَرِّي.

وفي رواية: «بين نَخْلةٍ ونَحْلَة»[٢] بدل «ضالة». يريد أنّ بلادَهم بها التَّمر والعَسلُ، ويشهد لهذه الرواية قولُه: «وسِدْرةٍ وآءةٍ» والسِّدْر: هو الضَّالُ.

وآءةٌ، بوزن عاهةٍ: شجرٌ معروف، وجمْعُه آءٌ، كعاهٍ[٣].

والنَّجْمُ: النَّبتُ مما لا يقوم على ساقٍ، والنَّجْمة[٤] أخَصُّ منه.

والأَثْلُ: نوعٌ من شجر الطَّرْفاء، والأَثْلَة واحدتُه.

والمَريعُ: الخَصِيبُ، وقد مَرُعَ يمرُع مَرَاعةً.

ويَمِيعُ: أي يسيلُ، يقال: ماعَ الماءُ وامَّاعَ: إذا سالَ وجرى من عُلْوٍ.

ويروى: «يَريعُ» أي يَعُودُ، من راعَ يَريعُ: إذا رجَع، أو من الرَّيْعِ: الزِّيادةِ والنَّماء. يريد أنّ شتاءَهم بمنزلة ربيعِ غيرهم، وربيعهم مُخْصِبٌ مُمْرِعٌ، وماؤُهم جارٍ مُتدفِّق، لا يحتاجون فيه إلى استقاءٍ ولا اجتلابٍ من بُعْدٍ.

والماتِحُ، بالتاء المعجمة من فوق: هو مُسْتَقي الدَّلْو من أعلا البئر[٥]. أي لا نحتاج أن نجعلَ لِمائنا ماتِحاً، من كثرة الماء وظهورِه على وجهِ الأرض.

والحُسُور: التَّعبُ والإعياء، وقد حَسَرَ يَحْسَرُ[٦] فهو حاسِرٌ وحَسِيرٌ.

والصابحُ: الذي يسقى الإبلَ وغيرَها صباحاً، يقال: صَبَحْتُ القومَ أصْبَحُهم: إذا سقيتَهم الصَّبُوح. أي لا يَعْيَى ساقي إبلِنا ومَواشِينا، لأنها تشرب بأنفُسِها من وجه الأرض.

وقوله: «لا يعزُب سارِحُها» أي لا تَبْعُد مواشيهم في طلب المرعَى، فهي تجد بالقُرب منهم ما يكفيها، لكثرة النبات حولَهم.

---

(١) قال في النهاية: واحدة الضال، وألفه منقلبة عن الياء. يقال: أضالت الأرض وأضيلت.

(٢) هكذا بالحاء المهملة، ورسمت حاء صغيرة في الأصل علامة الإهمال، وهو الصواب، و يؤكده الشرح الآتي. وجاء في غريب ابن قتيبة والفائق والعقد الفريد: «بين نخلة ونخلة» بالخاء المعجمة في الكلمتين.

(٣) هكذا بالهاء في الأصل، ومثله في النهاية، ترجمة (أوى)، وجاء بهامش الأصل: «صوابه كعاء». قال في النهاية: «وأصل ألفها التي بين الهمزتين واو». وانظر النبات للأصمعي ص ٢٨.

(٤) قال في النهاية: وكأنها واحدته، كنبتة ونبت.

(٥) أما المائح، بالهمز: فهو الذي ينزل في البئر إذا قل الماء فيملأ الدلو. أفاده ابن قتيبة.

(٦) بفتح السين وكسرها في الماضي والمضارع، فهو من باب ضرب وفرح، كما في القاموس.

والسَّارِحُ: الخارجُ إلى الرَّعْي.

والعازِبُ: البعيدُ.

والشَّبِمُ: البارِدُ، وقد شَبِم الماءُ يَشْبَمُ شَبَماً. قال القُتَيْبِيّ: وأنا أحسِبُه: «السَّنِمُ» بالسين[1] المهملة والنون، وهو الماء المرتفع على وجه الأرض، وكلُّ شيء علا شيئاً فقد تَسَنَّمه، مأخوذٌ من سَنام البعير، قال: وهذا أشَبهُ بما ذكره عن مائهم، لأنه قال: «وماؤنا يَمِيع» أي يَجْرِي، وإنما يجري ما كان ظاهراً على الأرض، فالسَّنِم أشبَهُ به من الشَّبِم.

وقوله: «إذا أخْلَفَ» أي أخرج الخِلْفَة، وهي ورَقٌ يَخرُج في النَّبات بعدَ الورق الأوّل في الصَّيف[2].

واللَّجِينُ: الخَبَطُ[3] يَجِفُّ ثم يُدَقُّ حتى يتلجَّن، أي يَتلزَّج ويصير كالخِطْمِيّ[4]، ثم تُوجَرُه[5] الإبلُ.

والدَّرِينُ: حُطام المَرْعَى إذا قَدُم وتفَتَّت. يريد أن ورق الأراك والسَّلَم إذا أُخِذ وهو خِلْفَةٌ، لُجِّنَ وأُطْعِمَ الإبلَ، وإذا تُرِك حتى يسقطَ من شجره، ثم أُخِذ يابساً، كان كالدَّرِين.

واللَّبِينُ بمعنى اللاَّبِن. أي إن أكلَه مُدِرٌّ للَّبن ومُكَثِّرٌ له، فهو فعيلٌ بمعنى فاعل، كأنه يُعطيها اللبنَ، تقول: لَبَنْتُ القومَ وسَمَنْتُهم: إذا أطعمتَهم اللبنَ والسَّمنَ.

وقوله: «من الموج المكفوف» أي المحبوس الممنوع من السقوط، لأنَّ مَن منعتَه فقد كفَفْتَه، والماء إذا لم يُمنَع جَرى بطبعه.

وحَفَّفها بالنُّجوم: أي زيَّنها بها[6]. يقال: حَفَّه بكذا يَحُفُّه، كما يُحَفُّ الهَوْدَجُ بالثياب، وحَفُّوا حولَه يَحُفُّون: إذا استداروا حولَه، وحَفَّف: فَعَّل للتكثير.

والرُّجُوم: جمع رَجْم، وهو مصدرٌ، سُمِّي به ما يُرْجَم به[7]، ومعنى كونها رُجُوماً لهم أن

---

(١) لم يرد هذا التقييد في غريب ابن قتيبة.

(٢) بعده في غريب ابن قتيبة: ويكون إذا أخلف فلم يحمل.

(٣) الخبط، بفتح الخاء والباء: ورق ينفض بالمخابط ويجفف ويطحن ويخلط بدقيق أو غيره، ويوخف بالماء، فتوجره الإبل. القاموس.

(٤) بفتح الخاء وكسرها، كما ضبط في الأصل، وفوقها «معاً»، وهو كذلك في القاموس.

(٥) وقع في غريب ابن قتيبة المطبوع: «تؤجره» بالهمز، وصوابه بالواو دون الهمز، وهو من الوجر، وهو أن توجر ماء أو دواء في الحلق. قال الفيومي في المصباح: الوجور، بفتح الواو، وزان رسول: الدواء يصب في الحلق، وأوجرت المريض إيجارا: فعلت به ذلك، ووجرته أجره، من باب وعد، لغة.

(٦) في الأصل: به.

(٧) في النهاية: ويجوز أن يكون مصدراً لا جمعاً.

الشُّهُب التي تنقَضُّ في الليل لرَمْي الشياطين منفصلةٌ من نُور[1] الكواكب، لا أنهم يُرْجَمون بالكواكب أنفُسِها، لأنها ثابتةٌ لا تزول، وما ذاك إلا كقَبَسٍ يُؤْخَذُ من نارٍ، والنارُ ثابتةٌ في مكانها.

وقيل: أراد بالرُّجوم: الظُّنُون التي تُظَنّ وتُحْزَر، ومنه قولُه تعالى[2]: ﴿رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾ وما يُعانيه المنجِّمون من الحُكْم على اتصالِ النجومِ وافتراقها، وإياهم عَنى بالشياطين، فإنهم شياطين الإنسُ.

والرَّجيم: المرجُومُ، فعيل بمعنى مفعول، وهو المَلْعُونُ المطرود، وأصل الرَّجم: القَتْل بالرِّجام، وهي الحجارة، ويريد به ها هنا الشياطين الذين يَسْتَرِقُون السمعَ من السماء.

والزَّبَدُ الجُفاء: هو ما جَفَأه الوادي فرمى به مما يطفو على وجه الماء، يقال: جفأ السَّيلُ: إذا رمَى بالقَذَى والزَّبَد، ويقال فيه: أجفأ، لغة قليلة. أراد أنه خلق الأرض من زَبَدٍ اجتمع للماء وتَكاثَف في جَنباته.

والماءُ الكَبا[3]: هو العالي العظيم، من كبا الفرسُ يكبو: إذا رَبا وانتفخ، وكَبا الغُبار: إذا ارتفع، ومنه قولهم: فلانٌ كابى الرَّماد، أي عظيمه، كأنه يريد ما انتفخ على الماء، ورَبا من الزَّبَد[4].

---

(١) في النهاية: من نار الكواكب ونورها.

(٢) سورة الكهف ٢٢.

(٣) هكذا بالقصر، وقد علقت عليه في متن الحديث.

(٤) بحاشية الأصل: بلغت القراءة على مصنفه إلى هنا. والحمد لله وحده.

حَدِيْثُ قَيْلَةَ بنتِ مَخْرَمَةَ العَنْبَرِيَّةِ رضي الله عنها

التَّميميّة

قال أبو الجُنَيد عبدُ الله بنُ حَسَّان العَنْبريّ: حَدَّثتني جَدَّتاي صفيَّةُ ودُحَيْبَةُ بِنْتا عُلَيْبَةَ، وكانتا رَبيبَتَيْ قَيْلَة، وكانت جَدَّةَ أبيهما[١]: أن قَيْلَةَ حدَّثتْهما أنها كانت تحت حَبيب بن أزهر، أخي بني جَناب، فولدتْ له النِّساء، ثم تُوفِّي فانتزع بَناتِها منها أَثْوَبُ بنُ أزهر، عمُّهُنّ، فخرجت تبتغي الصحابةَ إلى رسول الله ﷺ، فبكت هُنَيَّةُ منهنّ، هي أصغرهُنّ، حُدَيْباء، كانت قد أخذَتْها الفَرْصَةُ، وعليها سُبَيِّجٌ لها من صُوفٍ، فرحمَتْها فحملَتْهَا، فبينا هما تُرْتِكان الجملَ إذ انتفَجَتْ أرنبُ، فقالت الحُدَيباء: الفَصْيَةُ! واللهِ لا يزال كعبُك عالياً. وفي رواية: أعلى من كعب أَثْوَبَ أبداً. ثم سَنَح ثَعْلبٌ، فقالت ما قالت في الأرنب. فبينا هما تُرْتِكان إذ بَرَكَ الجملُ، وأخذته رِعْدةٌ، فقالت الحُدَيْباء: أدركَتْكِ واللهِ أخذَةُ أَثْوَبَ، فقلت واضطُررتُ إليها: ويحك ما أصنع؟ قالت: قَلِّبي ثيابك، ظُهُورَها لبُطونها، وتَدَحْرَجي ظهرَكِ لبَطْنك، وقَلِّبي أحْلاسَ جَملِك، ثم خَلَعتْ سُبَيِّجَهَا، فقلَبَتْه، وتدحرَجَتْ ظهرَها لبَطْنها. فلما فعلتُ ما أمرتْني انتفضَ الجَملُ، ثم قام وتَفاجَّ وبالَ. فقالت الحُدَيباء: أَعِيدِي عليه أداتَكِ، ففعلتُ ما أمرَتْني به. ثم خَرَجنا نُرْتِكُ، فإذا أَثْوَبُ يسعَى على أَثَرنا بالسَّيفِ صَلْتاً، فَوَأَلْنا إلى حِواءٍ ضَخْم قد أراهُ؛ حتى أُلْقِيَ الجملُ إلى رُواق البيت الأوسط، جملٌ ذَلولٌ، واقتحمْتُ داخِلَه بالجارية، وأدركني عمُّهُنّ بالسَّيف، ، فأصابت ظُبَتُه طائفةً من قُرُون راسِيَهْ، وقال: أَلْقي إليَّ بنتَ أخي يا دَفار، فألقيتُها إليه، ثم انطلقتُ إلى أُخْتٍ لي ناكِحٍ في بني شَيْبان، أبتغي الصحابةَ إلى رسول الله ﷺ، فبينما أنا عندَها ليلةً، تحسِبُ عنِّي نائمةٌ[٢]، إذ دخل زوجُها من السَّامِر، فقال: وأبيكِ لقد وجدتُ لقَيْلَةَ صاحباً صاحبَ صِدْقٍ، حُرَيث بن حَسَّان الشَّيْباني، وافدَ بكر ابن وائل، إلى رسولِ الله، غادِياً ذا صَباح.

فقالت أختي: لي الويلُ، لا تُخبِرْها فتَتْبَعَ أخا بكر بن وائل بينَ سَمْعِ الأرضِ وبَصَرِها، ليس

---

(١) أمّ أمِّه، كما صرح الترمذي، وسيأتي موضعه في التخريج.

(٢) تريد «أنى» بإبدال الهمزة عيناً، وسيأتي في الشرح.

معها رجلٌ مِن قومها.

فنَشَدْتُ عنه فسألتُه الصُّحبَةَ، فقال: نعم وكرامةً، وركابُه مُناخةٌ عنده، فصحبتُ صاحبَ صِدْقٍ، حتى قدِمْنا على رسول الله ﷺ، فصَلَّيتُ معه صلاةَ الغداة، وقد أقيمت حين شَقَّ الفجرُ، والنُّجومُ شابكةٌ في السماء، والرجالُ لا تكاد تَعارَفُ من ظُلمةِ الليل، حتى إذا طلعت الشمسُ دَنَوْتُ، فكنت إذا رأيتُ رجلاً ذا رُواءٍ وقِشْرٍ طَمَح إليه بصري، لأرَى رسولَ الله فوق الناس.

فجاء رجلٌ فقال: السلامُ عليك يا رسولَ الله، فقال رسول الله: وعليك السلامُ ورحمةُ الله، وهو قاعِدُ القُرْفُصاء، وعليه أسمالُ مُلَيَّتَيْن قد كانتا بزَعْفران، وقد نُفِضتا[1]، وبيده عُسَيِّبُ نخلةٍ مَقْشُوٌّ، غيرَ خُوصَتيْن من أعلاه، فلما رأيتُ رسولَ الله المتخشِّعَ في الجِلْسة، أُرْعِدْتُ من الفَرَق، فقال جليسُه: يا رسول الله، أُرْعِدت المسكينة، فقال- ولم ينظر إليَّ وأنا عند ظهره-: يا مِسكينةُ عليك السَّكينةَ، فلما قالها رسولُ الله ﷺ أذْهَب الله تعالى ما كان دخل قلبي من الرُّعْب.

وتقدَّم صاحِبي أوَّلَ رجُلٍ، حُرَيثُ بن حَسَّان، فبايعه على الإسلامِ وعلى قومِه. ثم قال: يا رسولَ الله، اكتب بينَنا وبينَ تميمٍ بالدَّهناء، لا يُجاوِزُها إلينا منهم إلاَّ مسافرٌ أو مُجاورٌ، فقال رسول الله: اكتُبْ له بالدَّهْناء يا غلامُ.

فلما أَمَر له بها شُخِص بي، وهي وطني وداري، فقلت: يا رسولَ الله، لم يسألْك السَّويَّةَ من الأمر إذ سأَلك، إنما هذه الدَّهناءعنده مُقَيَّدُ الجملِ ومَرْعَى الغَنَمِ، ونساء تميمٍ وأبناؤهاوراء ذلك.

فقال رسولُ الله: أمسِكْ يا غلامُ، صَدَقَت المِسكينة، المُسْلِمُ أخو المُسْلِم، يَسَعُهماالماء والشَّجرُ، ويتعاونان على الفُتَّان.

فلما رأى حُرَيثٌ أن قد حِيلَ دُون كتابه ضَرَب بإحدى يديه على الأُخرى، ثم قال: كنتُ أنا وأنتِ كما قال: حَتْفَها تحملُ ضأنٌ بأَظْلافِها.

فقالت: واللهِ ما علمتُ إن كنتَ لدَليلاً في الظَّلْماء، بَذُولاً لِذي الرَّحْل، عَفيفاً عن الرَّفيقة، حتى قدمنا على رسول الله، ولكن لا تُلُمْني على أن أسأَلَ حظِّي إذ سألتَ حظَّك.

قال: وما حظُّكِ في الدَّهناء لا أبالَكِ؟

قلتُ: مُقَيَّدُ جَمَلِي تسأله لجمل امرأتك؟

قال: لا جَرَمَ، عَنِّي أُشْهِدُ رسولَ اللهِ أني لكِ أخٌ وصاحبٌ ما حَييتِ إذ أَثْنيتِ عليَّ هذا عندَه.

---

(١) هكذا ضبط في الأصل بضم فكسر، على البناء للمجهول، وضبط في النهاية بفتحتين، على البناء للفاعل.

فقلتُ: إذْ بَدَأْتَها فلن أُضيِّعَها.

فقال رسولُ الله ﷺ: أيُلامُ ابنُ هذه أن يفصِلَ الخُطَّة وَينتصرَ من وراء الحَجَزة.

فبكيتُ، ثم قلت: قد واللهِ كنت ولدتُه يا رسولَ الله حِزاماً، فقاتل معك يومَ الرَّبَذَة، ثم ذهب يَميرُني من خَيْبَر، فأصابتْه حُمَّاها فمات، فتَرَكَ عليَّ النِّساء.

فقال رسولُ الله ﷺ: والذي نفسي بيده لو لم تكوني مسكينةً لجُررتِ على وجهك. أتُغْلَبُ إحداكُنّ أن تُصاحِبَ صُوَيْحبَه[1] في الدُّنيا معروفاً، فإذا حالَ بينَه وبينَه مَنْ هو أولى به منه استرجع ثم قال: ربِّ أُسني ما أمضَيْتَ وأعِنِّي على ما أبقَيْتَ. فوالذي نفسُ محمّدٍ بيده إن أَحدَكم ليبكي ويَسْتعبرُ إليهِ صُوَيْحِبه، فيا عبادَ الله، لا تُعذِّبوا موتاكم أو إخوانَكم.

ثم كتب لها في قطعة أديمٍ أحمرَ: لقَيْلَةَ والنِّسوةِ من بنات قَيْلَةَ: أن لا يُظْلَمْنَ حقًّا، ولا يُكْرَهْنَ على مَنْكَحٍ، وكلُّ مؤمنٍ ومُسْلمٍ لهنّ نَصِيرٌ، أحسَنَّ ولا يُسِئْنَ.

*

* *

أخرجه أبو عبيد والزمخشريّ[2] مختصراً، وأخرجه أبو نُعَيم وغيرُه من الحُفَّاظ تامًّا[3] بطُوله وأطولَ منه. قال أبو موسى: وهو حديثٌ غريبٌ حَسَنٌ، يُعَدُّ في أفراد أهل البصرة، ولا أعلَم رواه[4] إلا عبدُ الله بن حسَّان العَنْبريّ، ورواه عنه جماعةٌ كبيرة[5].

---

(١) هكذا بضمير المذكر، وسيتكلم عليه المصنف.

(٢) غريب الحديث لأبي عبيد ٣/٥٠، والفائق ٣/١٠٠.

(٣) أخرجه تاما الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٩-١٢، وذكر طرفا منه في ٩/٢٦٥، وأخرجه بتمامه أيضاً ابن حجر في الإصابة ٨/١٧١-١٧٣، وذكر طرفا منه في تهذيب التهذيب ١٢/٤٤٦، وذكره بتمامه ابن عبد ربه في العقد الفريد ٢/٤٢- ٤٧.
وأخرج طرفا منه البخاري في الأدب المفرد (باب القرفصاء) ص ٤٠٢.
وأبو داود في سننه (باب في إقطاع الأرضين، من كتاب الخراج والإمارة والفيء) ٣/١٧٧، و(باب في جلوس الرجل. من كتاب الأدب) ٤/٢٦٢.
والترمذي في (باب ما جاء في الثوب الأصفر. من أبواب الأدب) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ١٠/٢٥٥.
وانظر الاستيعاب ص ١٩٠٦، وأسد الغابة ٧/٢٤٥، وحواشي المعرب للجواليقي ص ٢٣٠.

(٤) وسبق إلى هذا الإمام الترمذي، في الموضع السابق من كتابه.

(٥) بحاشية الأصل: بلغ تصحيحاً، ولله الحمد والمنة.

قَيْلَةُ: مُسمَّاةٌ بالمرَّة من القَيْلِ، وهو شُربُ نِصف النهار، كالصَّبُوح لأوَّله، والغَبُوق لآخِره.

والعَنْبريَّة: منسوبة إلى عَنْبر بن عمرو بن تميم، بَطْنٍ منهم.

والتَّميميّة: منسوبة إلى تميم بن مُرّ بن أُدِّ بنِ طابِخَة بن إلياس بن مُضَر.

ودُحَيْبَةُ، بضم الدال المهملة وفتح الحاء المهملة وياء ثم باء مُوحَّدة، تصغير دَحْبَةٍ، وهي المَرَّة من الدَّحْبِ: الدَّفع.

وعُلَيْبَةُ: تصغير عُلْبة، وهي مِحْلَبٌ مِن جلد.

والرَّبيبةُ: التي يُرَبِّيها الإنسانُ وهي صغيرة، فَعِيلةٌ بمعنى مفعولة، أي مَرْبُوبةٌ، وجمعها: رَبائبُ، وأكثر ما تُطلَقُ على بنت الزوجةِ من غير زوجِها، أو بنتِ الرجل من غير زوجته.

وقولها: «ولدتُ له النِّسـاء» تعني البنات.

وأثْوَبُ، بالثاء المثلثة والباء الموحَّدة، كأنه أفعلُ من الثَّوابِ: الجزاءِ، أو من الثَّوْبِ: الرجوع.

والصَّحابة، بالفتح: جمع صاحبٍ(١)، وهي في الأصل: مصدرٌ بمعنى الصُّحبة، وقد صَحِبه يَصْحَبُه صُحْبةً وصَحابةً، وكِلا الوجهين يحتملهما الموضعُ.

وهُنَيَّة: تصغير هَنَةٍ، وهي كنايةٌ عن المرأة، وصغَّرها لصِغَر سِنِّها.

والحُدَيْباءُ: تصغير الحَدْباء، والحَدَب: ارتفاعُ الظَّهْر وخروجُه عن حَدِّه خِلْقةً.

والفَرْصَةُ، بالصاد والسين: الرِّيح التي تَعْرِض للانسان فيحدُث عنها الحَدَبُ، كأنها تَفْرِصُ الظَّهْرَ، أي تشقُّه، أو تَفرسُه، أي تَدُقُّه.

والسُّبَيِّج: تصغير السَّبْيجُ، وهو كِساءٌ أسودُ، مأخوذٌ من السَّبَج، وهو الخَرَزُ الأسود المعروف. وقيل: هو معرَّبُ «شَبيه»(٢) أي القميص. وقال ابن الأنباري: هو السِّبْيَجُ(٣)، يعني بوزن الدِّرْهم. قال: وأُراه مُعَرَّبا.

---

(١) في النهاية: ولم يجمع فاعل على فعالة إلا هذا.

(٢) في النهاية: «شبى» وكذلك في المعرب للجواليقي ص ٢٣٠، وأفاد أن أصله بالفارسية.

(٣) في الفائق: وعن ابن الأعرابي: السِّبْيَجُ (بكسر السين وفتح الباء) قال: وأراه معرباً.

والرَّتَكُ والرَّتَكان: جنسٌ من عَدْوِ البَعير، وقد رَتَك، وأَرْتَكه صاحبُه. أي أنَّهما كانا يُسرعان في السَّير.

وانْتَفَجت الأرنبُ: إذا وثَبَتْ وثارت من مَجْثَمِها.

والفَصْيَةُ: الفَرَجُ[1] والتَّخلُّص، ومنه انْفَصَى الصَّيدُ من حِبالته: أي انفصل وتخلَّص. تفاءلَتْ بانتفاج الأرنب، بالخروج من الضِّيق إلى السَّعَة، والخلاصِ من الغَمّ الذي كانت فيه مِن قِبَل عمّ البنات.

والكَعْبُ: أحدُ كُعُوب الرُّمْح الناتئة في أطراف الأنابيب، ويجوز أن تريد به كعبَ الساق، كنايةً عن الشَّرَف. أي لا يزال أمْرُك أعلَى من أمره، ولا تزالين أشْرفَ منه.

والسَّانِحُ من الطَّير والوحش: ما جاءَ من مَياسِرك إلى مَيامِنك؛ لأنه أمْكَنُ للرَّمْي.

والبارحُ: بضدّ ذلك، وقيل: هما بالعكس، والعرب تتيمَّن بالسَّانح وتتطيَّر بالبارح.

وقولها: «أدركَتْكِ واللهِ أخْذَةُ أثْوَبَ» أي لَحِقك فأخذك. وفي رواية: «أدْرَكَتْكِ والأمانةِ» وهي مِن أقسامهم التي كانوا يُقْسِمون بها في الجاهلية، ونُهُوا عنها.

وقولها: «واضطُررتُ إليها» لأنهاصبيَّة، فما سألتُها وهي طِفلةٌ إلا عن ضرورةٍ دَعَتْني إليها، حيث تفاءلَتْ وأَخبرتْ بما أخبرَتْ.

وتقليب الثياب: أرادت به التفاؤلَ أيضاً، وقريبٌ منه قلبُ الرِّداء عند الاسْتِسقاء، وكذلك التَّدحْرُج والتقلُّبُ على الظهر والبطن، كلُّ ذلك تفاؤل بقلب الحالِ الراهنة التي دُفِعتْ إليها من الغَمّ والهَمّ.

وتَفاجَّ البعيرُ: إذا فَرَّق وباعَدَ ما بين رِجْليه، كما يفعلُه الذي يريد أن يبول.

والأحلاس: جمع حِلْسٍ، وهو الكِساء الذي يكون على ظهرِ البعير تحت الرَّحْل.

والأَداةُ: ما يستصحبه الإنسان في سَفرِه من آلةٍ ونحوها.

والصَّلْتُ: السَّيفُ المجرَّد من الغِمد.

ووَأَلْنا: أي التَجأْنا ومِلْنا، وقد وأَلَ يَئِلُ وألاً.

والحِواءُ: البُيوتُ المجتمعة على ماءٍ. والضَّخم: الكبير العظيم.

(١) هذا من كلام الأخفش، كما في الفائق.

وقولها: «حتى أُلْقِيَ الجملُ إلى رُواق[1] البيت» أي أدْخَلْتُهُ إلى الرِّواق، وهي صُفَّةٌ دُونَ الصُّفَّة العُلْيا.

واقْتحمْتُ: أي دخلتُ بعُنف، والاقتحام: دخول الإنسان في الأمر من غير رَوِيَّة ولا تثبُّت.

والجَمَلُ الذَّلُول: المنقاد المطيع لراكبه، فَعُول بمعنى مفعول.

والظُّبَةُ: حَدُّ السَّيف مما يلي طَرَفه وذُبابَه

والطائفة: القِطعة من كلّ شيء.

وقُرُون الرأس: جوانبه. والهاء في «راسِيَهْ» للوقف والسَّكت، كقوله تعالى[2]: ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾.

ودَفارِ، بوزن قَطامِ، مبنيٌّ على الكسر، من الدَّفرِ: النَّتْنِ، وأكثر ما يُستعمل في النداء.

وقولها: «تحسِب عَنِّي نائمةٌ» على لغة تَميم، يُبدلون العينَ من الهمزة، وتُسمَّى العَنْعَنَة، أي تحسِب أنِّي نائمةٌ، ورواه بعضهم: «تحسِبُ عيني نائمةً» والأولُ أحفَظُ وأشْهَرُ.

والسَّامِر: الجماعة يجتمعون بالليل يتحدَّثون، ويقع على الواحد والجمع.

وغادِياً ذا صَباحٍ: أي خارجاً أوّلَ النَّهار، كما يقولون: ذاتَ يوم وذاتَ ليلة.

والوَيْلُ: كلمةُ عذابٍ، تُقال عند التَّكَرُّه، يُقال: ويلٌ لزيدٍ، وويلاً له، على الابتداء، أو إضمار الناصب.

وقولها: «بين سَمْع الأرضِ وبَصَرها» تمثيلٌ، أي لا يسمع كلامَها إلا الأرض، فاستعارت للأرض سَمْعاً وبَصَراً. وقيل أرادت[3] بين طُول الأرض وعَرْضِها، مَجازاً.

ونَشَدْتُ عنه: أي سألتُ، من نِشْدان الضالَّة، وهو طَلَبُها.

والرِّكابُ: الجمالُ.

وشَقّ الفَجْرُ، بفتح الشين: أي ظَهَر وطَلَع، كأنّ الفجرَ شَقَّ الظَّلام.

والنُّجوم شابِكَةٌ: أي مُشْتبكة من كثرتِها وظُهُورها، كأن بعضَها متَّصِلٌ ببعض

---

(١) بكسر الراء وضمها، كما قيده صاحب القاموس بوزن كتاب وغراب.

(٢) سورة الحاقة ٢٨.

(٣) رد أبو عبيد هذا القول، في كلام طويل، تراه في غريب الحديث ٥٥/٣.

ولا تكاد تَعارَفُ: أي تَتعارَفُ، فحذف التاء الأولى تخفيفاً.

والرُّواء: المَنْظَرُ الحسن الجميل.

والقِشْرُ: اللِّباسُ النَّفيس.

وطَمَح البَصَرُ: : إذا امتدَّ وعَلا. ظنَّت أن رسول الله ﷺ، كان يتميَّزُ من بين أصحابه بهيئةٍ أو لِباسٍ أو مَجْلِسٍ.

والقُرْفُصاء: قِعْدةُ المُحْتَبي بيديه، وهو أن يجمع ساقيه إلى فَخِذَيْه رافعاً رُكْبتيه، ويُدْني فخذيه من صدره وجَوفه، ثم يجمعها بيديه، عاقداً إحداهما في الأخرى، ليصير كالمُحْتَبي بالثَّوب.

والأسمالُ: الأخلاق من الثياب، واحدها سمل.

ومُلَيَّتَيْن: تصغير مُلاءتين، تثنية مُلاءة، وهي الثوب الذي يُتَّشَحُ به ويُؤتَزر، وإنما جَمع الأسمال مع تثنية المُلاءة[1]، لأنه أراد أنهما كانتا مُلاءتين فتقطَّعتا حتى صارتا قطَعاً.

ونفَضَ الصِّبغُ: إذا نَصَل أكثرُ لونه.

والعُسَيِّبُ: تصغير العَسِيب، وهو جَريدُ النَّخْل مما لا يَنْبُت عليه الخُوصُ، وما نَبت عليه فهو السَّعَفَةُ.

والمَقْشُوُّ: المَقْشُور، وقد قَشَوْتُه أقْشُوه قَشْواً.

والخُوصُ: ورق النَّخل. وفي رواية: «خُوَيْصتَيْن» على التصغير.

والمُتَخشِّع: المُتواضِع.

وأُرْعِدَتْ: أي رَجَفَتْ: من خوفها، حيث رأت مَهابَته مع تواضُعه في هيئته وجلوسه.

والمِسكين: الضَّعيف. وقوله: «عليك السَّكينة» بالنصب، أي الزَمي السُّكونَ، فلا بأسَ عليك. ويجوز أن تكون مرفوعةً بالابتداء، و«عليك» خبرٌ مقدَّم.

والدَّهْناء: أرضٌ من بلاد تميمٍ، ذاتُ رملٍ ونباتٍ كثير.

وشُخِص بي: أي دُهِشْتُ وتحيَّرتُ. وقيل: ارتفع بصري من إكبارِ ما سمعتُ، وإعظامِه،

---

(١) مع تخفيف الهمزة، كما ذكر في النهاية. وقال الزمخشري في الفائق: تصغير ملاءة، على الترخيم.

وأصلُه من شُخُوص المسافر، وهو خروجه عن منزله، كأنَّ الرجلَ إذا جاءه ما يُقْلِقه ويُزْعِجه قد خرج من الأرض التي هو بها.

والسَّوِيَّة: العدل والإنصاف. يقال: هما على سَوِيَّة من الأمر، أي على سواءٍ.

ومُقَيَّدُ الجَملِ: الموضع الذي يقيم فيه لا يتعدَّاه، لِخصبه وكثرةِ مرعاه، ولا يتجاوزُه إلى غيرِه في طَلَب المرعى، فكأنه به مُقَيَّدٌ لا يبرح.

وقوله: «يسعُهما الماءُ والشجر» أي هم شركاءُ فيهما، لكلٍّ منهم حظٌّ ونَصِيب.

والفُتَّان، بالضمّ: جمع فاتنٍ، يريد بهم شياطينَ الإنسِ والجنّ، الذين يظلمون الناسَ ويفتنونهم ويُضلُّونهم عن الحق.

ويروى: «الفَتَّانُ» بالفتح على الواحد، يريد الشيطانَ. والتَّعاونُ عليه: تَرْكُ اتِّباعه والافتتانِ بخُدَعِه، وسُمِّي الشيطانُ فتَّاناً، لأنه يَفْتِنُ الناسَ في أديانهم وعقولهم، والفَتَّان: مبالغةٌ في الفاتن.

وحِيلَ دون كتابِه: أي فاته ما كان يريد أن يكتبَ له، وصار بينهما حائلٌ ومانع.

والحَتْفُ: الموت.

وأَظْلافُ الغَنم: كالحافِر للفرس.

وقوله: «حَتْفَها تَحمِلُ ضَأْنٌ بأظلافها» مَثَلٌ قديم[1] سائر للعرب، وأصله أن إنساناً وجد شاةً في فَلاةٍ، ولم يكن معه ما يَذْبحها به، فبحَثَتْ بأظلافِها في الأرض، فظهرت مُدْيةٌ فذبحها بها، فضُربت مثَلاً لكلّ من عَمِل عملاً عاد وَبالُه عليه.

والبَذُولُ: مبالغة في الباذل، من البَذْلِ: العطاء.

ولا أبالَكِ: هي في الأصل كلمة ذَمٍّ، أي ليس لك أبٌ يُعرَف، ثم اتُّسِعَ فيها حتى صارت تقال في مَعْرِض التَّعجُّبِ والمدح، وصار المجازُ فيها أشهرَ من الحقيقة.

ولا جَرَمَ: بمعنى حقًّا.

وقوله: «عَنِّي أُشْهِد» أي أَنِّي، على قلب الهمزة عَيْناً.

وقولها: «إذ بَدَأْتَها فلن أضيِّعَها» أي حين أحسنتَ إليَّ هذا الإحسان ابتداءً، لا أزال أشكُرك به.

(١) انظره في جمهرة الأمثال ٣٦٣/١، ومجمع الأمثال ١٩٢/١، والمستقصى ٥٩/٢

وقوله: «أيُلامُ ابنُ هذه أن يفصلَ الخُطَّة وينتصرَ من وراء الحَجَزة» الخُطَّةُ: الحالُ والخَطْب، أي إنّ ولَدَ مثل هذه المرأة العاقلة الكاملة، لا يُلام أن يفصلَ الأمورَ المشكلةَ برأيه، وينظرَ في عواقِبها بفكره، ولا يُنكَرُ له ذلك إذا أشبَه أمَّه في عقلها وكمالها.

والحَجَزَةُ: جمع حاجز، وهم الذين يمنعون بعضَ الناس من بعض، ويفصلون بينهم بالحقّ، أي إذا تعرَّض له أعوان الظُّلم ليحجزُوه عن ظالمه لم يُثَبِّطُوه بذلك، بل انتصر لنفسه، واستوفى حقَّه، فكأنه حين لامها حُرَيثٌ على ما دَفعَتْ عن نفسها، اعتذر عنها رسول الله ﷺ، وأنه لا لومَ عليها فيما فعلَتْ. وذِكْرُ الابن تعريضٌ بالثناءعليها، وهو من أنواع البلاغة في أن يذكر ابنُ الشيء أو أبوه، أو مثلُه وشبيهُه ثم يُوصَف.

ورُوِي: «أيُلام ابنُ ذِه» قال الهرويُّ[1]: أراد به الإنسانُ. أي أيُلامُ الإنسان. إذا احتجَّ لنفسه، واعتذر عنها؟

وقولها: «كنتُ ولدتُه حِزاماً» الهاء في «ولدته» ضمير ابنها حين ذكره رسول الله ﷺ تذكَّرتْه، وحِزاماً[2] اسمُه، وهو بدلُ المُظْهَر من المضمَر.

ويَميرُني: أي يأتيني بالميرة، وهي الطَّعام والقُوت. ولما تذكَّرت ولدَها غلبها البكاءُ.

ويروى: «أيُغْلَب أُحَيْداكُنّ» تصغير إحداكنّ.

وصُوَيْحِبه: تصغير صاحب، وهو من يصحبُ الإنسان من ولدٍ أو أخٍ أو زوجٍ أو غيرهم، وتصغيره على معنى التقريب والتلطيف المَحَلّ[3].

وذَكَّر الضمير ردًّا إلى الشَّخْص أو الإنسان.

وقوله: «مَن هو أولى به» يعني الله تبارك وتعالى، أي على الإنسان مصاحبةُ صاحبِه ما عاشا بالمعروف، فإذا قبض الله سبحانه أحدَهما استرجع، فقال: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون» وعلم أنه أولى بخَلْقِه من غيره، فإن تذكّر ذلك، وغلبه الجزعُ، استعان بالدعاءعليه، فقال: ربِّ أُسْنِي ما أمْضَيْتَ، وأعِنِّي على ما أبْقيتَ: أي عَوِّضْني عمّا أخذتَ، يقال: أُسْتُ القومَ أوْساً: إذا عَوَّضْتَهم عن شيء أُخِذ منهم، فحذف حرف الجر.

---

(١) ذكره في الغريبين (حجز).

(٢) ترجم له ابن حجر ولم ينسبه، قال: «حزام غير منسوب، له ذكر في ترجمة قيلة بنت مخرمة، وهي أمه، وذكرت أنه قتل مع رسول الله ﷺ». الإصابة ٧/٢.

(٣) هكذا في الأصل بفتح الميم والحاء المهملة وتشديد اللام.

ويروى: «اسني» بالمدّ، و«أَسِّني» بالتشديد، أي عَزِّني وصَبِّرْني. يقال: آسيتُ الإنسان، وأَسَّيْتُه تَأْساءً وتَأْسِيَةً: إذا عزَّيْتَه. وحرف الجرّ في هذه الرواية أيضاً محذوف. ويروى: «أَنْسِنِي ما أَمْضَيْتَ» من النِّسيان[1].

وأَعَنِّي على ما أبقيتَ: من الإعانة. ويروى: «أغِثْني» من الإغاثة.

والاستعبارُ: البكاء، وهو استفعال من العَبْرةِ: الدمعة.

قيل إن هذا الكلامَ إنكارٌ من النبي ﷺ لجَزَعها على ميِّتٍ بعدَ طول عَهْد، لأن الباكيَ يَهِيجُ غيرَه على البكاء. أي على الإنسان إذا غلبه الجَزَعُ أن يدعوَ الله عزَّ وجلّ ليعوِّضَه عمّا أَخَذ منه، أو يعزِّيَه ويُصبِّرَه على ما بُلِيَ به، أو يُنْسِيَه ما فاتَه حتى لا يجزعَ بعدَه، وأن يستعين بالله تعالى فيما أبْقى عليه على ما أخذ منه، ولا يبكي كلَّ وقتٍ فيُبكيَ غيرَه، ويُعذِّبَه بالحُزْن عليه.

وقوله: «أَحْسَنَّ ولا يُسِئْنَ» أي إذا أحسَنَّ في أفعالِهن، وأقوالهنَّ، ولم يُسِئْنَ فيهما. والله أعلم[2].

---

(١) زاد في النهاية، في ترجمة (أوس) قال: ويروى: «أثبنى» من الثواب.

(٢) بحاشية الأصل: بلغ تصحيحاً، ولله الحمد والمنة.

حَدِيثُ اسْتِسْقَاءِ النَّبِيِّ ﷺ

قال أنس بن مالك: قَحَل الناسُ على عهد رسول الله ﷺ، فأتاه المسلمون فقالوا: يا رسول الله، قَحَطَ المطرُ، ويَبِس الشجرُ، وهلكت المواشي، وأَسْنَتَ الناسُ، فاسْتَسْقِ لنا ربَّك عزّ وجلّ.

فقال: إذا كان يوم كذا وكذا فاخرجُوا واخرُجُوا معكم بصدَقَات

فلما كان ذلك اليوم، خرج رسولُ الله والناسُ معه، يمشي ويمشُون، عليهم السكينةُ والوقار، حتى أتوا المُصَلَّى، فتقدَّم النبيّ عليه السلام، فصلَّى بهم ركعتين، يَجْهَر فيهما بالقراءة، فلما قضى صلاتَه استقبل القومَ بوجهه، وقلَبَ رداءه، ثم جَثا على رُكْبَتَيْه، ورفع يديه، وكبَّر تكبيرةً قبل أن يَسْتسقِيَ، ثم قال: اللهمّ اسْقنا وأغِثْنا، اللهمّ اسْقِنا غَيْثاً مُغيثاً، وحَياً رَبيعاً، وجَداً طَبَقاً غَدَقاً مُغْدِقاً مُونِقاً عامًّا، هَنِيئاً مَريئاً مَريعاً، مُرْتِعاً مُرْبِعاً وابلاً، سابلاً مُسْبَلاً مُجَلِّلاً دائماً دِرَراً، نافعاً غيرَ ضارٍّ، عاجِلاً غيرَ رائثٍ. اللهمّ غَيْثاً تُحْيي به البِلاد، وتُغيثُ به العباد، وتجعله بَلاغاً للحاضِر منّا والباد.

اللهمّ أنزلْ في أرضِنا زينتَها، وأنزل علينا في أرضِنا سُكْنَها.

اللهمّ أنزِل علينا من السماء ماءً طَهُورا، فأحْيِ به بلدةً مَيْتاً، واسْقِه ممّا خلَقْتَ لنا أنعاماً وأناسِيَّ كثيرا.

قال: فما بَرِحْنا حتى أقبل قَزَعٌ من السَّحاب، فالتأم بعضُه إلى بعض، ثم مطَرتْ عليهم سبعةَ أيام ولياليَهنّ لا يُقْلِع عن المدينة.

فأتاه المسلمون، فقالوا: يا رسولَ الله، قد غَرقَت الأرضُ، وتهدَّمت البُيوت، وانْقَطَعَت السُّبُل، فادْعُ الله تعالى أن يصرفَها عنّا. فضحك رسولُ الله ﷺ على المِنْبَر حتى بَدَتْ نَواجذُه، تعجُّباً لسُرعة مَلالةِ ابن آدم، ثم رفع يديه، فقال: اللهمَّ حوالَيْنا ولا علَينا، اللهمّ على رُؤوس الجبال(١)،

---

(١) بحاشية الأصل: «الظراب». وعلى هذه الرواية اقتصر المصنف في الشرح.

ومَنابت الشجر وبُطون الأودية وظُهور الآكام. فتصدَّعت عن المدينة حتى كانت في مثل التُّرْسِ عليها كالفُسْطاط، تُمْطَر مَراعِيها ولا يُمْطَر فيها قَطْرةٌ.

* * *

هذا حديثٌ صحيح، مَرْويٌّ من طُرُقٍ كثيرة، عن أنس [1]، وأخرج ابن قُتيبة [2] والزمخشريُّ [3] منه دعاءالاستسقاء إلى قوله: «وأناسيَّ كثيرا».

وفي حديثٍ آخرَ عن أنس، قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبيّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، لقد أتيناك ومالَنا بَعيرٌ يَئِطُّ، ولا صبيٌّ يَصْطَبِح، وأنشد [4]:

أَتَيْنـاكَ والعَـذراءُ يَـدمَى لبـانُهـا ... وقد شُغِلَتْ أمُّ الصَّبيِّ عن الطِّفْلِ
وأَلْقَـى بكَفَّيْـه الـفَتَـى إسْتِكـانـةً ... من الجوع ضَعْفاً ما يُمِرُّ وما يُحْلِي
ولا شيءَ ممّا يأكـل الناسُ عندنـا ... سِوى الحَنْـظَلِ العامِيِّ والعِلْهِزِ الفَسْلِ
ولـيس لـنـا إلاّ إلـيـكَ فِـرارُنـا ... وأين فِرارُ الناسِ إلاّ إلى الـرُّسْلِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة. من كتاب الجمعة) ١٥/٢، وفي (باب الاستسقاء في المسجد الجامع. من كتاب الاستسقاء) ٣٤/٢- ٣٧، وفي (باب علامات النبوة. من أبواب المناقب) ٢٣٦/٤، وفي (باب الدعاء غير مستقبل القبلة. من كتاب الدعوات) ٩٢/٨، ورواه في مواضع أخرى من صحيحه ذكرها الشيخ عبد الغني النابلسي في ذخائر المواريث ٧٥/١.
وأخرجه مسلم في صحيحه (باب الدعاء في الاستسقاء. من كتاب صلاة الاستسقاء) ص ٦١٢.
وأبو داود في سننه (باب رفع اليدين في الاستسقاء. من جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها) ٣٠٤/١.
والنسائي في سننه (متى يستسقي الإمام. من كتاب الاستسقاء) ١٢٥/٣.
وابن ماجه في سننه (باب ما جاء في الدعاء في الاستسقاء. من كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها) ص ٤٠٤.
ومالك في الموطأ (باب ما جاء في الاستسقاء. من كتاب الاستسقاء) ص ١٩١.
ونور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١١/٢- ٢١٦ (باب الاستسقاء).
وانظر الروض الأنف ١٧٩/١، وشمائل الرسول ﷺ، لابن كثير ص ١٦٤- ١٧٥
(٢) لم أجده في كتابه غريب الحديث المطبوع.
(٣) الفائق ٣٤١/١.
(٤) ينسب هذا الشعر إلى لبيد، يخاطب به رسول الله ﷺ، حين وفد عليه في جماعة من قومه، وهو في شرح ديوانه ص ٢٧٧، في أبيات لم يروها السكري، كما قال محققه، وانظر تخريجه في ص ٣٩٢، ويقع اختلاف في الرواية بين ما ذكره المصنف في هذا الكتاب وبين ما في الديوان.

فقام رسولُ الله ﷺ يَجرُّ رداءَهُ حتى صَعِدَ المنبرَ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ورفع يديه إلى السماء، فقال: اللهمّ اسْقِنا غيثاً مُغيثاً مَريعاً غَدَقاً طَبَقاً، عاجلاً غيرَ رائث، نافعاً غيرَ ضارّ، تملأ به الضَّرع، وتُنبت به الزَّرع، وتُحيي به الأَرضَ بعد موتها وكذلك تُخْرَجُون.

قال: فما ردَّ رسولُ الله يديه إلى نحره حتى التقت السماء بأرْواقِها، وجاء أهلُ البطانة يَضِجُّون: يا رسولَ الله، الغَرَقَ الغَرَقَ. فرفع يدَه إلى السماء، وقال: اللهمّ حَوالَيْنا ولا علينا. فانْجابَ السحابُ عن المدينة حتى أحْدَقَ بها كالإكليل. فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بَدَتْ نَواجذُه، ثم قال: لله أبو طالب! لو كان حيًّا قَرَّتْ عيناه، مَنِ الذي يُنشِدُنا قولَه؟ فقام عليٌّ بن أبي طالب، فقال: يا رسولَ الله، كأنك أردتَ قولَه[1]:

وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوَجْهِه ... ثِمالُ[2] اليَتامى عِصْمةٌ للأرامِلِ
يَلُوذُ به الهُلَّاكُ من آل هاشمٍ ... فهمُ عنده في نَعْمةٍ وفَواضِلِ
كذَبْتُم وبيتِ الله يُبْزَى محمَّدٌ ... ولما نُقاتِلْ دُونَه ونُناضِلِ
ونُسْلِمَهُ حتَّى نُصَرَّعَ حولَهُ ... ونَذْهَلَ عن أبنائِنا والحَلائِلِ

فقال رسولُ الله ﷺ: أجَلْ. فقام رجلٌ مِن كِنانة، فقال:

لَكَ الحمدُ والحمدُ مِمَّنْ شَكَرْ ... سُقِينا بوَجْهِ النبيّ المَطَرْ
دَعا اللهَ خالقَه دَعوةً ... إليه وأشْخَصَ منه البَصَرْ
فلم يكُ إلا كإلْقا الرِّداءِ ... وأسرَعَ حتى رأينا الدِّرَرْ
دُفاقَ العَزائِلِ جَمَّ البُعاقِ ... أغاثَ به اللهُ عُلْيا مُضَرْ
وكان كما قالَهُ عَمُّهُ ... أبو طالبٍ أبيضُ ذو غُرَرْ
به اللهُ يَسْقِي صَوْبَ الغمامِ ... وهذا العِيانُ كذاك الخَبَرْ
فمَنْ يشكُرِ اللهَ يَلْقَ المَزيدَ ... ومَن يكفُرِ اللهَ يَلْقَ الغِيَرْ

فقال رسول الله ﷺ إن يك شاعرٌ أحسنَ فقد أحسنْتَ.

---

(١) ديوان أبي طالب ص ١١٣.

(٢) ثمال: تروى بأوجه الإعراب الثلاثة، كما في حواشي صحيح البخاري. الموضع الثاني السابق في تخريج الحديث.

قال أبو موسى: هذا حديثٌ غريبٌ من حديثِ أنسٍ بهذا السِّياق والزِّيادات. وفي الاستسقاء أحاديثُ عِدَّةٌ عن أنسٍ وغيرِه، متقاربةُ الألفاظ.

شرحه

قَحَلَ[١] الشيءُ وقَحِلَ يَقْحَلُ قُحُولاً وقَحَلاً: إذا يَبِسَ، والقَحَلُ: التِزاقُ الجلد بالعظْم يريد أن الناس قد يَبِسَتْ جلودُهم، وقَشِفَتْ من شِدّة الجَدْب، وقِلَّة الطعامِ واللَّبن والمَرْعَى.

والقَحْطُ: احتباسُ المطر، يقال: قَحِطَ المطرُ وقَحَطَ: إذا انقطع، وأقحط الناسُ: إذا لم يُمْطَرُوا، فأجْدَبُوا.

والمواشِي: جمع ماشِية، وهو اسمٌ يُطْلَق على الإبل والبقر والغنمَ.

وأسْنَتَ الناسُ فهم مُسْنِتون: إذا دخلوا في السَّنَة، وهي الجَدْب، وهذه التاء بدلٌ من الواو التي كانت في أسْنَوْا: إذا دخلوا في السَّنَة.

وأصل السَّنَة: سَنْوَةٌ، في أحد القولين[٢]، تقول منه: استأجرتُه مُساناةً، وجمعها سَنَواتٌ.

والاستسقاء: طَلَبُ السُّقْيا، واستِنزالُ الغَيْث.

والسَّكينة: فَعِيلة من السُّكون والتَّأنِّي والطُّمأنينة.

والمُصَلَّى: مَوضعُ الصَّلاة من الصحراء.

وقَلْبُ الرِّداء في الاستسقاء سُنَّةٌ، وهو أن يَجعل أسفلَه أعلاه، تَفاؤلاً بقَلْب الحال التي هم فيها من الجَدْب[٣].

والإغاثة: النُّصْرة والإعانة، وقد أغاثه يُغيثه إغاثةً: إذا نَصَره وأنجاه من الشِّدَّة.

والغَيْثُ: المطَرُ، وغاثَ اللهُ البلادَ يَغِيثُها: إذا أنزلَ عليها الغَيثَ، والسُّؤال منه: غِثْنا كعِدْنا.

---

(١) الفعل من باب نفع وتعب، كما في المصباح. ويأتي أيضاً بضم أوله وكسر ثانيه بوزن «عُنِي» كما في القاموس. وانظر النهاية (قحل).

(٢) والقول الثاني أن أصلها: «سنهة» بالهاء، بوزن جبهة، فحذفت لامها، ونقلت حركتها إلى النون، فبقيت سنة، لأنها من سنهت النخلة وتسنهت: إذا أتى عليها السنون، وجمعها على هذا القول: سنهات. ذكره المصنف في النهاية (سنه).

(٣) جاء في الفائق: قيل لابن لهيعة: لم قلب رداءه؟ فقال: لينقلب القحط إلى الخصب. فقيل له: كيف قلبه؟ قال: جعله ظهراً لبطن. قيل: كيف؟ قال: حوّل الأيسر على الأيمن والأيمن على الأيسر.

والحَيَا، مقصوراً، المطرُ الذي تحيا به الأرضُ والماشيةُ. يقال: أحيا الناسُ فهم مُحْيُون. إذا نزل عليهم الحَيَا.

والجَدَا، مقصوراً: المطرُ العامُّ.

والطَّبَقُ: الذي يُطَبِّق الأرضَ، أي يعُمُّ وجْهَها.

والغَدَق: الكثيرُ القَطْرِ، وقد غَدِق، بالكسر: إذا كَثُر.

والمُغْدِق: مُفْعِلٌ منه، أكَّدَه به، يقال: أغْدَق المطرُ يُغْدِق إغداقاً، فهو مُغْدِقٌ.

والمُونِق: المُعْجِب، يقال: آنَقَنِي الشيءُ أي أعجبني.

والعامُّ: الشَّامِلُ.

والهنيءُ: الطَّيِّب السَّائغُ.

والمريءُ: مستعارٌ من استمراءِ الطَّعام، وهو ذَهابُ ثِقَله وكِظَّته عن المعِدة. يقال: هَنَأَني الطَّعامُ وَمَرأَني، فإذا لم يذكروا[1]: هَنَأَني، قالوا: أَمْرأَني، بالألف، وقيل: هما لغتان.

والمَريعُ: المُخْصِب الناجعُ في الماشية، يقال: مَرُعَ المكانُ فهو مَريعٌ: إذا كثُر نَبْتُه، وأمرَعَ القومُ: أصابوا مكاناً مَرِيعاً، والمُمْرِع: المُغْنِي عن الارتحال في طَلَب المَرْعَى.

والمُرْبِع، بالباء الموحَّدة: الدائمُ المقيمُ، يقال: رَبَع بالمكان وأربَع، إذا أقام به. أي حَمل الناسَ على أن يقيموا عنده، لعُموم نَباته وكثرةِ مائه.

والمُرْتِع، بالتاء: من رَتَعَت الإبلُ: إذا رَعَتْ، وأرْتَعَها الله: أي أنْبَت لها ما تَرتَعُ فيه وتَرْعاه.

والوابِلُ: المَطَرُ الشَّديدُ الكبيرُ القَطْرِ.

والسَّابِلُ: السَّحابُ الماطِرُ، يقال: سَبَلٌ[2] سابِلٌ ومطَرٌ ماطِرٌ، والسَّبَلُ، بالتحريك: المَطَرُ، والمُسْبَل: مُفْعَلٌ من أسبَل المطرُ: إذا هَطَل، أو مِن أسبلَ إزارَه: إذا أرخاه، فكأنَّ السَّحابَ قد أُسْبِل على الأرض، كما يُسبَل الإزارُ.

والمُجَلِّل: الذي يستُر الأرضَ بالماءِ والنَّبات الذي يَنبُت عنه كأنه يكسوها به. ويُروى بفتح اللام الأُولى على المفعول.

---

(١) هذا قول الفراء، كما صرح المصنف في النهاية. وانظر إصلاح المنطق ص ١٤٩، ٣١٩.

(٢) ضبطت اللام في الأصل بالفتح، وكذلك الراء في «مطر»، على أنهما فعلان ماضيان. والصواب أن يكونا بالضم مع التنوين، على الاسمية، ويجريان مجرى قولهم في المبالغة: شعرٌ شاعر. راجع اللسان (سبل).

والدائم: الذي لا ينقطع. ويروى: «دِيَماً» جمع دِيمَةٍ، وهو المطرُ الذي يدومُ في سُكون.

والدِّرَرُ: جمع الدِّرَّة، وهي المطرُ، ودِرَّةُ السَّحابِ: صَبِّبُه.

والرَّائِثُ: البطيءُ. يقال: راثَ علينا فلانٌ: إذا أبطأ.

والبلاغُ: ما يُبلَغُ به الغَرَضُ.

والحاضِرُ: أهل المُدن. والبادي: أهلُ البَدْو. أي يكون عامًّا لا يَخُصُّ أحداً. والأصل في البادِ: البادِي، فحذفَ الياء للوقف، ولمزاوجة البِلاد والعِباد.

وحياةُ الأرض وزِينتُها: كنايةٌ عن النَّبات واختلافِ ألوانِه وخِلَقِه.

والسُّكْنُ، بضم السِّين وسكون الكاف: القُوتُ الذي يُسْكَنُ به في البلاد، بمنزلة النُّزْل، وهو طعامُ القومِ الذي يَنْزلون عليه[للمَضِيف].(١)

ويُروى بفتح السِّين والكاف، وهو غِياثُ أهلِها الذي تَسكُن أنفسُهم إليه.

والطَّهُور: الماء المُطَهِّر المُبالِغ في الطَّهارة؛ لأن فَعُولاً من أبنية المبالغة، وهو في الشَّرع المستعمَلُ في رفع الحَدَث وإزالةِ النَّجس.

والأنعام والنَّعَم: الأموالُ الراعية، وأكثرُ ما يُطلق على الإبل. والأنعامُ: يُذَكَّرُ ويؤنَّث، والنَّعَم يذكَّر ولا يُؤَنَّثُ. وقيل: هو واحد الأنعام.

والأَناسِيّ: جمع إنسانٍ، والياء فيه عِوَضٌ من النُّون، وقيل: هو جمعُ إنْسِيٍّ.

والقَزَعُ: جمع قَزَعَةٍ، بفتح الزاى، وهي القِطَعُ المتفرِّقة من السَّحاب.

والسُّبُل: جمع سَبِيلٍ، وهي الطَّريق، وتذكَّر وتؤنَّث.

والنَّواجِذ: أقصى الأسنان، وقيل: هي الضَّواحك.

وقوله: «حَوالَيْنا ولا علَينا» في موضع نصب على الظَّرف، أو على المفعول.

والظِّراب: جمع ظَرِبٍ، بكسر الراء، وهو الجُبَيْل الصَّغير.

والآكام، بالمدّ: جمعُ إكامٍ، والإكام: جمع أَكَمَةٍ(٢)، وهي الرَّابية.

---

(١) ألحق بهامش الأصل، بخط الناسخ نفسه، ولم يرد في النهاية.

(٢) قال الفيومي في المصباح: الأكمة: تل، والجمع: أكم وأكمات، مثل قصبة وقصب وقصبات، وجمع الأكم: إكام، مثل جبل وجبال، وجمع الإكام: أكم، بضمتين، مثل كتاب وكتب، وجمع الأكم: آكام، مثل عنق وأعناق.

والتَّصدُّع: التفرُّق والتَّشقُّق. والضمير في «كانت» و «عليها» للمدينة.

والفُسطاط، بالضمّ والكسر: الخَيْمة الكبيرة والسُّرادِق. أي حتى كانت المدينة في مِثل التُّرْس من الصَّحْو وسْطَ السَّحاب، والسَّحابُ عليها كالفُسطاط.

والأَطِيطُ: حنينُ الناقة وصِياحُها. يريد: ما لنا بَعيرٌ أصلاً، لأن البعيرَ لا بدَّ أن يَئِطَّ، ويجوز أن يريدَ به المبالغَة في ضَعْفِ الإبلِ وهُزالِها، وأنَّها بحالٍ تَعْجزُ فيها عن الصِّياح والحنين. ويستعمل هذا اللفظُ للتأبيد، يقال: لا أفعلُ كذا ما أَطَّتِ[1] الإبلُ.

والاصطِباح: شُربُ الصَّبُوح، وهو ما يُشرَبُ من اللَّبن وغيره بالغَداة أي ليس عندنا لبنٌ بقَدْرِ ما يَصْطبحه صبيٌّ.

والعذراءُ: البِكرُ من النِّساء.

واللَّبان، بالفتح: الصَّدْرُ.

ويَدْمَى: يَظْهَر دمُه عليه، يقال: دَمِيَ العُضوُ يَدْمَى فهو دامٍ. يريد أنها من كثرة امتهانِها نفسَها في الخِدمة وما عندهم من الجَدْب والضِّيق، قد دَمِيَ صدرُها، لأنها لا تجدُ ما تُعطِي مَن تكفيها الخِدمة. وأصلُ اللَّبان للفَرَس، فاستُعير للإنسان.

وبعضهم يرويه: «تَدْمَى لَبانُها» بالتاء، على نحو قراءة من قرأ:[2] ﴿تَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ لإضافة البعض إلى السَّيَّارة، وهي مؤنَّث، ولَبانُ المرأةِ بعضُها، فأنَّث لذلك. هكذا فُسِّر، وأحسنُ منه ـ إن صحَّت الرِّواية ـ أن يقال: إنّ قوله: «تَدْمَى» راجعٌ إلى العذراء. أراد أنَّ بدنَها قد دَمِيَ، ثم استدرك فأبدل اللَّبانَ من البَدَن بدلَ البعض من الكُلِّ، فقال: «لبانُها» بعد أن أطلق الفِعل المؤنَّث بالتاء.

وقوله: «شُغِلت أمُّ الصبيّ عن الطِّفل» أي شُغِلت عن ولدها بما هي فيه من شدّة الزمان وصعوبة الحال. والطِّفلُ: هو الصبيُّ، كأنه قال: شُغِلت أمّ الصبيّ عنه، فأقام المُظهر مقام المُضمر، وخالَف بين اللفظين لأمرين: أحدهما ليتغايرَ اللفظُ ولا يتكرّر، والثاني: أن الصبيَّ يُطلَق على الطِّفل وغير الطِّفل، فلما قال: «وقد شُغِلت أمُّ الصبيِّ» جاء بالطِّفل ليُحقّقَ صِغرَه، حيث هو أحْوَجُ إلى الأُمّ، لطفولته من الصبيّ غير الطِّفل.

---

(١) ومن أمثالهم: «لا آتيك ما أطّت الإبل» ذكره المصنف في النهاية، وهو في مجمع الأمثال ٢١٩/٢.

(٢) الآية العاشرة من سورة يوسف، وبقراءة التأنيث هذه قرأ الحسن البصري وقتادة وابن أبي عبلة. راجع تفسير الطبري ٥٦٧/١٥، وزاد المسير ١٨٥/٤، وإتحاف فضلاء البشر ص ٢٦٢.

والاستِكانة: الذُّلّ والخُضوع، وهي افتِعالة من السُّكون، وأكثر ما تُروى بقَطْع الهمزة، وإنما هي همزة وصلٍ، فَعل ذلك لضرورة الشّعر، كقوله(١):

ألا لا أرى إثنين أحسنَ شِيمةً | على حَدَثان الدَّهرِ مني ومِن جُمْلِ

فقطع همزة «اثنين».

والفَتَى: الشابُّ الحَدَثُ، وهو أقوىَ وأصْبَرُ على الشَّقاء. ومنهم من يرويه(٢): «الفَتِيُّ» بالتشديد، ويُقرُّ همزةَ الوصل بحالها، تشبيهاً بالفَتِيّ من الإبل، وهو الشابُّ القويّ.

وقوله: «ما يُمِرُّ وما يُحْلِي» أي ما يتكلّم بمُرٍّ من الكلام ولا حُلْوٍ، من الجُوع والضَّعف.

والإِلقاءُ بالكفِّ: كِناية عن الاستسلام والانقِياد، للعَجْز، كقوله تعالى: (٣)﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

والحَنْظَلُ العاميُّ: منسوبٌ إلى العام، وهو الجَدْب، كما يقال له: السَّنَةُ أيضاً، يقال: أصابَنا عامٌ، وأصابتنا سنةٌ: أي قَحْطٌ وجَدْب. ويريد به الهَبيدَ الذي يُتَّخَذ من الحَنْظَل للأكل في المجاعة.

والعِلْهِز، بكسر العين والهاء: شيءٌ كانوا يدَّخِرُونه لعام الجَدْب من الدَّم وأوبارِ الإبل، ثم يعالجونه بالنار ويأكلونه. وقيل: هو قِرْدانٌ ودَمٌ يُعالَجان بالنار. وقيل: هو شيء يَنبُت ببلاد بني سُلَيم(٤).

والفَشْلُ، بالشين(٥): الضَّعيف. المعنى: الفَشْلُ آكِلُه ومُدَّخِرُه، فصُرف الوصفُ إلى العِلْهِز، وهو لصاحبه، كقوله تعالى: (٦)﴿فَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أي ظالِمٌ أهلُها. ويُروى بالسِّين، وهو الشيءُ الرَّديءُ الرَّذْلُ.

والرُّسْلُ: جمع رسُولٍ، والأصل: رُسُلٌ، بالضم، فخُفِّف(٧).

(١) جميل بن معمر. والبيت مفرد في ديوانه ص ١٨٢، وتخريجه فيه، ويزاد عليه: المحتسب ٢٤٨/١، وشرح المفصل لابن يعيش ١٩/٩.

(٢) ورواية الديوان: * وألقى تَكَنِّيه الشجاعُ استكانة *.

(٣) سورة البقرة ١٩٥.

(٤) زاد في النهاية: له أصل كأصل البردى.

(٥) هكذا قدم رواية الشين المعجمة، مع أنه جاء في الشعر هناك بالسين المهملة.

(٦) جاء في الأصل: «وكأي من قرية أهلكتها وهي ظالمة»، ولم يرد في القرآن الكريم آية على هذا النسق، وأثبت نص الآية ٤٥ من سورة الحج. وفي السورة نفسها آية ٤٨، قوله تعالى: «وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة».

(٧) المراد بالتخفيف هنا التسكين، وهو يقال في مقابلة التثقيل الذي يراد به تحريك الحرف بأحد الحركات الثلاث.

وقوله: «وكذلك تُخْرَجون» عَقِيبَ الدعاء. يجوز أن يكون تلفَّظ به حيث قال: «وتُحيي به الأرضَ بعد موتها» فأراد به تمام قراءة الآية[1]، ويجوز أن يكون أراد به مخاطبةَ الصحابة وإعلامَهم أن الله تَعالى كما يُحيي الأرض بعد موتِها بالمطر، كذلك يُحيي الخلق بعد الموت، فقطع الدعاء ثم خاطَبَهم بذلك.

وقوله: «حتى التقت السماءُ بأرواقها» يريد بالسماء ها هنا السحاب. أي التقت بجميع ما فيها من الماء. والأرواق: الأثقال، كأنه قال: التقت السماءُ بمائها الكثير المُثقِلِ للسحاب. وقيل: أراد بأرواقها: مياهَها الصافيةَ، مِن راق الماءُ: إذا صفا، ويجوز أن يريد بالسماء السماءَ الحقيقيّة، لا السحابَ، لأن المطرَ إنما يجيء من جهة السماء.

وفي رواية: «حتى إذا ألقت السماءُ بأرواقها» من الإلقاء، والباء زائدة.

وأهلِ البِطانة: هم الذين كانوا يَنزلون حَوالَى المدينة. كذا فُسِّر[2].

وقوله: «الغَرَقَ» منصوب بفعل مضمر. أي نخافُ الغرقَ ونحذَرُه، وتكريره تنبيهٌ على شدّة الأمر.

وانْجابَ السَّحابُ: أي ذهب وانكشف. وقيل تَقَبَّضَ واجتمع، وهو مطاوعُ جاب: إذا قَطَع وخَرَق.

والإكليل: العِصابةُ التي تُعمل على الرأس كالتاج، أي صار السحابُ حولَ المدينة كالإكليل حول الرأس.

والإحداقُ: الإحاطة بالشيء.

وقوله: «لله أبو طالب» يعني عمَّه، وهي كلمةٌ تقال في مَعْرض التعجُّب من الشيء والاستحسان له والارتضاء، وهم أبداً يَنْسُبُون كلَّ ما كان من هذا القَبيل إلى الله تعالى ويضيفونه إليه، فيقولون: للهِ أنت، ولله أبوك! ولله دَرُّك!: أي إنك خالصٌ لله مختصٌّ به دونَ غيرك، وأنت مِلْكٌ له دون غيره، فلله خبرٌ، وأنت مبتدأٌ، ولهذا التخصيص قُدّم الخبرُ على المبتدأ.

وقوله: «قَرَّتْ عيناه» أي بَردتْ دَمْعَتُها؛ لأنّ دمعَ السُّرور باردٌ، ودمع الحُزنِ حارٌّ. وقيل: معناه: أدْرَكتا مأمُولَهما، بحيث تَقِرُّ وتَرْضَى به ولا تَطَّلعُ إلى غيره.

---

(١) راجع الآية ١٩ من سورة الروم.

(٢) وهو تفسير ابن الأنباري، على ما في الغريبين ١٨٢/١.

والغَمامُ: السَّحاب، واحدتُه غَمامة.

والثِّمالُ: المُطْعِم، يقال: ثَمَلهم يَثْمِلُهُم[١]: إذا أطعمهم. وقيل: هو مُعتَمدُ القوم. وقيل: الغِياث والمَلْجأ.

واليتامى: جمع يتيمٍ ويتيمة، وهما من الناس: الذي مات أبوه وهو صبيٌّ.

والأرامل: جمع أَرْمَلٍ وأرمَلَة، وهما الذي لا زوجةَ له، والتي لا زوجَ لها.

والعِصمةُ: المَنْعةُ[٢] والحماية. أي إنه حامٍ للأرامل، مانعٌ من ظُلمهم.

وقوله: «يُستَسْقى الغَمامُ بوجهه» أي بجاهه وحُرْمَتِه، فاستعار الوَجْهَ له.

وقوله: «يلوذ به الهُلَّاك» أي يلتجيء إليه الهَلْكَى من آل هاشم. والهُلَّاك: جمع هالِك، ككاتب وكُتَّاب.

ويُبْزَى: يُقْهَر ويُغْلَب. يقال: بَزَى عليه وأبْزَى به: إذا غَلَبه وقَهَره.

وفي رواية:

كَذبْتُم وبيتِ الله يُقْتَلُ أحمدُ

والمُناضلَة: المُقاتلةُ والمُدافَعَةُ، وأصله من النِّضال: الرَّمي بالسِّهام. يقال: ناضَلْتُه فنضَلْتُه، أي راميتُه فغلبتُه، وفلانٌ يُناضِل عن فلان: إذا تكلَّم بعُذْره.

وجَرَّ «نناضل» للإطلاق والوزن، وأصله الجزمُ عطفاً على «نُقاتِل».

وتقدير البيت: كذبتم وبيتِ الله أن يُغلَبَ محمدٌ ولم نُقاتِلْ دونَه وندفَعْ عنه[٣].

ونصب «نُسلِمَه» على القطع ممّا قبله، كقوله تعالى:[٤] ﴿ولَمَّا يَعْلَمِ الله الّذينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ

---

(١) بكسر الميم وضمها، كما في القاموس.

(٢) بسكون النون، كما ضبط في الأصل. وفي اللسان والقاموس: العصمة: المنع. وفي ترجمة (عصم) من النهاية واللسان ضبطت المنعة بفتح النون، ضبط قلم. أما في ترجمة (منع) فقد ضبطها المصنف بالسكون. وهذه عبارته، قال رحمه الله: «وفيه: «سيعوذ بهذا البيت قوم ليست لهم منعة» أي قوة تمنع من يريدهم بسوء. وقد تفتح النون. وقيل: هي بالفتح جمع مانع، مثل كافر وكفرة».

(٣) قدره في النهاية على حذف «لا» قال: أراد: لا يبزى، فحذف «لا» من جواب القسم، وهي مرادة، أي لا يقهر ولم نقاتل عنه وندافع.

(٤) سورة آل عمران ١٤٢.

وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾. ولو لم يقطعْه لكسره، وحقيقة نصبه بإضمار «أن» بعدَ واو الجمع[1]، كقولهم: لا تأكل[2] السمكَ وتشربَ اللَّبنَ.

ونَصَرَّع: أي نُقْتلَ ونُرْمَى على الأرض.

والذُّهول: الغَفلَةُ والنِّسيان.

والحَلائِلُ: الزَّوجات، واحدتهنَّ حَلِيلة، والرجُلُ: حَليلُ امرأتِه.

والضمير في قوله: «دعوةً إليه».

راجعٌ إلى الاستسقاء. أي دعا الله تعالى إلى إنزال الغيث.

وأشخص بصَره: إذا رفَعه إلى السماء.

وقوله: «كإلقا الرداء» قصر «الإلقاء» لضرورة الشِّعر.

والدِّرَر: جمع دِرَّةِ المطر.

شبَّه سُرعةَ الإجابة بسرعة إلقاء الرجل رداءَه عن عاتقه.

والدُّفاق، بالضم: المطرُ الواسع المتدفِّق.

والعزائلُ: مقلوب العَزالِي، جمع عَزْلاء، وهي فَمُ المزادة من أسفلها الذي يخرج منه الماءُ، وربّما رُوي البيتُ: «العَزالي» شبَّه ما يُمطِر من السحاب بما يتدفق من فم المَزادة.

والجَمُّ: الكثير.

والبُعاق، بالضمّ: المطرُ العظِيم الذي يتصبَّب بشدَّة، وقد انْبَعَق، وتَبَعَّق.

وقوله: «به الله يَسْقِي» هكذا يُرْوى، وهو زِحافٌ في البيت، يحتاجُ أن تُحرَّكَ الياء لِيَتَّزِن، وبعضهم يرويه:

* به الله أنزلَ صوبَ الغَمامِ *

والصَّوْبُ: نُزولُ المطر.

والعُلْيا: تأنيث الأعلى.

---

(١) يعني واو المعية.

(٢) هذا من الشواهد النحوية السيارة. راجعه في الكتاب ٤٢/٣، وشرح المفصل ٣٤/٧.

والغُرَر: جمع غُرَّة، وهي النَّفِيسُ من كلِّ شيء.

وقوله: «أبيض ذو غُرَر» حكاية قول أبي طالب:

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِهِ.

والعِيان: الحاضِر المُشاهَد.

والغِيَرُ: الحوادث وتغيُّر الحال. أي: ومَن يكفُرْ نعمةَ الله يُغَيِّرْ حالَه.

وقوله: «فلم يكُ» و«إن يكُ شاعرٌ» حذْفُ النون فيها تخفيفٌ؛ لكثرة جَرْيها على اللّسان، فإن المحذوف منها للجزم هو الواو في «يكون» دون النون[1].

(١) بحاشية الأصل: بلغت القراءة على مصنفه إلى هنا، والحمد لله وحده.

حَدِيثُ لقمانَ بنِ عَاد

أنه خطب امرأةً قد خطبها إخوتُه قبلَه، فقالوا: بئس ما صَنَعْتَ خطبتَ امرأةً خطبْناها قبلك. وكانوا سبعةً وهو ثامنهم، فصالحهم على أن يَنعَت لها نفسَه وإخوتَه بصِدْق، وتختار أيَّهم شاءت.

فقال: خُذِي منيِّ أخي ذا البَجَل، إذا رعَى القومُ غفَل، وإذا سَعَى القومُ نَسَل، وإذا كان الشأنُ اتَّكَل، قريبٌ مِن نَضِيج، بعيدٌ مِن نيء. فلَحْياً لصاحبنا لَحْياً.

فقالت: عِيالٌ لا أُريدُه.

ثم قال: خُذِي منِّي أخي ذا البَجْلَة، يحملُ ثِقَلي وثِقْلَه، ويَخْصِف نَعْلي ونَعْلَه، وإذا جاء يومُه قُدِّمْتُ قَبْلَه.

فقالت: خادِمٌ لا أُريدُه.

ثم قال: خُذِي منّي أخي ذا العِفاق، صَفَّاقٌ أفَّاق، يُعمِل الناقةَ والسَّاق.

فقالت: فَيْجٌ لا أُريده.

ثم قال: خُذِي منِّي أخي ذا النَّمِر، حَييٌّ خَفِر، شُجاعٌ ظَفِر، أعجبني، وهو خيرٌ من ذلك إذا سَكِر.

فقالت: يشرَبُ الخمرَ، لا أُريدُه.

ثم قال: خُذِي منّي أخي ذا الأَسَد، جَوَّابُ ليلٍ سَرْمَد، وبَحْرٌ ذو زَبَد.

فقالت: سارِقٌ لا أُريدُه.

ثم قال: خُذِي منّي أخي ذا الحُمَمَة، يَهَبُ البَكْرَةَ السَّنِمَة، والمائةَ البَقرةَ العَمِمة، والمائةَ الضائِنَةَ الزَّنِمَة، وإذا أتَتْ على عادٍ ليلةٌ مُظْلِمَة رَتَبَ رُتُوبَ الكَعْب، ووَلَّاهم شُزُنَه، وقال: اكفُوني المَيْمَنَة، سأكفيكم المَشأَمَة، وليست فيه لَعْثَمةٌ، إلا أنه ابنُ أَمَة.

قالت أُمُّ حَبِيبة ـ ورسولُ الله ﷺ يُحدِّث حديثَهم ـ: أأَخذَتْ هذا يا رسولَ الله؟ قال: رُوَيْدَكِ؛

فإني لم أفرُغْ من حديثهم.

فقالت ـ يعني المرأة ـ: مُسْرِفٌ عَبْدٌ لا أُريدُه.

ثم قال: خُذي منّي أخي حُزَيْنا، أوَّلُنا إذا غَدَوْنا، وآخِرُنا إذا اسْتَنْجَيْنا، وعِصْمةُ أبنائنا إذا شَتَوْنا، وفاصِلُ خُطَّةٍ أعْيَتْ عَلَيْنا، ولا يَعُدُّ فَضْلَه لَدَيْنا.

قالت أمُّ حَبِيبة ـ ورسول الله ﷺ يُحَدِّثُ حديثَهم ـ: أأخَذَتْ هذا يا رسول الله؟ فقال: رُويدَكِ؛ فإني لم أفرُغْ من حديثهم بعدُ.

ثم قال: أنا لُقمان بن عاد، لعاديةٍ وعاد[1]، إذا انضَجَعْتُ لا أُجْلَنْظي، ولا تَملأُ رِئَتي جَنْبي، إن أَرَ مَطْمَعي فَحِدأٌ تَلَمَّع، وإن لا أرَ مَطْمَعي فوَقَّاعٌ بِصُلَّع.

*

* * *

أخرجه ابنُ قُتيبة[2]، عن يزيد بن عمرو بن البَراء الغَنَوِيّ، عن هشام بن عُروة، عن أبيه.

قال عُروةُ: فبلغَنا أنها تَزَوَّجَتْ حُزَيْناً، وأسقط منه أجوبتَها في كلّ واحد. وأخرجه الزمخشري[3] وغيرُه بذكر الأجوبة، وأسقط منها حديثَ أُمّ حَبِيبة وجوابَها.

شرحه

لُقْمان بن عاد[4]: : هو من أولاد عادٍ الأكبر، قوم هُود النبيِّ عليه السلام، وهو صاحب النُّسُور السَّبعة التي عُمِّر بقَدْر آجالِها.

وخَطَب الرجلُ المرأةَ يَخْطُبها خِطْبةً، بالكسر: إذا طَلَب نِكاحَها، والتَّزوُّجَ بها.

وبِئسَ: فعلٌ غير مُتصِّرف، موضوعٌ للمُبالغة في الذَّمّ، وهو نقيض «نِعْم» في المدح.

وقوله: «سبعةٌ هو ثامِنُهم» أي كَمُلوا به ثمانية، كأنه هو جعلهم ثمانية.

وذو البَجَل: ذو الضَّخامة، يقال: رجلٌ بَجيلٌ وبَجالٌ، كعَقِيم وعَقامٍ[5]. وقيل: هو من

---

(١) كتب فوقها في الأصل: «لعاد». وهي رواية ابن قتيبة، وسيشير إليها المصنف في الشرح.

(٢) غريب الحديث ١/٥١٤ـ ٥٢٩.

(٣) الفائق ١/٧٤ـ ٧٨.

(٤) لقمان هذا: هو لقمان بن عاد بن ملطاط، من بني وائل، من حمير، معمر جاهلي قديم، من ملوك حمير في اليمن، يلقب بالرائش الأكبر، زعم أصحاب الأساطير أنه عاش عمر سبعة نسور، عاش كل نسر منها ثمانين عاماً، وكان من بقية عاد الأولى، وهو غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم. انظر المعمرين لأبي حاتم ص ٤، والروض الأنف ١/٢٦٦، والأعلام للزركلي ٦/١٠٨.

(٥) هذا قول الأصمعي، رواه عنه ابن قتيبة.

قولك: بَجَلي هذا: أي حَسْبِي، المعنى أنه قصيرُ[1] الهِمَّة، يقتصر على الأَدْنى، فإذا ظَفِر به قال: حَسْبِي وكِفايتي.

وقوله: «إذا رعَى القومُ غَفَلِ» أي إذا اهتمُّوا برِعاية بعضِهم بعضاً، أو برعاية أموالهم[2]، لم يهتمَّ بشيء من ذلك، وكان غافِلاً عنه.

وقال القُتيبيّ: لم يُرِدْ رِعْيةَ الغَنَم، وإنما أراد: إذا تَحافظَ القومُ الشيءَ يخافُونه غَفَلَ، ومنه قولهم: رعاكَ الله، أي حَفِظك.

وقوله: «إذا سَعَى القومُ نَسَلَ» أي إذا بذلُوا وُسْعَهم في السَّعْي ونَهَضُوا فيما ينفعهم وأسرعوا فيما يُنْجيهم، نَسَل هو مِن بينهم، أي خرج وكان بمَعْزِلٍ وتباطأ عنهم، مِن النَّسَلان، وهو مُقاربةُ الخَطْوِ مع الإسراع. والنَّسَلانُ أيضاً: مَشْيُ الذِّئب إذا بادَر إلى شيء.

والشَّأْنُ: الحالُ والخَطْبُ والأمرُ المُهِمّ.

والاتِّكال: اعتمادُ الإنسان على غيره في كفاية مَهامِّه، لعجزه وكَسَله عن تَولِّيها بنفسه.

والنَّضِيج: ضدّ النِّيء من الطَّعام. يُريد أنه لازِمٌ لبيته، لا يصيدُ ولا يغزو، فيأكلَ اللحمَ الذي لم يَنْضج. ويَحتمِل أنه ليس بجَلْدٍ يخدُم أصحابَه ويَطبخ لهم، ولكنه متكاسلٌ عن معاونتهم، وإذا قدَّموا الطَّعام أكَل، فهو بعيدٌ عن النِّيء وطبخِه، قريبٌ من النَّضيج وأكْلِه.

وقوله: «فَلَحياً لصاحبنا لَحياً» يقال: لَحَوْتُ الرجلَ ولَحيْتُه: إذا عَذَلْتَه ولُمْتَه، وأصله من لَحْوتُ العُودَ: إذا أخذتَ لِحاءَه، وهو قِشْرُه. ونَصْبُه على المصدر، وتكراره للتأكيد، وأكثر ما يقال في الدُّعاء والذَّمّ.

والبَجْلَةُ، بسكون الجيم: الهيئة الحسنة، كأنه الذي له من الرُّواء وحُسنِ المنظَرِ ما يُبَجَّل لأجلِه ويُكرَّم. يقال: بَجَّلْتُ فلانا: إذا عظَّمتَه.

وخَصْفُ النَّعْل: خَرْزُها وإصلاحُها.

وقوله: «إذا جاء يومُه قُدِّمْتُ قَبْلَه» أي إذا كان يومُ وفاته تمنَّى أن يموتَ قبلَه ويَفْدِيَه بنفسِه.

والعِفاق: مِن عَفَق يَعْفِق: إذا أسرع في الذَّهاب. والعَفْقُ: العَطْفُ والحَلَبُ أيضاً.

والصَّفَّاق: الذي يَصْفق على الأمرِ العظيم، ويَضرِب عليه. وقيل: هو مِن الصُّفْقِ: الجانبِ، يقال: جاء أهلُ ذلك الصُّفْق: أي الصُّقْع.

---

(١) وهذا تفسير أبي عبيدة. على ما في الغريبين ١٣١/١.

(٢) المراد بالأموال هنا: الإبل.

والأفَّاق: هو الذي يأتي آفاق الأرض. أي إنه كثير السَّفَر في نَواحي الأرض وأطرافها. وقيل: الصَّفْق والأفْق متقاربان. أي إنه كثير التصرُّف في الأمور.

والإعمالُ: الحَثُّ على الشيء والحملُ على العَمل. أي إنه يركبُ في أسفارِه ومَهامِّه تارةً، ويمشي فيها تارةً، فهو جَلْدٌ كامِلٌ في الأمرين.

والفَيْجُ: الرسولُ الذي يأتي بالأخبار والكتب، فارسيٌّ مُعَرَّب[1]. ويجوز أن يكون من الإفاجة: الإسراعِ والعَدْو؛ لأن الفَيْجَ من شرطه أن يكون مُسْرِعاً في سيره.

والنَّمِر: الحيوانُ المعروف، وهو موصوفٌ بالشهامة والحِدَّة.

والخَفِرُ: الشَّديدُ الحياء، وقد خَفِرت المرأةُ تَخْفَرُ خَفَراً. جَمَع له في الصِّفة بين الحِدَّة والحياء.

والظَّفِر: الذي يَظفَرُ بالأمور ويُدرِكها وينالُها.

وقولُه: «ذا الأَسَدِ» أي ذا القُوَّة الأَسَدِيَّة. والأسَدُ: هاهنا مصدرٌ، بمعنى اسْتأْسَدَ، يقال: أَسِدَ يأسَدُ أسَداً.

والجَوَّاب: مِن جاب الأرضَ يَجُوبُها: إذا قَطَعها سَيْراً. وأصْلُ الجَوْب: القَطْعُ والخَرْقُ.

والسَّرْمَد: الدَّائمُ المستمِرُّ، وإنما جعلَ الليلَ سَرْمداً لطُوله، تشبيهاً بالشيء الذي لا ينقضي، يريدُ أنه يدورُ الليلَ كلَّه على طُوله، لا ينام فيه، لجُرأته وهِمَّته.

والحُمَمَة: الفَحْمة، وجمعها: حُمَمٌ، كأنه[2] يريدُ به سوادَ شعَرِه، أو لونِه.

والبَكْرة: الناقة الفَتيَّةُ الشابَّة.

والسَّنِمَةُ: العظيمةُ السَّنام.

والعَمَمةُ، بفتح العين والميم: التامَّةُ الخَلْق. وفي كتاب القُتَيْبيّ: «العَمِمَة» بكسر الميم، فإن صَحّ فيكون محذوفاً، من العَمِيم، وهو التامُّ من كل شيء.

وقوله: «المائة البقرة» و«المائة الضائنة» بتعريف «المائة» مع الإضافة، ممّا لا يُجيزه نُحاة البصرة، وإنما يقولون: أخذتُ مائة الدِّرهم، لا غير، لأن الألف واللام لا يجتمعان مع الإضافة، وأجاز ذلك نُحاةُ الكوفة، في العَدَد خاصة.

والضائنة: واحدة الضأن من الغَنَم.

---

(١) راجع المعرب للجواليقي ص ٢٩١.

(٢) في الأصل: «كأنها تريد»، وأصلحته كما ترى، فإن الواصف هو لقمان، وجاء في النهاية على الصواب. قال: أراد سواد لونه.

والزَّنِمَةُ، بكسر النون: ذات الزَّنَمَة، بفتحها، وهو شيء يُقْطَع من أذن الشاة ويُتْرَك معلَّقاً بها، لا يُفْصَل عنها. ويروى: «الزَّلِمة» باللام، وهو بمعناه.

والرُّتُوبُ: الثُّبوتُ، أي ثَبَت ثُبوتَ الكَعْبِ، وقيل: رُتُوبه: انتصابُه إذا ألقيتَه إلى الأرض.

وقوله: «ولاَّهُم شُزُنَه» أي ولاَّهُم جانِبه، ووقاهم بنفسِه، إذا دَهِمهُمُ[1] الأمرُ الشَّديد، يقال: شُزُنٌ وشَزَنٌ، بضمَّتين وفتحتين.

والمَشْأَمة: المَيْسَرة، ضِدّ الميمنة.

واللَّعْثَمة: التَّوقُّف عن الشيء حتى يُفكِّرَ فيه. أي إنه ليس في صفاته التي تُوجب تقديمَه توقُّفٌ وتَردُّدٌ، إلا أنه ابن أَمَةٍ، فهذا عيبه لا غيرُ.

وقوله: «وأوَّلُنا إذا غَدَوْنا» أي إنه يُبادِرنا إذا نحن خَرَجْنا لُمهِمٍّ من الأمر فيكون أوَّلَنا، وإذا ولَّيْنا أو انْهَزَمْنا كان آخِرَنا ليحميَنا ويقيَنا بنفسه ممّن يَتْبَعُنا.

واستَنْجَيْنا: من النَّجاء: الإسراع، يقال: نجوتُ واستنجَيْتُ بمعنىً.

وعِصمةُ أبنائنا إذا شَتَوْنا: أي الذي نعتصم به ونلتجىء إليه في حال الجَدْب وعندَ الشِّدَّة من الجوع والبرد والبؤس. وإنما خَصَّ الأبناء، وأراد بهم الأطفال، لأنهم إذا تعذَّر عليهم قُوتُ الطِّفل فذلك غايةُ الجَهْد، وكَلَبُ الزمان.

وقوله: «وفاصِلُ خُطَّةٍ أعْيَتْ علينا» أي إذا وقَعتْ بنا مُعْضِلةٌ قام بها دونَنا، أو مشكلةٌ عَرَّفها وبيَّنها. والخُطَّة: الحالة الصَّعبة.

وأعياه الأمرُ يُعْيِيه: إذا أعجزَه، وأشْكَل عليه، فلم يَهْتدِ لوجهه.

وقوله: «لا يَعُدُّ فضلَه لدينا» أي لا يُعَدِّدُ إحسانَه ويَمُنُّ به علينا.

وقوله: «لِعاديةٍ وعادٍ» العاديةُ: خيلٌ تَعْدُو ورجالٌ يَعْدُون، والعادي: الواحد منهم. أي أنا لِجماعةٍ وواحدٍ، يعنى أن مقاومتَه للجماعة والواحد واحدةٌ، لا تتفاوت لشدّة بأسه، وقُوّةِ بطشه.

وفي كتاب القُتَيبىّ: «لعاديةٍ لعادٍ» بتكرير اللام، أي أنا لهذا، أنا لهذا، وعَدَّده من غير واو عَطْف.

والانضِجاعُ: مطاوع أَضْجَعَ، يقال: أضجَعْتُه فانْضَجَع، وضَجَع الرجلُ: أي وضَع جَنْبَه بالأرض، وهذه المُطاوَعةُ قليلة في الرُّباعىّ، قالوا: أزعجتهُ فانْزَعج، وأطلَقْتُه فانْطَلَق، وحَقُّ انْفَعَل أن يُطاوِعَ فَعَل، نحو ضَرَبْتُه فانْضَرَب، وإنما فُعِل ذلك على إنابة أَفْعَلَ مَنابَ فَعَلَ[2].

(١) بكسر الهاء، كما ضبط في الأصل، وهو من باب تعب، كما في المصباح، قال الفيومي: وفي لغة من باب نفع.
(٢) هذا مسلوخ من كلام الزمخشري في الفائق.

والاجْلِنْظاء: الاستلقاءُ ورفعُ الرِّجلين. يقال: اجْلَنْظأتُ، واجْلَنْظَيتُ. أي إنه ينام على جَنْبه مُسْتَوْفِزاً، لا يتمكَّن من الانبطاح على الأرض والتَّمدُّد.

وقوله: «لا تملأ رِئتي جَنْبِي» أي لست بجَبانٍ تنتفِخُ رِئَتي من الخوفِ حتى تملأَ جَنْبي.

والحِدَأُ: جمع حِدأةٍ، وهي الطائر المعروف، من الجوارح.

وتَلَمَّعُ: تَخْفِقُ بجَناحَيْها. أى إن رأيتُ شيئاً أطمعُ فيه انقضضتُ عليه، كما تَنْقَضُّ الحِدَأُ.

ويُروى: «فَحِدَوٌّ تَلَمَّع» والحِدَوُّ: الحِدَأُ بلغة أهل مكَّة، يقلبون الهمزة في الوقف ألِفاً، ثم يقلبونها واواً، وقد أجْرى هاهنا الوصلَ مجرى الوَقْف.

والتَّلَمُّع: تَفَعُّلٌ من اللُّمُوع. ويروى: «تَلْمَعُ» بالتخفيف، يقال: لَمَعْتُ بثَوْبِى: إذا حَرّكْته وأشرْتَ به إلى شيء، وألمعتُ بالشيء: إذا اختَلَسْتَه.

والصُّلَّعُ: الحَجَرُ الأَمْلَسُ، وقيل: الموضع الذى لا يُنْبتُ، مِن صَلَعِ الرأس. أراد أن عيشه عَيْشُ الصَّعاليك، إن ظَفِر بشىء أخَذَه، وإلاَّ فهو مُوَطِّنٌ نَفْسَه على معاناة خُشونةِ الحال، وشدَّةِ العَيْش، فإذا لم يرَ شيئاً لم يبرح واقعاً على الصُّلَّع[1]. والله أعلم.

---

(١) وهذا مثل سابقه.

حديث قس بن ساعدة الإيادي

لمّا قدِم وفدُ عبد القيس على رسول الله ﷺ، قال لهم: أفيكم مَن يعرفُ قُسَّ بن ساعِدَةَ الإيادِيَّ؟قالوا: كلُّنا نعرفُه يا رسولَ الله قال فما فَعَل؟قالوا: هَلَك. قال: لستُ أنساه بسُوق عُكاظ في الشهر الحرام، واقِفٌ علَى جملٍ أحمرَ[1] وهو يُنادِي ويقول: يا أيُّها الناسُ اجتمِعُوا واستمعُوا، وإذا سمعتم فَعُوا، وإذا وعَيْتُم فانتفِعُوا، وإذا انتفعتم فقُولُوا، وإذا قُلْتُم فاصدُقُوا، مَن عاشَ ماتَ، ومَن ماتَ فاتَ، وكلُّ ما هو آتٍ آت، مَطَرٌ ونَبات، وأحياءٌ وأموات، وأرزاقٌ وأقوات، وجَمِيعٌ وأَشْتات، وآياتٌ بعد آيات، إنَّ في السماءِ لَخبراً، وإن في الأرض لَعِبَراً، يَحارُ فيها البَصَرُ، مِهادٌ موضوعٌ، وسَقْفٌ مرفوع، ونُجومٌ تَمُور، وبحارٌ لا تَغُور، ومَنايا دَوَانٍ، ودَهْرٌ خَوَّانٌ، كحَذْوِ النِّسْطاس، ووزن القُسْطاس. أقْسَم قُسٌّ قَسَماً حَقّاً، لا كاذِباً فيه ولا آثِما: إنَّ لله دِيناً هو أَرْضَى له من الدِّين الذي أنتم عليه.

ثم قال: مالى أرى الناسَ يذهبونَ فلا يَرْجِعون! أَرَضُوا فأقامُوا، أم تُرِكُوا فنامُوا؟

ثم التفتَ رسولُ الله ﷺ إلى أصحابه، فقال: أيُّكم يَرْوِي لنا شَعرَه؟ فقال أبو بكر: أنا شاهِدٌ له في ذلك اليوم حيث يقول[2]:

في الذاهبينَ الأَوَّلينَ ... مِن القُرُونِ لنا بَصائِر
لما رأيْتُ مَوارِداً ... للموتِ ليس لها مَصادِرْ
ورأيتُ قَوْمِي نَحْوَها ... يَمْضي الأكابِرُ والأصاغِرْ
لا يَرْجِعُ الماضِي ولا ... يَبْقَى من الباقِينَ غابِرْ
أَيقَنْتُ أنِّي لا مَحا ... لَةَ حيثُ صارَ القومُ صائِرْ

---

(١) بحاشية الأصل: «أورق»، وقد ذكر المصنف هذه الرواية في النهاية. والأورق: الأسمر.
(٢) تخريج هذه الأبيات والأبيات التي بعدها، يأتي في تخريج الحديث إن شاء الله.

قال: فقام إلى رسولِ الله ﷺ شيخٌ من عبدِ القَيْس، طويلُ القامةِ عظيم الهامةِ، ضَخْمُ الدَّسِيعةِ، جَهْوَرِيُّ الصَّوت، فقال: فِداكَ أبى وأُمِّى يا رسولَ الله، وأنا فقد رأيتُ من قُسِّ بنِ ساعدة عَجَباً.

فقال له رسولُ الله ﷺ: وما الذى رأيتَ منه يا أخا عبدِ القَيْس؟

فقال: خرجتُ في جاهِلِيَّتى أُريغُ بَعيراً شَرَدَ منّى، أَقْفُو أثَرَه في تَنائِفِ حقافٍ، ذاتِ ضَغابيسَ، وعَرَصاتِ جَثْجاثٍ، بين صدُور جرْعانٍ، وغَمير حَوْذَانٍ، ومَهْمَهِ ظِلْمانٍ، ورَضِيع(١) أَيْهُقانٍ، فبينا أنا في تلك الفَلَوات أَجُوبُ بَسْبَسَها- وفي رواية: سَبْسَبَها - وأرمُقُ فَدْفَدَها. إذا أنا بهضبةٍ في تَسْوائِها أراكُ كَبَاثٍ، مخضوضلةٌ بأَغْصانها كأنَّ بَريرها حَبُّ فُلْفُلٍ، من بَواسِقِ أُقْحُوانٍ، وإذا أنا بعَيْنٍ خَرَّارةٍ، ورَوْضَةٍ مُدْهامَّةٍ، وشجرةٍ عادِيَّةٍ، وإذا قُسُّ بنُ ساعِدةَ جالِسٌ في أصل تلك الشجرة، وبيده قَضِيبٌ، فدَنَوْتُ منه، فقلت: انْعَمْ صَباحاً، فقال: وأنت فنَعِمَ صَباحُك.

قال: وإذا قَبْران بينَهما مسجدٌ، فقلت: ما هذان القَبْران؟ فقال: هذان قَبْرا أَخَوَيْنِ كانا لى، يعبدانِ الله عزَّ وجلَّ في هذا الموضع، فأنا مقيمٌ بين قبريهما، أعبُدُ الله تعالى حتى ألحق بهما، ثم أقبل على القبرين يبكى، ويقول:

خَلِيلَيَّ هُبَّا طال ما قَدْ رَقَدْتُما ... أجِدَّكُما ما تَقْضِيانِ كَراكُما(٢)
أرى النومَ بينَ العَظْم والجِلْدِ منكما ... كأَنَّ الذي يَسْقِي العُقارَ سَقاكُما
ألم تعلَما أنى بِسِمْعانَ مُفْرَدٌ ... ومالِيَ فيه من حبيبٍ سواكما
مُقيم على قَبريكما لستُ بارحاً ... أذُوبُ اللَّيالي أو يجيبَ صَداكُما
وأبكيكُما طُولَ الحياةِ وما الذي ... يردُّ على ذي لوعةٍ إن بكاكما
كأنكما والموتُ أقربُ غايةٍ ... برُوحِيَ في قَبريكُما قد أتاكما
فلو جُعِلت نَفْسٌ لنَفْسٍ فداءها ... لَجُدْتُ بنفسي أن تكونَ فِداكُما

فقال رسولُ الله ﷺ: يرحمُ اللهُ قُسّاً، أما إنه سيُبْعَثُ يومَ القيامة أُمَّةً وَحْدَه.

---

(١) بالضاد المعجمة والصاد المهملة، وسيأتي في الشرح.

(٢) اختلف في نسبة هذه الأبيات، فتنسب إلى قس، كما ترى، وتنسب إلى عيسى بن قدامة الأسدي، وإلى الحزين بن الحارث، أحد بني عامر بن صعصعة، وإلى غير هؤلاء الثلاثة. راجع الأغاني ٢٤٨/١٥، ٢٤٩، وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٨٧٥، ومعجم ما استعجم ص ٤٩٧، في رسم (خزاق)، ومعجم البلدان ٢١٥/٤، في رسم (راوند)، و(سمعان).

وفي رواية أخرى: قدم الجارُودُ بن عبد الله في وفد عبدِ القيس، على رسول الله ﷺ، وكان سيِّداً في قومه، مُطاعاً في عشيرته، في كُلِّ كَمِيٍّ صِنْدِيد، قد دَوَّمُوا العمائمَ، وتَرَدَّوْا بالصَّماصِم، يُجَرُّون أسيافَهم، ويَسْحَبون أذيالَهم، كأنهم أُسْدُ غِيلٍ، يَقْدُمُها ذو لُبُوَّةٍ مهولٍ، فلما دخلوا المسجدَ، دَلَف الجارُودُ، وحَسَر لِثامه، وأحسنَ سلامَه، ثم قال:

يـا نبـيَّ الهُـدَى أَتَتْـكَ رِجالٌ ... قَـطَعَـتْ مَـهْـمَـهـاً وآلاً فـآلاَ
وطَـوَتْ نَحـوكَ الصَّحاصِـحَ طُـرّاً ... لا تَخالُ الكَـلالَ فيـك كَـلالا
كُـلَّ يَهْمـاءَ يَقْصُـرُ الـطَّرْفُ عنها ... أرْقَـلَـتْـهـا قِـلاصُـنـا إرْقـالا
وطَـوَتْهـا الجيـادُ تَجْـمَـعُ فيـهـا ... بكُمـاةٍ كـأنْجُـمٍ تَـتَـلالا
تَبْتغِـي دَفْـعَ بأسِ يـومٍ عَبُـوسٍ ... أوْجَـلَ القَلْـبَ ذِكـرُه ثُـمَّ هـالا

فقَرَّبه رسولُ الله، وأدناه، وقال: يا جارُودُ، لقد تأخَّر بك وبقومِك الموعِدُ، وطال بكم الأَمَدُ.

فقال: والله لقد أخطأَ من أخطأَكَ قَصْدُه، وعَدِمَ رُشْدَه، وتلك وايمُ[1] الله ـ أكبرُ خَيْبة وأعظم حَوْبة، والرائدُ لا يَكْذِبُ أهلَه، ولا يَغُشُّ نفسَه، لقد جئتَ بالحَقّ، ونطقتَ بالصِّدق، ولقد وجدتُ وصفَك في الإنجيل، ولقد بَشَّر بك ابنُ البَتُول، ولا أثرَ بعد عَين، ولا شكَّ بعد يقين، مُدَّ يدَك فأنا أشهدُ أن لا اله إلاّ الله، وأنَّك رسولُ الله.

فآمن الجارُودُ، وآمَن مِن قومه كلُّ سيِّدٍ.

ثم قال: يا جارُودُ، هل في جماعةِ عبدِ القيسِ مَن يَعرفُ لنا قُسّاً؟

فقال: كلُّنا يعرفه، وأنا مِن بين قومى كنت أقْفُو أثرَه، وأطلُبُ خبرَه، كان قُسٌّ سِبْطاً من أسْباطِ العرب، صحيحَ النَّسب، فصيحاً ذا خُطَب، عُمِّر خمسَ مائةِ سنة، أو ستمائة، يَتقَفَّرُ القِفار، لا تُكِنُّه دار، ولا يُقِرُّه قَرار، يَتَحَسَّى في تقفُّره بَيْضَ النَّعام، ويأنَسُ بالوَحْش والهَوامّ، وهو أوَّلُ مَن تألَّه من العرب، وأعبَدُ مَن تعبَّد في الحِقَب. ثم أطال في وصفه نَثْراً ونَظْماً.

فقال النبيّ ﷺ: على رِسْلك يا جارُودُ، فلستُ أنساه بسُوق عُكاظَ على جملٍ له أوْرَق، وهو يتكلّم بكلامٍ مُونِقٍ، ما أظُنُّ أنِّى أحفظه، فهل فيكم يا معشرَ المُهاجِرين والأنصار من يَحفظُ لنا منه شيئا؟

فوثَبَ أبو بكر، وقال: أنا أَحفظُه، وكنت حاضراً ذلك اليومَ حينَ خَطَب، فقال: أيُّها الناسُ اسمَعُوا وعُوا. وذكر نَحو ما تقدَّم. وفيه بعد قوله: «وإنَّ في الأرض لَعِبَراً»: ليلٌ داجٍ وسماءٌ ذات أبراجٍ، وأرضٌ ذاتُ رِتاجٍ، وبحارٌ ذاتُ أمواجٍ. وذكر الحديثَ إلى آخر الابيات الرائية.

---

(١) رسمت في الأصل: «ويم» بإسقاط الألف.

ثم قال: وقام رجلٌ من الانصار، كأنَّه قِطعَة جَبَل، ذو هامةٍ عظيمة وقامةٍ جَسيمة، قد دَوَّم عِمامتَه، وأرْخَى ذُؤابتَه، مُنِيفٌ أُنُوفٌ، أشْدَقُ أجَشُّ الصوتِ، فقال: لقد رأيتُ من قُسٍّ عَجَباً، وشهدتُ منه مُرْعِباً، خرجتُ في الجاهليَّة أطلبُ بعيراً لي شَرَدَ منّي في تَنائفِ حقائفَ، ذات دَعادعَ وزَعازعَ، ليس بها للرَّكْب مَقِيلٌ، ولا لغير الجنّ سَبِيل، فإذا أنا بَموئلٍ مَهُولٍ، في طَوْدٍ عظيم، ليس به إلا البُوم، إذْ ركبَني اللَّيلُ، فوَلَجْتُه مذعوراً، لا آمن فيه حَتْفي، ولا أركَنُ فيه إلى غير سَيْفي، فبتُّ بليلٍ طويل، كأنه بليلٍ مَوصُول، أرْقُب الكوكبَ، وأرْمُق الغَيْهَب، حتى إذا اللَّيلُ عَسْعَس، وكاد الصُّبح أن يتنفَّس، ولاحَ الصَّباح، واتَّسع الإيضاح، فتركتُ المَوْرَ، وأخذتُ في الجَبل، فإذا أنا بالفَنِيق يُشَقْشِق النُّوق، فملكتُ خِطامَه، وعلوتُ سَنامه، فمَرِحَ طاعةٍ، وهزَزْتُه ساعةً، حتى إذا لَغِبَ، وذَلَّ منه ما صَعُب، بَرَك في رَوضَةٍ خَضِرةٍ، نَضِرةٍ عَطِرة، ذاتِ حَوْذانٍ وقُرْيانٍ، وعُنْقُزانٍ وعَبَيْثَرانٍ، وحَليٍّ وأَقاحٍ وجَثْجاثٍ، وبَرارِيَ وشَقائقَ وبَهار، كأنما بات الجَوُّ بها مَطِيراً، وباكَرَها المُزْنُ بُكُوراً، فَخِلالَها شَجَرٌ، وقَرارَها نَهَرٌ، فجعل يَرْتَعُ أَبّاً، وأصيدُ ضَبّاً، حتى إذا أكلتُ وأكَل، ونَهَلْتُ ونَهَل، وعَلَلْتُ وعَلَّ، حَلَلْتُ عِقالَه، وعَلَوتُ جلالَه، وأوسعتُ مَجالَه، فاغْتَنم الحَمْلَة، ومَرَّ كالنَّبْلَة، يَسبقُ الرِّيح، ويَقطَعُ عَرْضَ الفَسِيح، حتى أشْرَفَ بي على وادٍ، وشَجرةٍ من شَجر عادٍ، مُورقَةٍ مُونِقَة، قد تَهَدَّلَت أغصانُها، كأنما بَريرُها حَبُّ فُلْفُل، فدنوتُ، فإذا أنا بقُسِّ بن ساعِدةَ في ظِلِّ شجرة، بيده قَضِيبٌ من أراك، وهو يقول:

يا ناعِيَ الموتِ والملحودُ في جَدَثٍ ... عليهمُ من بقايا بَزِّهِمْ خِرَقُ
دَعْهُمْ فإنَّ لهم يوماً يُصاحُ بهمْ ... فهُمْ إذا أُنْبِهُوا من نومِهم فَرِقُوا
حتى يعودُوا لِحالٍ غيرِ حالِهِمُ ... خَلْقاً جَديداً كما مِن قَبْلِه خُلِقُوا
منهم عُراةٌ ومنهم في ثيابِهِمُ ... منها الجَدِيدُ ومِنْها المُنْهَجُ الخَلَقُ

ثم ذكر حديثَ القَبْرين والشِّعر، كما سَبَق، فقال النبيّ ﷺ: رحم الله قُسّاً، أرجو أن يبعثَه الله أمَّةً وحدَه.

*

* *

حديث قُسّ بن ساعِدة، على كثرة رواياتِه، واختلافِ طُرُقه، حديثٌ مشهورٌ، مُتداوَلٌ بين رُواة الحديث وأئمَّتِه، وقد ذكر بعضُ الحُفَّاظ أنه موضوعٌ(١).

(١) ذكره الحافظ ابن كثير، من طرق عدَّة، وقال: «وأصله مشهور، وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة»، ثم نقل عن الإمام البيهقي قوله: «وإذا روى الحديث من أوجه أخر- وإن كان بعضها ضعيفاً- دل على أن للحديث أصلاً». =

فأما الرِّوايةُ الأولى فهي معروفةٌ بمحّمد بن الحَجَّاج اللَّخْمي[1]، عن مُجالِد بن سعيد، عن الشَّعْبيّ، عن ابن عباس، وقد أخرجها أبو القاسم البَغَوِيُّ، وأبو القاسم الطَّبرانيُّ، وغيرهما

وأما الروايةُ الثانية فمعروفةٌ من رواية بِشْر[2] بن نُمَيْر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس.

قال أبو موسى: وهو غريبٌ من هذا الوجه، وقد رُوي عن ابن عباس، مِن غير وجه، ورُوي عن أنس بن مالك، وأبي لُبابة، وكأنَّ ألفاظَها مصنوعةٌ مُلَفَّقة، لكن هكذا يروى. على أنَّا قد تَركْنا بعضَ ألفاظه التي أطالوه بها اختِصاراً. والله أعلم.

شَرْحُه

قُسّ بن ساعدة الإيادىّ: رجلٌ من العَرَب معروفٌ، من المُعَمَّرين، مشهور بالحكمة والفصاحة والدِّين، وكان قد تنصَّر وترَهْبَن، يقال: إنه أدرك شَمْعُون حَوارِيَّ المسيح عليه السلام.

قال الجوهريّ[3]: كان أُسْقُفَّ نَجْرانَ.

وساعِدةُ: من أسماء الأسد، وبه سُمِّيَ الرجلُ.

والإيادِيُّ: منسوبٌ إلى إياد بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدنان.

السيرة النبوية لابن كثير ١/١٤١-١٥٣، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ١/٤٥٣-٤٦٦، وأورده الحافظ ابن سيد الناس، بسنده، ولم يتكلم عليه بشيء. عيون الأثر ١/٦٨- ٧٢.

وذكره الحافظ نور الدين الهيثمي مختصراً، وقال في آخره: «رواه الطبراني والبزار، وفيه محمد بن حجاج اللخمي، وهو كذاب». مجمع الزوائد ٩/٤١٨، ٤١٩ (كتاب المناقب- باب ما جاء في قس بن ساعدة).

وقد ترجم الحافظ ابن حجر العسقلاني لقس في الإصابة ٥/٢٨٥، ٢٨٦، وقال في آخر الترجمة: «وقد أفرد بعض الرواة طريق حديث قس، وفيه شعره وخطبته، وهو في الطوالات للطبراني وغيرها، وطرقه كلها ضعيفة».

وأورده الحافظ السيوطي، من طرق كثيرة، وضعَّفه. اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/١٨٣-١٩٢ (كتاب الأنبياء والقدماء).

وحديث قس وشعره تراه في غير كتاب. انظر مثلاً المعمرين لأبي حاتم ص ٨٧ ودلائل النبوة لأبي نعيم ١/١٢٧- ١٣٠ والبيان والتبيين ١/٣٠٩، والأغاني ١٥/٢٤٧، والأوائل لأبي هلال العسكري ١/٨٥، والعقد الفريد ٤/١٢٨، والعصا لأسامة بن منقذ (نوادر المخطوطات) ١/١٨٦ والمنازل والديار، له ص ٤٥٣ وشرح مقامات الحريري للشريشي ٤/٣٩٤، والخزانة للبغدادي ٢/٧٧، ٨٠.

(١) محمد بن الحجاج اللخمي الواسطي، أبو إبراهيم، نزيل بغداد. قال البخاري: منكر الحديث، وقال الدارقطني: كذاب، وقال ابن معين: كذاب خبيث، وقال مرة: ليس بثقة. ميزان الاعتدال ٣/٥٠٩، وتاريخ بغداد ٢/٢٧٩- ٢٨٢.

(٢) بشر بن نمير القشيري البصري. تركه يحيى القطان، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال أحمد بن حنبل: ترك الناس حديثه، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه، وقال البخاري: مضطرب. ميزان الاعتدال ١/٣٢٦، وانظر تهذيب التهذيب ١/٤٦٠.

(٣) في الصحاح (ق س س).

وعُكاظُ: اسمُ سُوقٍ للعرب بناحية مكَّةَ، كانوا يجتمعون بها كلَّ سنة، فيقيمون شهراً، ويتبايعون ويتناشدون الأشعار ويتفاخرون.

والشهر الحرام: أحد الشهور الأربعة: المحرّم ورجب وذو القَعْدة وذو الحِجَّة، كانوا يُحرِّمون فيها النَّهْبَ والغارةَ والقتالَ والقَتْل، بحيث يلقى أحدُهم فيها قاتلَ أبيه أو ابنه فلا يَهِيْجُه، ولا يَعْرِضُ له بسُوء.

والوَعْيُ: الحِفْظ والفَهْم. يقال: وَعَيْتُ الشيءَ أَعِيه وَعْياً، والأمر منه للواحد، عِ، وللاثنين: عِياَ، وللجمع: عُوا، وتَلْحَق مع الواحد هاءُ السَّكْت، فيقال: عِهْ.

والأَشْتات: المتفرِّقون.

والآياتُ: الدَّلائلُ والآثار.

والعِبَرُ: جمع عِبْرة، وهي الاسم من الاعتبار والاتِّعاظ بالشيء والتَّدَبُّر له.

والمِهادُ: البِساط. يقال: مَهَدْتُ الفِراشَ مَهْداً: إذا بَسَطْتَه ووطَّأْتَه، ويريد به هاهنا الأرضَ.

ووَضْعُه: تَسْويتُه وتَمْهيده.

والسَّقْفُ المرفوع: أراد به السماءَ.

ومارَ الشيءُ يَمورُ مَوْراً: إذا تحرَّك وجاء وذَهب.

وغارَ الماءُ يَغُور: إذا غاصَ في الأرض ولم يَبْقَ منه شيءٌ.

والمنايا: جمعُ مَنِيَّة، وهي الموتُ، من المَنْيِ: التقدير، لأنها مُقَدَّرة.

والدَّواني: جمعُ دانِيَةٍ، وهي القَرِيبة.

والخَوَّانُ: فَعَّالٌ من الخِيانة.

والحَذْوُ: التقديرُ والتَّسويةُ، يقال: حَذَوْتُ النَّعْلَ بالنَّعْلِ حَذْواً: إذا قَدَّرتَ كلَّ واحدةٍ منهما على الأخرى.

والنِّسْطاسُ: قيل إنه رِيشُ السَّهم، كذا فُسِّر(١).

---

(١) قال في النهاية: «ولا تعرف حقيقته». ولم يزد صاحبا اللسان والتاج على ذلك شيئاً.

ويُروَى: كحَدِّ «الفِسْطاط»[1] وهي الخَيْمة.

والقُسْطاس، بالضمّ والكسر: أقْوَمُ الموازين وأعْدَلُها. أي إنّ قُرْبَ المنايا وخيانةَ الدَّهر لا خُلْفَ فيها ولا شكَّ، كما أن رِيشَ السِّهام متساويةٌ، وأن ما يُوزَن بالقُسطاس لا جَوْرَ فيه.

ويريد بالذاهبين الأمواتَ الذين لا يَرجعون إلى الدنيا.

والقُرُون: الأُمَم الخالية، جمع قَرْنٍ، بالفتح، وهو أهلُ كلِّ زمان.

والبصائر: جمع بَصِيرة، وهي الحُجَّة والدَّليل، وأصل البَصيرة: شيء من الدَّم يُستدَلُّ به على الرَّمِيَّة. ولهذا قيل لما يُدرَك بالنَّفْس والاستدلال: بَصِيرةٌ، وما يُدرَك بالعَين إبصار.

والمَوارِدُ: جمع مَوْرِد، وهو المكان الذي يقصده الناسُ لماءٍ وغيره. والموارد أيضاً: الطُّرُق.

والمصادر: المواضع التي يرجعون فيها ومنها. أي يَرِدُون الموتَ بعِلَلٍ وأسباب، ولا يرجعون منها بَمْوتٍ[2] ولا سَبَبٍ.

ولا مَحالَةَ: أي لا حِيلةَ. ويجوز أن يكون من الحَوْلِ: القُوَّةِ، أو الحركة، وأكثر ما يُستعمل بمعنى لا بُدَّ، أو بمعنى اليقين والحقيقة، والميم زائدة.

والهامة: الرأس، وجَمْعها هامٌ.

والضَّخْم: الغَليظ السَّمين.

والدَّسِيعَة: مُجتَمع الكَتِفَيْن، وقيل: العُنُق.

والجَهْوَرِيُّ: العالي الصَّوت، يقال: جَهَر بالقول وجَهْوَر: إذا رَفَع صوتَه به، ورجلٌ جَهِيرُ الصوتِ وجَهْوَرِيُّه، وقد جَهُرَ، بالضمّ.

والجاهليّة: اسم للزمان الذي كان قبل الإسلام وأهلِه، وهي مشتقّة من الجهلِ ضدِّ العلم، لأنه كان الغالبَ على أهلها.

وأَرِيغُ: أي أَطْلُب، يقال: أراغَ وارتاغ: إذا أرادَ وطَلَب، ومنه رَوَغانُ الثعلب، وهو عَدْوُه كذا وكذا.

والشُّرُود: النُّفُور.

---

(١) كذا ضبطت الفاء في الأصل بالكسر، وهي بالضم والكسر، كما في القاموس.

(٢) هكذا في الأصل.

واقتفاء الأَثَر: تَتَبُّعه. يقال: قَفا الأَثَرَ، واقْتفاه.

والتَّنائفُ جمعُ تَنُوفَة(١)، وهي المَفازة والفَلاة البعيدة التي لا أَثَرَ بها.

والحِقاف: جمع حِقْفٍ، وهو الكَثِيب المجتمع المائلُ من الرَّمل. وأضاف التَّنائِفَ إليها؛ لكونها فيها، كأنه قال: بَراري رِمالٍ.

والضَّغابيس: جمع ضُغْبُوسٍ، وهو نَبتٌ شِبه العَراجين في أصول الثُّمام، طويلٌ، منه أحمرُ وأخضَرُ، ويؤْكل (٢)، وقيل: هو شِبه الهِلْيَوْن. والضَّغابيس- في غير هذا الحديث-: صِغار القِثَّاء(٣).

والعَرَصات: جمع عَرْصَةٍ، وهي كلّ موضعٍ واسعٍ لا بناءَ فيه.

والجَثْجاث: نَبْتٌ أصفرُ طَيِّب الرائحة، وأضاف العَرَصات إليه، لكونه فيها.

والجِرْعان، بالكسر: جمع جَرَعَةٍ، بالتحريك، وهي الرَّمْلة التي لا تُنبت شيئاً ولا تُمْسِك ماءً، وتُجْمَع على جَرَعاتٍ، وهو الأشهر في جمعها، وقد رُوى كذلك، إلا أن الجِرْعان أَلْيَقُ للسَّجع.

وصُدُورها: أوائلُها وأعاليها.

والغَمِير: المَغْمُور، أي المستور، فَعِيلٌ بمعنى مفعول.

والحَوْذانُ: بَقْلَةٌ فيها انضمامٌ، لها قُضُبٌ وورَقٌ ونَوْرٌ أصفَرُ. يريد أن الموضعَ استتر بالحَوْذان، لكثرة نباته.

والمَهْمَه: المفَازةُ البعيدةُ، وجمعها: مَهامِهُ.

والظِّلمان: جمع ظَلِيم، وهو ذَكَر النَّعام.

والرَّضِيع، إن رُوِىَ بالضاد المعجمة، كان صفةً للظِّلمان أو لغيرها من السِّباع التي في ذلك الموضع.

والأَيْهُقان: الجِرْجيرُ البَرِّيُّ. يريد أنها تَرْتَع الأَيْهُقانَ الرَّطْبَ وتَمَصُّه مَصَّ اللَّبَنِ، لشدَّة نُعومةِ نَبْتِ ذلك المكان، وكثرةِ مائه.

---

(١) سبقت في حديث جهيش بن أوس.

(٢) في النهاية: يسلق بالخل والزيت ويؤكل.

(٣) يقول الأصمعي: الضغابيس: نبت ضعيف، يشبه به الضعيف من الرجال. يقال: رجل ضغبوس، ورجال ضغابيس. النبات ص ٢٠.

ويجوز أن يكونَ الرَّضيعُ كِنايةً عن صِغارِ الأيْهُقان.

وإن رُوِيَ بالصاد المهملة فهو من الرَّصِيعَة، وهي ما يُعْقَد على الشيء، ويُحَسَّنُ به، كالشيء المرصَّع بالجوهرِ وغيره. أي ذلك الموضعُ مُحَسَّنٌ مُزَيَّنٌ بهذا النَّبْت.

والفَلَواتُ: جمع فَلاةٍ، وهي البَرِّيَّة.

والبَسْبَسُ، والسَّبْسَبُ: القفْرُ منها.

والفَدْفَـدُ: المكانُ الصُّلْب المرتفع، وقيل: المُسْتَوِى.

ورَمقْتُ الشيءَ أرْمُقُه رَمْقاً: إذا نظرتَ إليه.

والجَوْبُ: القَطْعُ والسَّيْرُ، ويروى: «أَجُـولُ» من الجَوَلان، وهـو السَّيرُ في الأرض والتَّرَدُّد. والهَضْبة: الرَّابية.

والتَّسْواء: الموضِعُ المُسْتَوِى من الأرض. أراد حيث استوى من الهَضْبة وانْبَسَط منها.

والكَباثُ: ثَمر الأراك قبل أن يَنْضَج. أي أَراكٌ عليه ثَمَرُه، فلهذا أضافه إليه.

والمُخْضَوْضِلَة: الرَّطْبة النَّدِيَّة.

والباء في «بأغصانها» بمعنى مَعَ.

والبَرير: ثَمَر الأراك إذا نَضِج، كالرُّطَب من البُسْر.

والبَواسِقُ: الطِّوال العالية، جمع باسِقةٍ.

والأُقْحُوان: من الأزهار معروفٌ، واحدته أُقْحُوانة، وجمعُه أَقاحٍ، على حذف الألف والنون، وإن لم يُحذفا، وأصلُها: أَقاحِيٌّ، مُشَدَّداً، على إبدال النون في الجمع ياءً.

والعَينُ الخَرَّارة: الشَّديدةُ صوتِ مائها من كثرته، وهي فَعَّالةٌ من الخَرير، للمبالغة.

والمُدْهامَّةُ: المُتَناهيةُ الخُضْرةِ حتى تميلَ إلى السَّواد، والدُّهْمة: من لونِ السَّواد، ومنه قوله تعالى: (١) ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾.

والعادِيَّة، بالتشديد: القديمة، كأنها منسوبة إلى عادٍ، قوم هودٍ النبيِّ عليه السلام، هكذا يقولون للشيء القديم، وإن لم يكن من آثار عادٍ.

---

(١) سورة الرحمن ٦٤.

وانْعَمْ صَباحاً: من تحايا الجاهلية، وقد تقدَّم شرحُه في حديث خُزيمة.

والخَليلُ: الصَّديق، والخُلَّة: الصَّداقة.

وهُبَّا: انْتبِها من نومِكما.

وقوله: «أجدَّكُما» أي أبجدٍّ منكما لا تَقْضِيان نومكما؟ من الجدِّ: ضِدّ الهزل، وهو منصوب على المصدر، ولا يُتكلَّم به إلا مضافاً[1]، قال أبو عمرٍو: معناه: مالَكَ، أجِدّاً منكَ؟

والعُقار: من أسماءِ الخمر، سُمِّيتْ به لأنها تَعْقِر شاربَها، أي تُهْلِكه.

وسِمْعان، بالكسر: جبلٌ بأرض عبد القَيْس.

وقوله: «أذُوبُ اللَّيالي» أي في مُرورِ الليالي.

والصَّدَى: الذي يُجيب الصائحَ من الجبل ونحوِه، لأن الصَّدَى إنما يُجيب مَن صاحَ، وذلك من لوازم الحياة. يعني لا أبرحُ مُقيماً على قبريكما إلى أن تَعِيشا.

ونَصب «يُجيبَ صداكما» بإضمار «أنْ» بعد «أو» التي بمعنى «إلاّ أن».

والباء في «برُوحي» متعلّقة «بكأنكما» والموتُ أقربُ غايةٍ: اعتراضٌ بينهما.

واللَّوْعَةُ: حُرقة الحُبّ وشدّته.

ويُروى: «عَوْلَة» وهي المَّرة من العَوْلِ والعَويل، وهو رفع الصوت بالبكاء.

وقوله: «يُبعَث أمَّةً وحدَه» الأُمَّة: الرجلُ المنفردُ بدِين، ومنه قوله تعالى: [2] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلهِ حَنِيفاً﴾ والأصل في الأُمَّة: الجماعة، فكأنه جعله في وَحْدته بمنزلة الجماعة. قال الأخفش: الأمَّة في اللفظ واحِدٌ وفي المعنى جَمْعٌ.

وأما غريبُ الرواية الثانية: فإن الكَميَّ الرجلُ الشُّجاعُ المُتكَمِّي في سِلاحِه، المُتغَطِّى به المُسْتَخفى، والجمعُ الكُماةُ.

والصِّنْديد: الرئيس الشريف الغالبُ لكلّ أحد، وجَمْعُه صَنادِيدُ.

---

(١) راجع الكتاب لسيبويه ٣٧٩/١ (باب ما ينتصب من المصادر توكيداً لما قبله) وشرح المفصل لابن يعيش ١١٦/١، والخزانة، الموضع السابق في تخريج الحديث.

(٢) سورة النحل ١٢٠، وقيل في تفسير «أمة» في الآية الكريمة إنه الرجل الجامع للخير، وقيل: معلم الخير. راجع معاني القرآن للفراء ١١٤/٢، وتهذيب اللغة ٦٣٤/١٥، والغريبين ٨٦/١.

ودَوَّمُوا العَمائمَ: إذا لَفُّوها وأداروها حولَ رُءوسِهم.

والصَّماصِمُ: جمع الصِّمْصامة، وهي السَّيفُ القاطِع. ويروى: بالصَّوارِم.

والتَّرَدِّي: جَعْلُ حَمائلها على عَواتِقهم، تشبيهاً بوضع الأَرْدِية.

والغِيلُ: مَوْضِعُ الأَسَد ومَأْواه، وأصله: شجرٌ مُلْتَفٌّ يَسْتَتِر فيه.

واللَّبُؤَة، مهموزة: أنثى الأُسُود.

والمَهُولُ: مفعولٌ من الهَوْل.

ودَلَفَ: إذا سار سَيْراً بين الإسراع والبُطْء، ودَلَفَ: إذا تَقَدَّم.

وحَسَر لِثامَه: إذا كشَفَه عن وجهه. واللِّثام: ما يُستَر به الأنفُ وبعضُ الوَجه.

والمَهْمَه: المَفازة. ويُروى: «فَدْفَداً وقَرْدَداً» وهما قريبٌ من الأول.

والآلُ: السّرابُ، وتكرارُه لاتِّصال بعضِه ببعض.

وطَوَتْ: بمعنى قَطَعتْ

والصَّحاصِحُ: جمع صَحْصَحٍ، وهو المكان المُسْتَوى.

وطُرّاً: أي جميعاً، وهو منصوب على المصدر أو الحال.

والكَلالُ: الإعياءُ والتَّعَب.

واليَهْماءُ: البَرِّيَّة التي لا ماءَ بها ولا نباتَ. ويروى: «دَهْماء» أي سوداء، لا يُهْتَدى فيها لطريق.

والإرقال: السَّيرُ السَّريع.

والقِلاص: جمع قَلُوص، وهي الناقة.

والجِيادُ: الخيل، واحدها جَوادٌ.

وتَجْمَحُ: أي تَمضى على وجهها وَتْغِلب فُرسانَها. وفرسٌ جَمُوحٌ: إذا غَلَب راكِبَه وذَهب على وجهه.

والكُماة: جمع الكَمِيِّ، وقد تقدَّم.

والتَّلأْلُؤ: الإشراق والإنارة.

والبأس: الخوفُ والشِّدَّة.

والعَبُوس: صفةٌ لأصحاب اليوم، أي يومٌ يُعْبَس فيه، فأجراه صِفةً على اليوم، كما يقال: ليلٌ نائمٌ، أي يُنامُ فيه. والعَبُوس: الكَريهُ المَلْقى، الجَهْمُ المُحَيَّا. يقال: عَبَس الرجلُ يَعْبِسُ[1] عُبُوساً، وعَبَّس وجهَه، شُدِّد للمُبالغة.

وأَوْجَلَ: أي أخافَ، من الوَجَل. ويروى: «أَذْهَلَ» من الذُّهُول: الغَفْلَةِ عن الشيء.

وهالَ: من الهَوْل، يقال: هالَهُ يَهُولُه هَوْلاً: إذا أخافَه. وأراد بهذا اليوم يومَ القيامة.

والحَوْبَةُ، بالفتح والضَّمّ: الإِثْمُ.

والرائد: الذي يتقدَّم القومَ ليُبصرَ لهم الماءَ والمَرْعَى.

والغِشُّ: الخيانةُ في القولِ، وضدُّ النُّصحِ، وقد غَشَّهُ يَغُشُّهُ. يعني أَنَّ أمينَ القوم لا يكذبُ من ائتمنهُ، ولا يخونُ نفسَه.

وابن البَتُول: يريد به المسيحَ بن مريم عليه السلام. والبَتُول: المنقطعة عن الأزواج، وأصل البَتْل: القَطْع.

وقوله: «لا أَثَرَ بعد عَيْن[2]» أي لا يُطْلَب أثرُ الشيءِ بعد أن تُرَى عينُه وذاتُه، ولذلك أكَّده بقوله: «ولا شكَّ بعد يقين».

والسِّبْط: واحد الأسباط، وهم في الأصل ولَدُ الوَلَدِ، وهم في بني إسرائيل كالقبائل في العرب.

والكِنُّ: السُّترة، يقال: كَنَنْتُ الشَّيءَ وأكنَنْتُه: إذاسترتَه وصُنْتَه.

والقِفار: جمع قَفْر، وهي البَرِّيَّة التي لا نباتَ بها. والتَّقَفُّر: التَّتَبع، يقال: تقفَّرتُ الشيءَ واقتَفْرتُه: إذا تتبَّعْتَه شيئاً فشيئاً.

وقوله: يَتَحسَّى في تَقَفُّره بيضَ النَّعام» [يعني][3] أنه كان في سِياحته لا يجد طَعاماً، فإذا وجد بيضَ النَّعام تَحسَّاه نِيّاً.

---

(١) بكسر الباء، وفعله من باب ضرب، كما في المصباح.

(٢) جاء في أمثالهم: «تطلب أثراً بعد عين»، و«لا أتبع أثراً بعد عين» و«لا أطلب أثراً بعد عين». انظر مجمع الأمثال ١٢٧/١، ٢١٥/٢، وجمهرة الأمثال ٣٨٩/٢، والمستقصى ٢٤٢/٢.

(٣) تكملة لازمة.

والهَوَامُّ: جمع هامَّةٍ، وهي حَشَراتُ الأرض.

والتَّأَلُّه: التَّعبُّد، يقال: أَلَه، بالفتح إلاهةً، أي عَبَدَ، ومنه قراءة ابن عباس[1]: ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾ أي عِبَادَتَكَ.

والحِقَبُ: السِّنُون، جمع حِقْبة، وهي السَّنَةُ، والحُقْب، بالضم: ثمانون سنة، وقيل: أكثر من ذلك، وجْمُعه حِقابٌ.

والرِّسْل، بالكسر: الهِينَةُ والتأنِّي. يقال: افعَلْ هذا على رِسْلِك، أي على هِينتك.

والأَوْرَق: الأسمر، من الوُرْقةِ: السُّمرةِ، وهو من الإبل: الذي في لونه بياضٌ إلى سواد، وقيل: هو الذي يَضْرِب لونُه إلى الخُضْرة.

والمُونق: المُعْجِبُ من كلِّ شيء، وقد آنَقَني يُؤْنِقُني.

وليلٌ داجٍ: أي مُظْلِم، وقد دَجا الليلُ يَدْجُو: إذا أقبل بظلامِه.

والرِّتاج: الباب، وأَرْتَجْتُ البابَ: إذا أغْلَقْتَه، فهو مُرْتَجٌ. وقيل: الرِّتاج: الباب المُغْلَق.

والجَسِيمُ: التامُّ الجِسم.

وذُؤابة العِمامة: طَرَفُها المُرْخَى، وهي في الأصل: الضَّفِيرة من الشَّعَر.

والمُنِيف: المُشْرِف، وقد أنافَ على الشيء يُنِيفُ: إذا طَلع فوقَه، وأشرفَ عليه.

والأَنُوف، بفتح الهمزة: الكبيرُ الأنفِ، وكنَى به عن الشَّرفِ والمجد، وهم يَكْنُون عن السادة بالأُنوف.

والأَشْدَق: الواسِعُ شِدْقَي الفَم.

والأَجَشُّ: الغَليظ[2] الصَّوتِ.

والمُرْعِب: المُفْزِع المخيف، من الرُّعب: الخوفِ والفزع.

والتَّنائِف: البَرارِي[3]

---

(١) سورة الأعراف ١٢٧، وقرأ بهذه القراءة أيضاً علي بن أبي طالب ومجاهد والضحاك. راجع المحتسب ٢٥٦/١، وتفسير الطبري ٣٨/١٣، والقرطبي ٢٦٢/٧، وانظر الغريبين ٧٣/١.

(٢) في الأصل: «الرفيع الصوت». وهو خطأ. وقد شرح المصنف في النهاية الجشة في الصوت بأنها شدة وغلظ.

(٣) سبق شرحها في حديث جهيش بن أوس النخعي. وفي حديث قس أيضاً.

والحَقائِف: جمع حِقاف، وهي الرِّمال، وقد ذُكِرت[1].

والدَّعادِع: جمع دَعْدَعٍ، وهي الأرض الجرداء من النَّبات.

والزَّعازِع: الشَّدائد، جمع زَعْزَع.

والرَّكْب: الجماعة الرُّكَّاب على الإبل.

والمَقِيل: مَوْضِع القائلة، وهي شِدَّة الحَرِّ.

والسَّبيل: الطَّريق.

والمَوْئِل: الملجأ والموضع الذي يُلْتَجأ إليه.

والمَهُول: المَخُوف.

والطَّوْدُ: الجبلُ العالي.

ورَكِبه الليلُ: إذا أدركه، كأنه تَغَشَّاه من فوقه.

والوُلُوج: الدُّخول.

والذُّعْر: الخوف والفزع.

والحَتْف: الموت.

والرُّكون إلى الشيء: السُّكونُ إليه والميلُ.

ورَقَبْتُ الشيءَ أرْقُبَه رُقُوباً: إذا انتظرتَه وإذا رصدتَه ونظرتَ إليه.

والرُّمُوق: النَّظَر.

والغَيْهَب: الظُّلْمة.

وعَسْعَسَ الليلُ: إذا وَلَّى وأدْبَر إلا أقَلَّه. وعَسْعَسَ الليلُ: إذا أقبلَ، فهو من الأضداد[2]، والأوَّل المُراد.

وتَنفَّس الصُّبْحُ: إذا بدا أوَّلَ طُلُوعه، وهو من أحسن الاستعارات.

وإدخال «أَنْ» في خبر «كاد» ليس بالفصيح، وهو محمول على خبر «عسى»، كما حُمِل خبر

---

(١) في حديث ذي المشعار، مالك بن نمط الهمداني. وفي حديث قس أيضاً.

(٢) راجع شواهده في الأضداد لابن الأنباري ص ٣٤، ولأبي الطيب ص ٤٨٨.

«عسى» على «كاد» في حذف «أن» من خبرها.

والإيضاح: الإظهار، وقد وَضَح[١] الشيءُ وأوضحتُه أنا.

والمَوْرُ: الطَّريق[٢].

والفَنِيق: الفَحْلُ من الإبل.

ويُشَقْشِق هاهنا: بمعنى يُشَقِّق، أي يَشُقُّها ويخرُج من بينها. ويجوز أن يكون من الشِّقْشِقَة التي يخرجها البعيرُ من جَوفه، ويَهْدِر فيها.

والخِطام: الزِّمام الذي يُمْسِكه الرَّاكبُ بيده.

والمَرَح: اللَّعِب والبَطَر.

وهَزَزْتُه: أي رَكضْتُه، وحملتُه على العَدْو.

واللُّغُوب: الإعياءُ والتَّعَب.

والنَّضِرة: الحَسَنةُ الناعمة.

والعَطِرة: الطَّيِّبةُ الرِّيح.

والحَوْذان: قد تقدَّم.

والقُرْيانُ: جمع قَرِيٍّ، بوزن صَبِيٍّ، وهو مَجْرَى الماء في الروض. وقيل: هو ماءٌ كبير في شبه وادٍ صغير.

والعُنْقُزانُ[٣]: أصل القَصَب الغَضّ.

والعَبَيْثَرَانُ[٤]: نَبْتٌ طيِّب الرائحة.

والحَلِيُّ، على فَعِيل: يَبِيسُ النَّصيِّ من الكَلأَ، وجمعه أَحْلِيَةٌ، كرغيف وأرغفة.

والأقاحي والجَثْجاث: قد تقدَّما[٥].

---

(١) بفتح الضاد، وهو من باب وعد، كما في المصباح.

(٢) قال في النهاية: «مار الشيء يمور موراً: إذا جاء وذهب». ثم قال في حديث قس: «المور، بالفتح: الطريق، سمى بالمصدر، لأنه يجاء فيه ويذهب».

(٣) بفتح العين والقاف وبضمهما، ويقال فيه أيضاً: العنقز راجع المعرب للجواليقي ص ٣٥٧، والنبات للأصمعي ص ٣٢.

(٤) ويقال: عبوثران. راجع النبات للأصمعي ص ٢٥، ٧١، وتفتح العين وتضم، كما في النهاية.

(٥) في هذا الحديث.

والشَّقائق والبَهارُ: من أزهار الصحراء، معروفان. ويجوز أن تكون الشقائق جمع شَقِيقةٍ، وهي الرَّمْلَة.

والمُزْنُ: السَّحاب، جمع مُزْنَةٍ.

والبُكور: مصدر بَكَرْتُ أَبْكُرُ[1]: إذا خرجْتَ بُكْرَةً، وهي أوّلُ النَّهار.

وخِلالُ الشيء: وسَطُه.

والرَّتْع: الرَّعْي والتَّردُّد في المَرْعَى.

والضَّبُّ: الحَيَوانُ المعروفُ.

والنَّهَلُ: الشُّربُ والرِّيُّ. والعَلُّ: الشُّرْب بعدَ الشُّرب.

والعِقالُ: الحُبَيْل الذي يُشَدُّ به رُكْبَةُ البَعير لئلّا يَشْرُدَ.

والمَجالُ: موضع الجَوَلان والعَدْو.

والفَسِيح: الواسع، وأضاف العَرْضَ إليه، من إضافة الموصوف إلى الصفة.

والمُونقة: المُعْجِبة.

والتَّهدُّل: الاسترخاء.

والبَرير: قد تقدَّم[2].

والمَلْحُود: الموضوع في لَحْد القَبْر.

والجَدَث: القَبْر.

والبَزُّ والبِزَّة: اللِّباس، ويريد به الأكفان.

والفَرَق: الفَزَع.

والمُنْهَجُ: البالي، يقال: نَهِجَ الثَّوبُ[3] وأَنْهَجَ: إذا بَلِيَ، وأَنْهَجه البِلَى: إذا أَخْلَقَه.

---

(١) بضم الكاف، وهو من باب قعد، كما في المصباح.

(٢) في هذا الحديث، وسبق أيضاً في حديث طهفة.

(٣) والجسم أيضاً، كما في النهاية.

حَدِيثُ سَطِيحٍ الكَاهِنْ

لما كان ليلةَ وُلد فيها رسول الله ﷺ ارْتَجس إيوانُ كِسْرَى، فسقطت منه أربعَ عشرةَ شُرْفَةً، وخَمَدتْ نارُ فارس ولم تَخْمُد قبل ذلك بألف عام، وغاضَتْ بُحيرة ساوَةَ، ورأى المُوبذانُ كأنَّ إبلاً صِعاباً تقودُ خَيْلاً عِراباً، حتى عَبرتْ[١] دِجْلَةَ، وانتشرت في بلاد فارسَ، فتجلَّد كِسْرى، وجلس على سريره، ولبس تاجه، وأرسل إلى المُوبذان، فقال له: إنه سقط من إيوانى أربعَ عشرةَ شُرْفَةً، وخَمَدتْ نارُ فارسَ ولم تَخْمُد قبل اليوم بألف عام.

قال: وأنا أيها الملِك قد رأيت كأنَّ إبلاً صِعاباً تَقُودُ خَيْلاً عِراباً، حتى عَبرتْ دِجْلةَ، وانتشرت في بلاد فارس.

قال: فما ترى في ذلك يا مُوبذانُ- وكان رأْسَهم في العِلم؟

فقال: حَدَثٌ يكونُ مِن قِبَل العَرَب.

فكتب حينئذ كتاباً: مِن كِسْرى ملكِ الملوك إلى النُّعمان بن المنذر- وكان يومئذ ملِكَ العرب- أن ابعَثْ إليَّ رجُلاً من العرب يُخبرني بما أسأله عنه.

فبعث إليه عبدَ المسيح بن حَيَّان[٢] بن بُقَيْلَة الغَسَّانيّ.

فقال له: يا عَبْدَ المَسِيح، هل عندك عِلْمٌ بما أُريد أن أسألَك عنه؟

قال: يسألني الملِكُ، فإن كان عندي منه عِلمٌ أعلمتُه، وإلا أعلمتُه بمَن عِلمُه عنده. فأخبره كِسْرى به. فقال: عِلمُه عند خالٍ لي يسكن مَشارِفَ الشَّام، يقال له: سَطِيحٌ.

قال: فاذهب إليه فسَلْه، فأخبرْني بما يُخبرك به.

---

(١) بحاشية الأصل: قطعت.

(٢) بحاشية الأصل: «عمرو». وكذا جاء في بعض الكتب التي ذكرت هذا الحديث، وفي بعضها الاخر: «عبد المسيح بن عمرو بن حيان». وانظر حواشي جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٣٧٤، والاشتقاق ص ٤٨٥.

فخرج عبد المسيح، حتى قدم على سَطِيح وهو مشرفٌ على الموت. قال: فسلَّم عليه وحَيَّاه، فلم يُجبْه سَطِيحٌ، ولم يُحِرْ جواباً، فأنشأ عبد المسيح يقول:

أَصَمَّ أم يَسْمَعُ غِطْرِيفُ اليَمَنْ
أمْ فادَ فازْلَمَّ به شَأْوُ العَنَنْ
يا فاصِلَ الخُطَّةِ أعْيَتْ مَنْ ومَنْ
وكاشِفَ الكُرْبَةِ في الوَجْهِ الغَضِنْ
أتاكَ شيخُ الحَيِّ مِن آلِ سَنَنْ
وأُمُّه مِن آلِ ذِئبِ ابنِ حَجَنْ
أبيضُ فَضْفاضُ الرِّداءِ والبَدَنْ
رسولُ قَيْلِ العُجْمِ كِسْرَى(١) للوَسَنْ
لا يَرْهَبُ الدَّهرَ ولا ريبَ الزَّمَنْ
يجُوبُ بي الأرضَ عَلَنْداةٌ شُزُنْ
يَرْفَعُني وُجْنٌ ويَهْوي بي وُجُنْ
حتى أَتَى عاري الجآجِئِ والقَطَنْ
تَلُفُّه في الرِّيحِ بَوْغاءُ الدِّمَنْ
أزْرَقُ مُهْمَى(٢) النَّابِ صَرَّارُ الأُذُنْ
كأنَّما حُثْحِثَ مِنْ حِضْنَيْ ثَكَنْ

فلما سمع شِعْرَه رفع رأسَه إليه، فقال: عبدُ المسيحْ، على جَملٍ مُشِيحْ، من بَلَدٍ نَزِيحْ، جاء إلى سَطِيحْ وقد أوْفَى على الضَّريحْ. بَعَثَكَ مَلِكُ بني ساسان، لارتجاس الإيوان، وخُمودِ النِّيران، ورُؤْيا المُوبِذان. رأى إبلاً صِعاباً، تقود خيلاً عِرابا، قد قَطَعتْ دِجلةَ وانتشرت في بلاد فارس. يا عبد المسيح، إذا ظهرت التِّلاوَة، وغارَتْ بُحَيْرة ساوَة، وفاضَ وادي السَّماوَة، وخرَج صاحبُ الهِراوة، فليست الشامُ لِسَطِيحٍ شاما. يملِكُ منهم ملوكٌ ومَلِكات، على عَدَد الشُّرُفات، ثم تكون هَناتٌ وهَنات، وكلُّ ما هو آتٍ آت.

ثم قضَى سَطِيحٌ مكانَه، ونَهض عبد المسيح إلى رَحْله وهو يقول:

---

(١) بحاشية الأصل: «يسري»، وتأتي هذه الرواية في الشرح.
(٢) هكذا في الأصل: «مهمى» بالهاء بين الميمين، وسيردّ المصنف هذه الرواية في الشرح.

شَمِّرْ فإنك ماضي الهمِّ[1] شِمِّيرُ ... لا يُفْزِعَنَّك تَشْرِيدٌ وتَغْيِيرُ[2]
إن يُمْسِ مُلْكُ بني ساسانَ أَفْرَطَهُمْ ... فإن ذا الدَّهْرَ أطْوارٌ دَهارِيرُ
فرُبَّما رُبَّما أضْحَوْا بمَنْزِلَةٍ ... تَهابُ صَوْلَهُم الأُسْدُ المَهاصِيرُ
منهم أخو الصَّرْحِ بَهْرامٌ وإخوتُه ... والهُرْمُزانُ وسابُورٌ وسابُورُ
والناسُ أولادُ عَلَّاتٍ فمَنْ عَلِمُوا ... أن قد أَقَلَّ فَمَحْقُورٌ ومَهْجُورُ
وهم بَنُو الأُمِّ إمَّا إنْ رأَوْا نَشَباً ... فذاك بالغَيْبِ محْفوظٌ ومَنْصورُ
والخيرُ والشَّرُّ مَجْموعانِ في قَرَنٍ ... فالخير مُتَّبَعٌ والشَّرُّ مَحْذورُ

فلما قدم عبدُ المسيح على كِسْرَى أخبره بقول سَطِيح، فقال كسرى: إلى أن يملِكَ منا أربعةَ عشَرَ ملكاً تكون أمورٌ!

قال: فملك منهم عشرةٌ في أربع سِنين، ومَلك الباقون إلى خلافِه عُثمانَ بنِ عَفَّان، رحمة الله عليه.

*

* *

حديث سَطِيحٍ هذا مشهورٌ بين الرُّواة، مذكورٌ في دلائل النُّبوة[3]. قال أبو موسى: لا يُعَرف إلّا من حديث عليِّ بن حَرْب الطائيِّ، وقد رُوي عنه من غير وَجْهٍ، عن يَعْلَى بن النُّعمان البَجَليِّ[4]، أو يَعْلَى بن عِمران، عن مخزوم بن هانىء المخزوميّ، عن أبيه هانىءٍ. وكانت له عشرون ومائة سنة، أو خمسون ومائة سنة.

وأخرجه الخَطَّابيّ عن محمد بن الحسين بن إبراهيم، بإسناده عن يَعْلَى بن عِمران البَجَليّ. وأخرجه الزمخشريُّ[5] أخصَرَ من هذا.

(١) بحاشية الأصل: العزم.

(٢) بحاشية الأصل: تفريق وتغيير.

(٣) راجع دلائل النبوة لأبي نعيم ١/١٧٤- ١٧٧، ودلائل النبوة للبيهقي ١/٦٧- ٧٢، وانظر حديث سطيح أيضاً في: تاريخ الطبري ٢/١٦٦- ١٦٨، والسيرة النبوية لابن هشام ١/١٥، والروض الأنف ١/١٩، والسيرة النبوية لابن كثير ١/٢١٥- ٢١٨، والعقد الفريد ٢/٢٨، ٣٠، وتهذيب اللغة ٤/٢٧٦- وقال الأزهري- «وهذا الخبر فيه ذكر آية من آيات نبوة محمد ﷺ قبل مبعثه، وهو حديث حسن غريب»- والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١/٩٧- ١٠٠، والاكتفا للكلاعي ١/١٢٠- ١٢٢، ومعجم البلدان ٣/٢٠، في رسم (ثكن)، ولسان العرب (سطح)، والخصائص الكبرى للسيوطي ١/١٢٧- ١٢٩، وعيون الأثر ١/٢٨.

(٤) من ولد جرير بن عبد الله البجلى، الصحابي الجليل الذي تقدم حديثه.

(٥) الفائق ٢/٣٨- ٤٢.

شرحه

سَطِيحٌ: اسمه ربيع بن ربيعة، من بني ذُؤَيب[١]، وهم بَطْنٌ من بني مازِن بن الأَزْد، الغَسَّانيّ، وسُمِّيَ سَطِيحاً لأنه كان لا عَظْمَ فيه، والسَّطِيح: المُسْتَلْقي على قَفاه من الزَّمانة.

والكاهن: هو الذي يَتَعاطَى الخبرَ عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويَدَّعي معرفةَ الأسرار، وقد كَهَنَ يكْهُن[٢] كِهانةً، بالكسر: إذا تكهَّن، فإذا[٣] أردتَ أنه صار كاهِناً قلت: كَهُنَ، بالضمّ، كَهانةً، بالفتح. وجمعُ الكاهن: كَهَنةٌ وكُهَّانٌ، وقد كان في العرب كَهَنةٌ، منهم شِقٌّ وسَطِيح، فمنهم من كان يَزْعُم أنه له تابعاً من الجنّ وَرئيّاً يُلْقِي إليه الأخبارَ، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدِّماتِ أسبابٍ يستدلّ بها على مواقعها مِن كلام مَن يسأله، أو فعلِه أو حالِه، وهذا يخصُّونه باسم العَرَّاف، وهو الذي يدَّعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالَّة ونحوهما. وأصل الكهانة: المعرفة والفِطنة بدقائق الأمور وغوامِضها.

والارتجاس: الاضطراب والحركة المُزْعجة، ورَجَست السماء تَرْجُس وارتَجَسَت: إذا رَعَدتْ. والرَّجْس، بالفتح: الصوت الشَّديد.

والإيوان: البناء المعروف من مساكن الدُّور، كالصُّفَّة العظيمة، وهي كلمة فارسّية، كان يجلس فيه الملك لدخول الناس عليه، وتُكْسَر همزتُه وتُفتح، وقد تُحذف منه الياء[٤].

وكِسْرَى لقَب كلِّ من يملك من ملوك الفرس، وتُفتح كافه وتُكسر[٥]، وهو مُعرَّب خُسْرُو، وجمعه أكاسِرة، على غير قياس.

وكان الملكُ يومئذٍ كسرى أنُو شَرْوان بن قُباذ.

(١) في جمهرة الأنساب ص ٣٧٥: الذئب.

(٢) بضم الهاء في المضارع، وهو من باب قتل، كما في المصباح.

(٣) عبارة المصباح: فإذا صارت الكهانة له طبيعة وغريزة.

(٤) وحينئذ تخفف الواو، كما نص الجواليقي في المعرب ص ٦٧، وضبطت في الفائق بالتشديد، ضبط قلم.

(٥) قال ابن الشجري: «وروى الكوفيون: كسرى، بكسر الكاف، ورواه البصريون بفتحها، إلا أبا عمرو بن العلاء، وجمعته العرب جمعين على غير القياس، وهما الأكاسرة والكسور، وذلك أن حد الأفاعلة أن يكون جمعا لإفعال ونحوه، كإسكاف وأساكفة، وأما الكسور، فكأنهم جمعوه عليه بتقدير طرح ألفه، فهو كجذع وجذوع، في قول من كسر أوله، ودرب ودروب، في قول من فتحه». أمالي ابن الشجري ٩٥/١.

هذا وقد ذكر الجواليقي في المعرب ص ٣٣٠ أن الأفصح كسر الكاف.

وأورد صاحب اللسان، مادة (كسر) جمعا ثالثاً على غير القياس، وهو «كساسرة». ثم أفاد أن قياسه «كِسْرَوْن» بفتح الراء، مثل عِيسَوْن ومُوسَوْن .

والشُّرفَة: ما يُشَرَّف به أعلا القَصْر، ويُبْنَى على رأس جداره مُتَفرقاً كالأسنان الخارجة، وجمعُها شُرَفٌ وشُرُفات.

وخَمَدت النارُ تَخْمُد[١]: إذا طَفِئَتْ أو كادَت. ونارُ فارسَ هي التي يعبدها المجوسُ، وتكون في بيوت عباداتهم لا تُطْفأُ ليلاً ولا نهاراً.

والفُرْس: الجيل المعروف من الناس. وبلاد فارسَ: اسمٌ للصُّقْع المعروفِ من الأرض.

وفي إضافة النار إليه خاصّةً[٢]، لأن معظم بيوت عباداتهم كانت به.

والبُحَيْرة: تصغير بَحْرةٍ في الأصل، من البَحْر، كالشَّحْمة والشَّهْدة، من الشَّحم والشَّهد[٣].

والمُوبذانُ للمجوس: كقاضي القُضاةِ للمسلمين. والمُوبِذُ: القاضي.

والصِّعاب: الإبل الشِّداد التي لا تُطيع راكبَها، واحدها: صَعْبٌ.

والعِراب: الخيلُ العربيَّةُ، ولا واحدَ لها من لفظها، كأنهم فرَّقوا بين الأناسيّ والخيل، فقالوا في الناس: عَرَبٌ وأعرابٌ، وفي الخيل: عِرابٌ، كما قالوا فيهم: عُراةٌ، وفيها: أعراءٌ.

والتَّجَلُّد: تكلُّف الجَلادة والجَلَد، وهي الصَّلابة والشِّدَّة.

والتاج: حَلْيٌ من ذهبٍ مُرصَّع بالجوهر يُلبَس على الرأس.

والحَدَثُ: الأمر الحادثُ الفَظِيع.

والغَسَّانيّ: منسوبٌ إلى غَسَّانَ، وهو لقبُ مازن بن الأزد بن الغَوْث. وغَسَّانُ: ماءٌ باليمن، نَزلوا عليه، فنُسِبوا إليه، وغَلَب عليهم.

وحَيَّانُ، بالياء تحتها نقطتان.

وبُقَيْلَة[٤]: تصغير بَقْلَة، بالباء المُوحَّدة والقاف.

ومَشارِفُ الشام: أعاليها، جَمْع مَشْرَفٍ.

---

(١) بضم الميم، وفعله من باب قعد، كما في المصباح.

(٢) هكذا في الأصل. وكأن في الكلام سقطا.

(٣) وهي الطائفة والقطعة. قاله الزمخشري، والشرح كله له.

(٤) اسمه ثعلبة، أو الحارث، قالوا: سمي بقيلة لأنه خرج في بردين أخضرين فقيل له: يا حارث ما أنت إلا بقيلة خضراء، فغلبت عليه» انظر الاشتقاق ص ٤٨٥ حاشية (٣).

والمَشْرَفِيَّة: سُيوفٌ نُسِبت إلى مَشْرَفٍ، واحدِ مشارِف، وهي قُرىً من أرض العرب تدنو من الرِّيف. ولم يقل: مشارِفيَّة؛ لأن الجمع لا يُنسَب إليه.

والإشراف على الشيء: الدُّنُوّ منه والاطِّلاع عليه.

ويروى: «وهو مُشْفٍ على الموت» بمعنى أشرفَ، يقال: أشْفَى على الشيء يُشْفي: إذا أشرف عليه، وقَرُبَ منه، وهو من أفعلَ الذي بمعنى صارَ هذا كهذا، لأن من كان على حالةٍ ثم أشرفَ على ما يُنافيها فقد بلغ شَفا تلك الحالة، أي طَرَفها ومُنْتهاها، فكأنه صار ذا شَفاً، لبلوغه إيَّاه بعد أن كان ذا وَسَطٍ، لتمكُّنِه وبُعدِه من النِّهاية.

ولم يُحِرْ جَواباً: أي لم يَرُدَّ عليه، وأحارَ: منقولٌ مِن حارَ: إذا رجع، ومنه المحاورة، وهي مراجعة القول.

والأَصَمُّ: الذي لا يَسمع لآفةٍ في سمعه.

والغِطْريف: السَّيِّد، وقد تَغَطْرَف: إذا تَسوَّد وتكبَّر. قيل: أصله من الغِطْريف: فَرْخ البازي.

وفادَ يَفُودُ ويَفِيد: إذا مات. قال[1]:

رَعَى خَرَزاتِ المُلْكِ سِتِّين حجَّةً ... وسِتِّين حتى فادَ والشَّيْبُ شامِلُ

ويروى: «فازَ» بالزاي بمعناه، تقول: فاز يَفُوز: إذا هلَك، وفَوَّز: إذا مات، وهو من الأضداد[2].

وازْلَمَّ: محذوف، من ازْلَأَمَّ بالهمز، وازْلامَّ بالمد: إذا ولَّى مُسرِعاً، وإذا ارتفع وانتصب، نحو احْمَرَّ من احْمارَّ، واصْفَرَّ من اصْفارَّ.

والشَّأْوُ: الغاية والسَّبْق.

والعَنَنُ: مِن عَنَّ لي كذا: أي عَرَضَ، ويريد به هاهنا الموت.

ومعنى «ازْلَمّ به شأوُ العَنَن»: ذهب به غايةُ الموت وسَبْقُه ذهاباً سريعاً.

والفاصِلُ: الحاكم المبيِّن.

---

(١) لبيد، والبيت في ديوانه ص ٢٦٦، وتخريجه في ٣٩٠، ورواية الديوان: «عِشرين حجة وعشرين». والشاعر يرثي النعمان بن المنذر.

(٢) راجع الأضداد لابن الأنباري ص ٤٠٥، ولأبي الطيب ص ٥٥٧، وأنشدا شعر لبيد.

والخُطَّة: الحالة والقَضيَّة.

والإعياء: العَجْز والقُصور.

وقوله: «أعْيَتْ مَنْ ومَنْ» أي إن هذه الخُطَّة لصُعوبتها أعْجزَتْ كلَّ من جَلَّ قَدْرُه في عِلمه وحِكمته، فحذف الصِّلَةَ التي لِمَنْ ومَنْ، كما حُذفت في قولهم: «بَعْدَ اللَّتيَّا والتَّي[1] إيذاناً بأن ذلك مما تَقْصُر العبارةُ عنه لِعظَمه.

والوَجْه الغَضِن: الذي فيه تكَسُّرٌ وتجَعُّد، من شِدَّة اهتمامِه بالكَرْب الذي أصابه. وغُضُون الجِلد: مَكاسِرُه ومَعاطِفُه.

وآلُ سَنَن[2].

والفَضْفاض: الواسع.

والرِّداء: الثوب الذي يوضَع على الأكتاف.

والبَدَن من الجسد: ما سوى الرأس والأطراف، ومن الدُّروع: ما وارَى البَدَن. والمراد هاهنا: رُحْبُ الذِّراع وسَعَةُ الصَّدْر، لأنه إذا وصَفَ بالسَّعةِ ما يَنعطِف على ذِراعيه ويشتمل على صدره من بدَنه أو دِرعه، فقد رحَّب ذِراعَه ووسَّع صدْرَه.

والقَيْلُ[3]: المَلِك.

والوَسَن: النَّوم، وأراد به رؤْيا المُوبِذان.

ويروى: «يَسْري للوَسَن» من السُّرَى: سَيْر الليل.

---

(١) راجع الكتاب ٣٤٧/٢، ٤٨٨/٣، والمقتضب ٢٨٩/٢، وأمالي ابن الشجري ٢٤/١، والخزانة ٥٥٩/٢، وتأتي هذه العبارة في رجز للعجاج. راجع ديوانه ص ٢٧٤.

(٢) بياض بالأصل. وفي الاشتقاق ص ٤٨٤، ٤٨٥، ذكر من إياد: بني سُبَيْن، قال: «وهم بالحيرة، منهم بقيلة، صاحب القصر الذي يقال له: قصر بني بقيلة بالحيرة، منهم عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة» وفي هامشه حاشية من حواشي نسخة الاشتقاق، منقولة عن معجم الشعراء للمرزباني- وهي من النصوص التي فقدت من أصل المعجم، كما ذكر محقق الاشتقاق- ونص هذه الحاشية: «عبد المسيح بن بقيلة الغساني، وهو عبد المسيح ابن بقيلة، اسمه ثعلبة بن سنين، ويقال: الحارث. . . .».

فهل سنين هذا هو المراد بقوله: «من آل سنن» وأنه إنما غيَّره للوزن، كما يفعلون بالأعلام أحياناً؟ أو أنه «من ال سبن» الذين هم بنو سبين، على ما ذكر ابن دريد؟

وقد نبهني إلى هذا أخي الكريم الأستاذ المحقق مصطفى حجازي، فله خالص الشكر والدعاء.

(٣) تقدم الكلام فيه مفصلاً في حديث وائل بن حجر الحضرمي.

والرَّهْبة: الخَوْف.

ورَيْبُ الزَّمَن: حوادثه، وأصل الرَّيب: الشَّكّ والتُّهمة.

والجَوْب: القَطْع، وجابَ الأرضَ يَجُوبُها: إذا سار فيها وقطعها.

والعَلَنْداة: الناقة الصُّلبة، والعَلَنْدَى: الصُّلْب الشَّديد، والألف والنون زائدنان، وقيل: إن التاء للمبالغة لا للتأنيث، لأنه يريد الجملَ لا الناقةَ، لأن ما بعده مُذكَّر.

والشَّزَن بفتح الشين والزاي وبضمهما: الشدّة والغِلظة، وقيل: هو بالفتح: الغِلظة، وبالضم: الجانِبُ والناحية. والشَّزَن بالفتح أيضاً: النَّشاط. أي يمشي في شِقٍّ وجانبٍ من نشاطه.

وجاء في رواية: «عَلَنْدىً ذو شَزَن» وأراد به الإعياءَ من الحَفا. يقال: شَزِنَ البعيرُ شَزَناً فهو شَزِنٌ.

ويروى: «عَلَنْداةٌ شَجَن» بالجيم، والشَّجَنُ: الناقة المُداخَلَةُ الخَلْق، كأنها شجرةٌ مُتَشَجِّنة، أي متَّصلة الأغصان.

والوُجُن، بضمتين: جمع وَجِينٍ، وهو المنقاد من الأرض في غِلَظٍ، وتُخفَّف الجيم فتُسكَّن.

وهَوَى يَهْوي: إذا انحطَّ من عُلْوٍ.

ويروى: * تَرْفَعُني وَجْناءُ تَهْوي مِن وُجُنْ *

فالوَجْناء: الناقةُ القويَّة الصُّلبة. والوُجُن: صِفةٌ للأرض. أي لم يزل هذا البعيرُ أو هذه الناقة الذي هذا صِفتُه يرفعني مرَّةً في هذه الأرض التي بهذه الصفة، ويخفضني أخرى.

والجَآجِىء: جمع جُؤْجؤ، وهو الصَّدْر.

والقطنُ: ما بين الوركين من أسفل الظهر.

والعاري: الذي ذهب لحمُه وشحمه، فكأنه عَرِيَ منه. يعني أن سُرعةَ السَّير قد هَزَله وأذهب سِمَنَه.

وهذا البيت يشهد لتذكير العَلَنْداة، لأنه قال: «أتى عاري» ولو أراد الناقةَ لقال: «أَتَتْ عارية» ويجوز أن يكون أراد نفسَه لا الناقةَ.

وسكَّن ياء «عارِي» وأصلها الفتح على الحال لضرورة الشِّعر، وإن جعلتَه فاعل «أتى» زالت الضرورة.

والبَوْغاء: دُقاقُ التُّراب الطائرُ في الهواء. وارتفعت بَوْغاءُ الطِّيب: إذا سطعَتْ رائحتُه.

والدِّمَن: جمع دِمْنَةٍ، وهي آثار الناس وما سوَّدُوا من الأرض، وأصلها من التَّدمُّن: التَّجمع.

وهذا البيت من المقلوب[1]، أراد: تَلُفُّه الرِّيحُ ببوغاء الدِّمَن. ويُروى:

* تَلُوحُه في اللُّوح بَوْغاءُ الدِّمَنْ *

يقال: لاحَه يَلُوحُه، ولَوَّحه: إذا غَيَّر لونَه، ومنه قولهم: لوَّحَتْه النارُ والشَّمسُ. واللُّوح، بالضم: الهواءُ والفضاءُ ما بين السماء والأرض. يريد أن الهواء والتُّراب غيَّرا لونَه.

والأزرق: أراد به النَّمِر، وهم أبداً يصفونه بالزُّرقة، لزُرقة عينه.

والمُمْهى: المُحَدَّد، يقال: أمْهَيْتُ الحديدةَ: إذا أحْدَدْتَها وإذا سقيتَها ماءً.

ورواه الزمخشريّ[2]: «مُهْمَى الناب» وقال: هو مقلوبٌ من المُمْهَى: المُحَدَّد، والظاهر والله أعلم أنه تصحيفٌ قد وقع إليه كذا، فاحتال لتأويله وَجْهاً.

والمشهور في الرواية: «أزرقُ مَهْمُ الناب» وفُسِّر أنه الحَديدُ الناب. قال الأزهري[3]: هكذا رُوي هذا الحرف، وأظنه «مَهْوُ الناب»، بالواو، يقال: سَيْفٌ مَهْوٌ: أي حَديدٌ ماضٍ.

والصَّرَّارُ[4] الأُذُن: الذي نَصَب أُذُنَه وسَوَّاها.

وحُثْحِثَ: أي حُثَّ واستُعْجل، يقال: حَثَّه على السَّير[5] يَحُثُّه وحَثْحَثه، ثم بُني

---

(١) عبارة المصنف في ترجمة (بوغ) من النهاية: وهذا اللفظ كأنه من المقلوب، تقديره: تلفه الريح في بوغاء الدمن، ويشهد له الرواية الأخرى:

تلفه الريح ببوغاء الدمن

(٢) الذي في الفائق المطبوع: «ممهى» وقال الزمخشري: «وهو من المهى، مقلوب». وكذا حكاه المصنف عنه، في النهاية (مهم).

(٣) لم أجد هذا الكلام في تهذيب اللغة للأزهري، في كل مظانه، واعتماداً على الفهارس التي صنعها له شيخنا عبد السلام هارون، ولعل الأزهري قد أورد هذا الكلام في كتابه «تفسير شواهد غريب الحديث» فقد ذكر له ياقوت كتاباً بهذا العنوان. راجع معجم الأدباء ١٦٥/١٧.

ويبقى أن أشير إلى أن ابن الأثير قد حكى كلام الأزهري هذا عن الهروي. فقد نقل الهروي هذا الكلام عن الأزهري، في الغريبين (مهم).

وقال الزمخشري في الفائق: ورواه المحدثون: «مهم الناب» بميمين، وقد لحنوا. وقيل: الصواب: «مهو الناب» وهو في معنى الممهى، شبه جمله في سرعة سيره بنمر هيج من جانبي هذا الجبل.

(٤) يقال: صرّ أذنه وصرَّرها، وإنما تفعل الخيل ذلك إذا جدت في سيرها.

(٥) في النهاية واللسان: الشيء.

لما لم يُسَمَّ فاعِلُه، ويقال: حَثَّ البعيرُ والفرسُ وحَثْحَثا: إذا أسرعا، فيكون قاصِراً[1]، والأول مُتعدِّياً.

والحِضْنُ: الجَنْبُ.

وثَكَن: اسمُ جبلٍ حجازيٍّ. ومعني البيت أنه من كثرة التُّراب والغُبار الذي أصاب جَملَه في سرعة سيره، كأنه نَمِرٌ هُيِّجَ وأُعْجِل من جانبي هذا الجبل.

والمُشِيح: الجادُّ في السَّير وغيرِه.

والنَّزِيح: البعيدُ، كالنازِح.

ويروى: «على جَملٍ طَلِيح» أي مُعْيٍ، وقد طَلَح البعيرُ، وأطلَحْتُه أنا.

وأوْفَى على الشيء: إذا أشرَفَ عليه.

والضَّريح: القَبْر.

وبَنُو ساسانَ: الفُرْس، وهو أبوهم الأكبر، وملوكهم من أولاده.

والتِّلاوة: القِراءة. يريد قراءةَ القرآن.

وفاضَ الوادي والإناء: إذا امتلأ وسالَ.

والسَّماوة: البَرِّيَّة بين دِمَشْقَ والعراق.

والهِراوةُ: القضيب، يعني النبيَّ ﷺ، لأنه كان يُمسك القضيب بيده كثيراً، وكان يُمْشَى بالعَصا بين يديه، وتُغْرَز له فيُصَلِّي إليها.

وغارَ الماءُ: إذا غاصَ في الأرض وذهب بالكُلِّيّة. ويروى: «غاضَتْ» بمعناه.

وقوله: «فليست الشامُ لسطيحٍ شاما» يعني أنه يكون قد مات، ولم يبق بالشام. وفي رواية: «فليست الشامُ بالشام» أي يتنكَّر حالُها بعد ظُهور النبيِّ ﷺ، ويُتبدَّل بملوكها.

وهَناتٌ: جمع هَنَةٍ، وهي الشَّدائد والأمورُ العِظام.

وقَضَى الرجلُ يَقْضي: إذا مات.

(١) أي لازما. وسبق مثل هذا التعبير في حديث جهيش بن أوس النخعي.

والرَّحل: الكُورُ، وهو سَرْجُ الناقة.

والتَّشْمير والتَّشَمُّر: التَّأهُّب والاستعداد والجِدُّ في الأمور. والشِّمِّير بوزن القِنْدِيل: من أبنية المبالغة.

والإفزاع: من الفَزَع: الخوفِ.

والتَّشْريد: التَّنْفير والحَمْل على التَّفَرُّق.

والتَّغْرير: الوقوع في الغَرَر، وهو الجَهْل والخَطَر.

وأفْرَطَهُم: من أفرطَ الرجلُ القومَ: أي تقدَّمهم وتركهم وراءَه. يريد زوالَ المُلْكِ عنهم.

وقوله: «ذا الدَّهرَ» نصب على عطف البيان مِن «ذا» التي هي اسم «إن».

والأطوار: الحالات، واحدها: طَوْرٌ.

والدَّهارير: تصاريف الدَّهْر ونَوائبه، مشتقٌّ من لفظ الدهر، وليس له واحدٌ من لفظه، يقال: دهرٌ دهاريرُ [أي شديدٌ، كقولهم: ليلةٌ ليلاءُ ويومٌ أيْوَمُ][1].

وقوله: «فرُبَّما رُبَّما» مكرَّرة لكثرة حصول هذا الفعل منهم. و«رُبَّ» وإن كانت للتقليل في أصل الوضع، فقد تستعمل للتكثير[2] كقوله تعالى[3]: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، وإدخال «ما» عليها ليصحَّ وقوعُ الفعل بعدها، فإنها حرف جرّ، وهي من خواصّ الأسماء.

والصَّوْلُ والصَّولَة: الحملة والشِّدَّة والأَخْذُ القويُّ.

---

(١) ما بين الحاصرتين بياض في الأصل، وقد استكملته من النهاية، وقد حكاه المصنف هناك عن الجوهري، وهو في الصحاح (دهر).

(٢) قال القرطبي في تفسيره ١٠/١: وأصلها أن تستعمل في القليل، وقد تستعمل في الكثير، أي يود الكفار في أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين. قاله الكوفيون، ومنه قول الشاعر:

ألا ربما أهدت لك العين نظرة ... قصاراك منها أنها عنك لا تجدي

وقال بعضهم: هي للتقليل في هذا الموضع، لأنهم قالوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها، لشغلهم بالعذاب. والله أعلم.
وقال ابن هشام: وليس معناها التقليل دائماً، خلافاً للأكثرين، ولا التكثير دائماً، خلافاً لابن درستويه وجماعة، بل ترد للتكثير كثيراً، وللتقليل قليلاً. المغني ص ١٤٣.

(٣) الآية الثانية من سورة الحجر، وقد ضبطت باء «ربما» في الأصل بالتشديد، وهي قراءة غير عاصم ونافع من القراء. راجع السبعة لابن مجاهد ص ٣٦٦، والموضع السابق من تفسير القرطبي.

والمَهاصِيرُ: جمع مِهْصارٍ، والهَصْر: أن تُميلَ الشيءَ إليك وتكسِرَه. أي إنها تَكْسِرُ كلَّ ما ظَفِرت به.

والصَّرْح: القَصْر وكلُّ بناءٍ عالٍ.

وبَهْرام، والهُرْمُزان، وسابُور، وسابُور: من أسماء ملوكهم.

وأولاد العَلَّات: الإخوة لأَبٍ واحدٍ وأُمَّهاتٍ شَتَّى.

وأقلَّ الرجلُ فهو مُقِلٌّ: إذا افتقر وقَلَّ ما بيده.

والمحقُور: المُهانُ المُطَّرح.

والمهجُور: المُبْعَد المتروك.

وقوله: «وهم بنو الأُمّ» يريد بني الأُمِّ الواحدة.

والنَّشَبُ: المال.

يريد أن الناس إخوانٌ من حيث الانتساب إلى آدمَ، لكنْ طِباعُهم وأهواؤهم وأغراضهم مختلفة، فإذا رأوا من الإنسان غِنىً ومالاً كانوا كبنى الأم الواحدة، يعطِف بعضهم على بعض؛ لأن بني الأُمّ الواحدة يتعاطفون ويتحابُّون أكثر من أولاد الأمهات الشَّتَّى، لأن الأمّ أعطفُ على الأولاد من الأب، وهم إذا رأوا فقيراً هجروه وحَقَرُوه، وصاروا معه بمنزلة أولاد الأب بعضهم مع بعض.

وإمّا في قوله: «إمّا إن رأوا» زائدةٌ، تقديره: وهم بنو[1] الأُمّ إن رأوا. ويروى: «لَمَّا أن رأوا» بفتح «أن».

والقَرَنُ: الحَبْل يُشَدُّ به البعيران معاً.

(١) في الأصل: بنى.

حَدِيثُ أُمِّ مَعْبَد الخُزاعيَّة

أنّ النبيّ ﷺ لمّا خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة، خرج هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامرُ بن فُهَيْرة، ودليلُهم اللَّيثيُّ عبدُ الله بنُ أُرَيْقِط رضى الله عنهم، مَرُّوا على خَيْمتي أمّ مَعْبَدٍ الخُزاعيّة، وكانت بَرْزَةً جَلْدةً، تَحْتَبي بفِناء القُبَّة[1]، ثم تَسْقي وتُطْعِم، فسألوها لَحْماً وتَمْراً ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكان القوم مُرْمِلين مُسْنِتِين[2]، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاةٍ في كِسْر الخَيْمة، فقال: ما هذه الشاةُ يا أم مَعْبَد؟ قالت: شاةٌ خَلَّفها الجَهْدُ عن الغَنم، قال: فهل بها مِن لَبَن؟ قالت: هي أَجْهَدُ من ذلك. قال: أَتأْذَنِينَ أن أَحْلُبها؟ قالت: بأبي أنت وأُمّي! إن رأيت بها حَلَباً فاحلُبْها. فدعا بها رسول الله ﷺ، فمسح بيده ضَرْعَها، وسَمّى الله عزّ وجلّ، ودعا لها في شاتها فتَفاجَّتْ عليه ودَرَّتْ، واجْتَرَّت، ودعا بإناءٍ يُرْبِض الرَّهْط، فحَلَب فيه ثَجّاً حتى علاه البهاءُ، ثم سقاها حتى رَوِيَتْ، وسقى أصحابَه حتى رَوُوا، ثم شرب آخِرَهم، ثم أراضُوا عَلَلاً بعد نَهَلٍ، ثم حلب فيه ثانياً بعد بَدْءٍ، حتى ملأ الإناء، ثم غادَرَه عندها، ثم بايَعها، وارتحلوا عنها.

فقلَّما لَبِثَتْ حتى جاء زوجُها أبو مَعْبد، يَسوقُ أعنزاً عِجافاً، تَشارَكْنَ هُزْلاً ضُحاً مُخُّهُنَّ قليل، فلما أن رأى أبو مَعْبدٍ اللَّبنَ عَجِبَ، وقال: من أين لكِ هذا اللَّبنُ يا أمَّ مَعْبد والشَّاءُ عازِبٌ حِيالٌ، ولا حَلُوبَ في البيت؟

قالت: لا واللهِ، إلا أنه مَرَّ بنا رجلٌ مباركٌ مِن حاله كذا وكذا.

قال: صِفيه لي يا أمَّ مَعْبَد.

قالت: رأيت رجُلاً ظاهرَ الوَضاءةِ، مُتَبلِّجَ الوجهِ، حسَنَ الخُلُق، لم تَعِبْه نُحْلَةٌ[3]، ولم تُزْرِ به

(١) بحاشية الأصل: بيتها.

(٢) بحاشية الأصل: «مشتين». وستأتي هذه الرواية في الشرح.

(٣) بحاشية الأصل: «ثجلة» وستأتي هذه الرواية في الشرح.

صُقْلَةٌ[1]، وَسِيماً قَسِيماً، في عينيه دَعَجٌ، وفي أشفاره غَطَفٌ[2]، وفي صوته صَحَلٌ، وفي عُنُقه سَطَعٌ، وفي لِحيته كثافة، أزَجُّ أقْرَنَ، إن صَمَت فعليه الوقارُ، وإن تكلَّم سَمَا وعلاه البهاءُ، أجملُ الناس وأبْهاهُ من بَعيد، وأحسَنُه وأحلاه من قريب، حلوُ المنطق، فَصْلٌ لا نَزْرٌ ولا هَذَرٌ، كأن مَنْطِقَه خَرزاتُ نَظْم يَتَحَدَّرْنَ رَبْعَةٌ لا يأسَ من طُول، ولا تَقْتَحمهُ عينٌ من قِصَر، غُصْنٌ بين غُصْنَين، فهو أنْضَرُ الثلاثة منظراً، وأحسَنُهم قَدْراً، له رُفَقاءُ يَحُفُّون به، إن قال أنْصَتُوا لقوله، وإن أمَر تبادَرُوا إلى أمره، مَحْفُودٌ مَحْشُود، لا عابِسٌ ولا مُفَنَّد[3].

قال أبو مَعْبَد: هو والله صاحبُ قُريش الذي ذُكِر لنا من أمره ما ذُكِر بمكة، ولقد هممتُ أن أصحَبه، ولأفعلَنَّ إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً.

قال: فأصبح صوتٌ بمكة[4] عالياً، يسمعون الصوتَ ولا يدْرُون مَن صاحبُه، وهو يقول:

جَزَى اللهُ رَبُّ النـاسِ خيرَ جزائـهِ ... رفيقيـن قـالا خَيْمَتيْ أُمِّ مَعْبَـدِ
هما نَـزلاهـا بـالهُـدَى واهتـدَتْ بـه ... فـقـد فـازَ مـن أمسى رفيق محـمَّـدِ
فيـالَقُـصَـيٍّ مـا زَوَى اللهُ عـنـكُـم ... بـه مِـن فَـعـالٍ لا تُـجارَى وسُـؤْدَدِ
ليَهْنـأْ بني كعبٍ مَقامُ[5] فتـاتكمْ ... ومَقْعَـدُهـا لـلمؤمنيـن بمَـرْصَـدِ
سَلُوا أختَكـم عـن شـاتها وإنـائهـا ... فـإنَّكمُ إن تسـألـوا الشاةَ تَشْـهَـدِ
دعـاهـا بـشـاةٍ حـائـلٍ فـتـحـلَّبَتْ ... لـه بـصَـريحٍ ضَـرَّةُ الـشاة مُـزْبِـدِ
فـغـادَرهـا رَهْـنـاً لَـدَيْـهـا لـحـالِـبٍ ... يُـرَدِّدُهـا فـي مَـصْـدرٍ ثـم مَـوْرِدِ

زاد في رواية:

فمـا حَمَلَتْ مِن نـاقـةٍ فوق رَحْلِها ... أبَـر وأوفَـى ذِمَّـةً مـن مـحـمَّـدِ
وأكْسَى لبُـرْدِ الخـالِ قبـل ابتـذالـه ... وأعْـطَـى بـرأسِ الـسابـحِ المتجـرِّدِ

قال: فلما سمع حسانُ بن ثابت الأنصاريّ بهذا الشعر نَشِب[6] يُجاوب الهاتف، وهو يقول:

(١) بحاشية الأصل: «صعلة». وتأتي في الشرح.
(٢) بالعين المهملة والغين المعجمة، ويروى أيضاً: «وطف» وسيأتي كل ذلك في الشرح.
(٣) بحاشية الأصل: «معتد» وسيأتي في الشرح.
(٤) بحاشية الأصل: «ببكة» وسيأتي الكلام عليه.
(٥) بحاشية الأصل: مكان.
(٦) بحاشية الأصل: «شبب». وستأتي في الشرح.

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبيُّهم ... وقُدِّس مَن يَسْري إليهم ويَغْتَدي(١)
تَرَحَّلَ عن قومٍ فضلَّتْ عقولُهم ... وحَلَّ على قومٍ بنورٍ مُجَدَّدِ
هداهُمْ به بعدَ الضَّلالةِ رَبُّهم ... وأرشدهم مَن يَتْبع الحقَّ يَرْشُدِ
وهل يستوي ضُلَّالُ قومٍ تَسَفَّهُوا ... عَمايتَهم هادٍ به كلُّ مُهْتَدِ(٢)
وقد نزلَتْ منه على أهل يَثْربٍ ... رِكابُ هُدىً حَلَّتْ عليهم بأسعُدِ
نبيٌّ يرى مالا يَرى الناسُ حولَه ... ويتلو كتابَ الله في كلِّ مَسْجدِ
وإن قالَ في يومٍ مقالةَ غائب ... فتصديقُها في اليوم أوفي ضُحى الغَدِ
ليهنأ أبا بكرٍ سعادةُ جَدِّهِ ... بصُحبته مَن يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ

*

* *

حديث أم مَعْبدٍ حديثٌ مشهور بين العلماء، مرويٌّ في كُتبهم، وهو من أعلام النُّبوّة(٣)، ورواه جماعة من الحفّاظ، من رواية حِزام بن هشام بن حُبَيش بن خالدٍ، عن أبيه، عن جَدِّه حُبَيش، صاحب رسول الله ﷺ. وأخرجه القُتَيْبيّ(٤) عن سليمان بن الحكم، بإسناده عن هشام بن حُبيش. ورُوي من طُرُقٍ أخرى كثيرة. وقد أُخرج أيضاً عن أبي مَعْبَدٍ نفسه، وعنه عن أم مَعْبَد، وأُخرج عن أسماءَ بنت أبي بكر، وأبي سَلِيط الأنصاريّ.

وقد اختُلِف في بعض ألفاظه، وقد ذكرناها باختلافها في الشرح. ومما اختُلف فيه أنه نزل ﷺ

---

(١) ديوان حسان ص ٤٦٤.

(٢) رواية عجز البيت في الديوان:

عمىً وهداةٌ يهتدون بمهتد

وستأتي هذه الرواية في أثناء الشرح.

(٣) انظر دلائل النبوة لأبي نعيم ١١٧/٢ـ ١١٩، ودلائل النبوة للبيهقي ٢٢٨/١ـ ٢٣٧، وطبقات ابن سعد ٢٣٠/١ـ ٢٣٢، والمستدرك للحاكم ٩/٣ـ ١١، ومجمع الزوائد ٥٥/٦ـ ٥٨ (باب الهجرة إلى المدينة. من كتاب المغازي والسير) و٢٧٨/٨، ٢٧٩ (باب صفته ﷺ. من كتاب علامات النبوة) و٢٦٣/٩ (باب في أم معبد. من كتاب المناقب). والاستيعاب ص ١٩٥٨ـ ١٩٦٢، وأسد الغابة ٤٥١/١ـ ٤٥٣ (ترجمة حبيش بن خالد) و١٨٢/٧، ٣٩٦ (ترجمة أم معبد) والإصابة ٢٨١/٨، ٢٨٢، والفائق ٩٤/١ـ ٩٩، والروض الأنف ٧/٢ـ ٩، والوفا بأحوال المصطفى ٢٤٢/١ـ ٢٤٦، والاكتفا للكلاعي ٤٤٦/١ـ ٤٤٩، والسيرة النبوية لابن كثير ٢٥٧/٢ـ ٢٦٣، وعيون الأثر ١٨٧/١ـ ١٩٠، والخصائص الكبرى للسيوطي ٤٦٦/١ـ ٤٦٩، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٣٤٠/١ـ ٣٤٦.

(٤) غريب الحديث ٤٦٢/١ـ ٤٧٨.

هو وأبو بكر بأم مَعْبَدٍ وَذْفانَ مَخْرَجه إلى المدينة، فأرسلت إليهم شاةً، فرأى فيها بُصْرةً من لبنٍ، فنظر إلى ضَرْعِها، فقال: إن بهذه لَبَناً، ولكن ابْغيني شاةً ليس فيها لبنٌ، فبعثت إليه بعَناقٍ جَذَعَةٍ، فقَبِلها.

شرحه

أُمُّ مَعْبَدٍ: صحابيّةٌ، اسمها فيما قيل: عاتكةُ بنت خالد بن خُلَيد[1] الخُزاعيّة، كُنيت بابنها مَعْبَد.

وأبو مَعْبَد: زوجها، اسمه فيما قيل[2]: أكْثَم بن الجَوْن.

والخُزاعيّ: منسوب إلى خُزاعةَ، وهم أولاد عمرو بن ربيعة، بَطْنٌ من الأَزْد، وهم: كَعْبٌ، ومُلَيْحٌ، وعَدِيٌّ، سُمُّوا خُزاعةَ[3]؛ لأن الأزْدَ لمّا خرجت من مكة لتتفرّقَ في البلاد تخلّفت عنهم خُزاعة وأقامت بها، يقال: خَزَع فلانٌ عن أصحابه: أي تَخلّف، واخْتَزَعْتُه عن القوم: أي قطَعْتُه عنهم.

ومكّةُ: اسم البلدة المعروفة، وبَكّةُ: موضع البيتِ والطّواف، وقيل: هما اسمان للمدينة[4]، والباء بدلٌ من الميم، لاتّحاد مَخْرَجيهما. وسُمّيت مكةَ لأنها تَمُكُّ الجبابرة، أي تُخْرج نَخْوَتَهم بالتّذلُّل عندها، أو لأنها تَمُكُّ مَن ألْحدَ فيها: أي تُهلِكه. وسُمّيت بكّةَ لأنها تَبُكُّ رِقابَ الجبابرة ومَن قصدها بسُوء: أي تدُقُّها.

وعامر بن فُهَيرة: كان من مُوَلَّدي الأزْد، فاشتراه أبو بكر الصّدّيق، فأعتقه، وأسلم قبلَ دخول النبيِّ ﷺ دارَ الأَرْقَم.

وفُهَيْرة: تصغير فِهْرٍ، وهو حجرٌ مِلْءُ الكَفِّ، يذكّر ويؤنّث، فلذلك أُلحق مُصغَّرُه تاءَ التأنيث.

وعبدُ الله بن أُرَيْقطٍ: هكذا يُرْوَى في حديث أم مَعْبَد، وهو[5]. . . .

والمشهور أن دليلهما في الهجرة كان رجلاً من بني الدِّيل، وهو من بني عَبْد بن عَدِيّ.

---

(١) في الاشتقاق ص ٤٧٤: «خليف». وكذلك في جمهرة الأنساب ص ٢٣٨، والاستيعاب ص ١٨٧٦.

(٢) قال هذا أيضاً عز الدين ابن الأثير أخو المصنف. راجع أسد الغابة ١٣٣/١، ١٨٢/٧، أما ابن عبد البر وابن حجر فقد ترجما لأبي معبد ولم يسمياه، ثم ترجما لأكثم بن الجون، ولم يذكرا أنه هو أبو معبد. انظر الاستيعاب ص ١٤١، ١٧٥٩، والإصابة ٦١/١، ١٧٧/٧.

(٣) راجع الاشتقاق لابن دريد ص ٤٦٨.

(٤) راجع معجم ما استعجم ص ٢٦٩، في رسم (بكة)، والروض الأنف ٨١/١.

(٥) بياض بالأصل، ولم يترجمه ابن عبد البر في الاستيعاب، وعز الدين ابن الأثير في أسد الغابة. ثم وجدت له ترجمة في الإصابة ٣٣/٤، قال ابن حجر: =

قال أبو موسى :إن عبد الله بن أُرَيْقط اللَّيثيّ لا أعرف إسلامه، إلا أن الدِّيل هو ابن بكر بن كِنانة.

واللَّيثيّ: منسوب إلى ليث بن بكر[1] بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر، فلعله من إحدى القبيلتين ونُسِب إلى الأخرى، لقُرب بعضهما من بعض.

وأُرَيْقِط: تصغير أَرْقَط، من الرُّقْطَة. وهو سوادٌ يَشْوبه نُقَطُ بياض.

والخَيْمَةُ: بيتٌ تبنيه العربُ من عِيدان الشَّجر تسكُنه، وقد كان لأُمِّ مَعْبَدٍ منه بيتان، فلذلك ثَنَّاها، والموضع الذي كانت به إلى اليوم يُعرف بخيمتي أم مَعْبَد، وهو اسمُه إلى الآن.

والبَرْزَة: العفيفة الرَّزينة التي يَتحدَّث إليها الرجال فَتْبرُز لهم، وهي كهلةٌ قد خَلا بها[2] سِنٌّ، فخرجَتْ عن حَدِّ المحجوبات، أو لأنها تمتنع ممَّن يقصدها ويريدها لكمالِ عَقْلِها، لا كالشَّوابِّ الغِرَّات اللاَّتي يَنْخَدِعْن، وقد بَرُزَتْ[3] بَرازةً.

والجَلْدة: القَويَّة الصُّلْبة.

والاحتِباءُ: جِلْسة الأعراب، وهو أن يجلس أحدُهم على أَلْيَتيه ناصِباً رُكْبَتْيه عاقِداً يديه على ساقيه، ليكون شِبْهَ المُستنِد، وأصل الاحتباء أن يكون بثَوْب أو مِنْديل، وهي الحِبْوَة والحُبْوة، بالكسر والضّمّ، وجَمْعُها حِبىً وحُبىً، بالكسر والضّمّ.

والقُبَّة هاهنا: أرادت[4] بها الخَيْمةَ المُتقدِّمة، وفِنَاؤُهَا: ما حَوْلَها.

و«ثُمَّ» بالضمّ: العاطفة للتَّراخي، وإن فُتحت كانت بمعنى هناك.

= «عبد الله بن أريقط، ويقال: أريقد، بالدال بدل الطاء المهملتين، وهو بقاف، بصيغة التصغير، الليثي ثم الدئلي. دليل النبي ﷺ، وأبي بكر لما هاجرا إلى المدينة. ثبت ذكره في الصحيح، فإنه كان على دين قومه، وسيأتي له ذكر في ترجمة عبد الله بن أبي بكر الصديق قريباً يتعلق بالهجرة أيضاً. ولم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد، وقد جزم عبد الغني المقدسي في السيرة له بأنه لم يعرف له إسلاماً، وتبعه النووي في تهذيب الأسماء».

هذا كلام ابن حجر في الإصابة، والأمر على ما قال في التجريد للذهبي ٢٩٦/١، ولم يزد الذهبي في الترجمة على قوله: «عبد الله بن أريقط الليثي، ويقال فيه الديلي، فالديل وليث أخوان».

أما ما نسبه إلى النووي في تهذيب الأسماء، فإني لم أجده في المطبوع منه.

(١) سقط بين بكر وكنانة: «عبد مناة». راجع جمهرة الأنساب لابن حزم ص ١٨٠، ٤٦٥.

(٢) وهكذا في الفائق. وفي غريب الحديث لابن قتيبة: لها.

(٣) بضم الراء، مثل ضخم ضخامة. كما ضبط في المصباح.

(٤) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: «أراد» والمراد راوى الحديث.

وقوله: «تَسْقي وتُطْعِم» قد حذف منهما مفعوليهما، تقديره: تَسْقي الناسَ الماءَ واللَّبن، وتُطْعِمهم الخُبْزَ والأُدْم.

والمُرْمِل: الذي نَفِد زادُه فرَقَّتْ حالُه وضَعُفَتْ(١)، من الرَّمْل، وهو نَسْجٌ ضعيفٌ خَفيف، وقيل: هو من الرَّمْل: التُّراب، كأنه لفَقْره قد لَصِقَ بالرَّمْل، كما قيل في أَتْرَبَ إذا افتقر: كأنه قد لَصِق بالرَّمْل.

والمُسْنِت: الداخل في السَّنة، وهي الجَدْب، وتاؤُهُ بَدَلٌ من ياءٍ، لأن أصل أَسْنَت: أَسْنَى، وقد تقدَّم مبسوطاً في حديث الاستسقاء.

ويُرْوَى: «مُشْتِين» وهم الداخلون في الشتاء. يقال لمن أَجْدَب: أَشْتَى، لفقده ما يحتاج إليه، كما يحتاج في الشتاء. فأمّا شَتَوْتُ بموضع كذا، فمعناه أقمتُ به في الشتاء.

والكِسْر، بكسر الكاف وفتحها: جانبُ البيت، وقيل: هو الشُّقَّة السُّفْلى من الخِباء، تُرْفَع وَقْتاً وتُرْخَى وَقْتاً، وتكون في مُقَدَّم الخِباء أو في مُؤَخَّره.

والخِباء من بيوت الأعراب على عمودين أو ثلاثة، مِن وَبَرٍ أو صُوف، ولا يكون من شَعَر.

ورُوِي: «فرأى في كِفاء البيت» والكِفاء: شُقَّة أو شُقَّتان، تُخاط إحداهما بالأخرى ثم تُجْعل في مُؤَخَّر الخِباء.

والجَهْد، بالفتح: المَشقَّة، وبالضَّمِّ: الوُسْع والطاقة، والفتح هاهنا أولى، وقيل: هما لغتان بمعنىً.

وخَلَّفها عن الغنم: أي سَرَحَت الغنم إلى المرعَى وبقيت هي لم تَسْرَح معها لضعفها.

وهي أَجْهَدُ من ذلك: أي أشدُّ جَهْداً.

وقولها: «بأبي أنتَ وأمِّي» أي أَفْديك بهما، والباء متعلقة بهذا الفِعل المقدَّر.

والحَلَب، بالتحريك: مصدر حَلَبْتُه، كالطَّلَب من طَلَبْتُه، ولا تُسَكَّن لاماهُما.

والضَّرْع لذات الخُفِّ كالثَّدْى للمرأة.

وَتفاجَّتْ: أي وسَّعَتْ ما بين رِجليها وباعَدَتْ إحداهما من الأخرى، وأصله من الفَجَج، وهو

---

(١) في الفائق: «وسخفت، من الرمل، وهو نسج سخيف».

أشَدُّ الفَحَج[١]، وتفعل الشاةُ ذلك عند الحَلب والبول.

ودَرَّتْ: أي صَبَّت اللَّبَن.

واجْتَرَّتْ: أي أخرجت الجِرَّةَ من جوفها إلى فِيها لتَمضُغَها، وإنما يَفعله من الإبل والغنم الممتلىءُ عَلَفاً، فصارت هذه الشاة تَجْتَرُّ مع ما بها من الجَهْد والضَّعف.

وقوله: «يُرْبِضُ الرَّهْطَ» أي يُرْويهم شُرْبُه حتى يَثْقُلوا ويقعوا على الأرض، فَيَرْبِضُوا كما تَرْبِض الغَنَم على الأرض إذا شَبِعت ونامَتْ.

والرَّهْط: من الثلاثة إلى العشرة، ولا واحدَ له من لفظه.

ويُرْوَى: «بإناءٍ يُريضُ الرَّهْطَ» أي يُرْويهم بعضَ الرِّيِّ. والرَّوْض: نحوٌ من نصفِ قِرْبة، وأراضَ الحوضَ: إذا صَبَّ فيه من الماء ما يُواري أرضَه. وقيل: هو مأخوذ من الروضة، وهو الموضع الذي يستنقع فيه الماءُ، ومنه قوله في هذا الحديث: «فشَربوا حتى أراضُوا عَلَلاً بعدَ نَهَلٍ» أي ارتَوَوْا من الشُّرب مرّةً بعدَ مَرَّة، فالنَّهَل: الشُّربُ الأول، والعَلَلُ: الثاني.

والثَّجُّ: السَّيَلان الكثير. أي كان لبنُها الذي يحلُبه يسيل من ضَرْعها، كالتي امتلأت سِمَناً ولَبَناً. وانتصب «ثَجّاً» بفعل مُضمَر، أي تَثُجُّ ثَجّا، أو بِحَلَبَ؛ لأنّ فيه معنى ثَجَّ، ويجوز أن ينتصب على الحال، وإن كان مصدراً، بمعنى ثاجّاً.

والبَهاءُ: يريد به وَبِيصَ رُغْوة[٢] اللَّبن وبريقها بعد امتلاء الإناء، وأصل البهاء: الحُسْنُ والنَّضارة.

ويُروى: «حتى علاه الثُّمال» جمع ثُمالَة، وهي الرُّغْوة.

وقوله: «ثم شَرِب آخِرَهم» نصبٌ على الظرف، وإنما فعل ذلك لأن السُّنَّةَ أن يشربَ السَّاقي آخرَ القوم، وكان هو ساقيَهم يومئذ.

وبعد بَدْءٍ: أي بعدَ الحَلَب الأول.

وغادرَه: أي تركَه.

والعِجافُ: ضِدُّ السِّمان، واحدتها عَجْفاءُ.

وتَشارَكْن هُزْلاً: أي عَمَّهُنَّ الهُزال، فكأنهنّ قد اشتركن فيه.

---

(١) بالحاء المهملة قبل الجيم. وفي الفائق: أشد من الفحج.
(٢) بفتح الراء وضمها، وحكى الكسر. على ما في المصباح. والوبيص مثل البريق، وزنا ومعنى.

ويروى: «تَساوَكْنَ» بالسِّين المهملة والواو. أي يَمْشين مَشْياً ضعيفاً، والتَّساوُك: التَّمايُل من الضَّعف[١].

وفي رواية: «يَتَتارَكْنَ» وهو قريبٌ من معنى الأول، أي يترك بعضُها بعضاً، ويتخلَّف بعضُها عن بعض لضعفها، وهو تفاعُلٌ من تَرْكِ الشيء. ويشهد له الرواية الأخرى: «تَساوَقْنَ هُزْلاً». كأن بعضَها يسوقُ بعضاً ويتأخَّر عنه.

وقوله: «ضُحاً» قال أبو موسى الحافظ الأصفهانيّ: هذه اللفظة كانت تنبو عن قلبي، فإن وُقوعَها بين صفاتِ الغنم بعيدٌ، وكان يغلب على ظَنّي أنه تصحيفٌ، ومن الرُّواة مَن أسقطها من الحديث، حتى وجدت الحافظ أبا أحمد العَسَّال[٢] رواه في «مُعْجمه» بإسناده، فقال: «يَتَتارَكْنَ هُزْلاً مِخاخُهُنّ قليل» ولا أظُنّ الصَّحيح إلا كما رواه. والمِخاخ: جمع المُخّ، كالحِباب في الحُبِّ[٣]، فيكون قد صُحِّف «مِخا» بِضُحا، ويدلُّ عليه أنه في أكثر النُّسخ مكتوب بالألف.

وإنما وصف المِخاخَ، وهو جمعٌ بقليلٍ، وهو مفرد، لأنه أراد أنها شيء قليل، ولأن مُخَّهنّ واحد، ولكلّ واحدةٍ منها مُخٌّ.

وممّا يُبطل «ضُحاً» أنهم كانوا عندها في القائلة، يقول الهاتف في الشعر:

* رفيقَين قالا خَيْمتيْ أمِّ مَعْبَدِ *

وزوجها إنما جاء بعدَ مسيرهم، فكيف يكون مجيئه ضُحاً؟

والهُزْل والهُزالُ: ضِدُّ السِّمَن، وانتصب على التمييز.

ويروى: «هَزْلَى» جمع هَزيل بمعنى مَهْزول، كقتيلٍ وقَتْلَى.

والعازب: البَعِيد، وقد عَزَب يَعْزُب عُزُوباً: إذا أبْعَد. وإنما لم يقل: عازِبة، وإن كان الشاءُ جمع شاةٍ، حَمْلاً على لفظ الشاء، لأنه كالجنس. ويروى: «والشاء عازبة» بالتاء.

---

(١) وجاءت هذه الرواية مضمنة في شعر لعبيد الله بن الحر الجعفي ـ ويروى لعبيدة بن هلال اليشكري ـ أنشده اللسان في (سوك)، وهو قوله:

إلى الله أشكو ما أرى بجيادنا   تساوَكُ هَزْلَى مُخُّهُنّ قليلُ

(٢) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم. ولي القضاء، وكان من كبار الناس في الحفظ والإتقان والمعرفة. وتوفى في شهر رمضان من سنة ٣٤٩، وله كتاب في غريب الحديث. تذكرة الحفاظ ص ٨٨٦، والمشتبه ص ٤٥٨.

(٣) الحب، بضم الحاء: الجرة التي يجعل فيها الماء، وهو فارسي معرب. المعرب للجواليقي ص ١٢٠، والقاموس، وانظر الروض الأنف ١٤/٢.

والحِيال: جمع حائلٍ، وهي التي لم تَحمل، فلا يكون لها لبنٌ. ويروى: «حُيَّلٌ»، وهو جمع حائلٍ أيضاً.

والحَلُوب: التي تُحْلَب، وهو عند أهل اللغة فَعُولٌ بمعنى مَفْعولة، وإنما هو [1] بمعنى فاعلة، والأصل فيه أن الفعل كما يُسْنَد إلى مُباشِره يُسْنَد إلى الحامل عليه والآمِر به، فقيل: ناقةٌ حَلُوبٌ، لأنها تَحْمِل على احتلابها، بكونها ذاتَ حَلَب، فكأنها تَحْلُب نفسَها لَحمْلها[2] على الحَلَب. ومن ذلك قولهم: الماء الشَّرُوب والطريق الرَّكُوب، ونحو ذلك.

وفي رواية: «ولا حَلُوبة» بالهاء على أصل التأنيث، وقيل: هي والحَلُوب سواءٌ. وقيل: الحَلُوب واحدٌ، والحَلُوبة: الجماعة.

وقولها: «لا واللهِ» رَدٌّ على سُؤَال زوجها إياها: «مِن أين لكِ هذا اللَّبن؟» أي لم يحدث لنا شيءٌ إلا أنه مَرَّ بنا رجلٌ مبارَكٌ، أي حصلت البركةُ لنا بمروره علينا، وأصل البركة: الثُّبُوت والدَّوام، ثم استُعير للزِّيادة والنَّماء.

والوضَاءة: الحسن والجمَال ورجلٌ وضيء

والأَبْلَج الوجهِ، والمُتَبلِّج: الحَسَنُ المُشرقُ المضيءُ، ومنه قولهم: الحقُّ أبْلَجُ. ولم تُرِدْ به بَلَجَ الحواجب، وهو البياض بين الحاجبين، لأنها وصفته بالقَرَنِ.

وحُسْنُ الخُلُق: كناية عن حُسْن الأوصاف الباطنة من الحِلم والكرم والشجاعة، ونحو ذلك، كما أن حُسْنَ الخَلْق كنايةٌ عن حُسن الأوصاف الظاهرة في الوجه والبدن والأعضاء.

والثُّجْلة، بالثاء المثلَّثة والجيم: عِظَمُ البَطْن مع استرخاء أسفَله.

ومن رواه بالنون والحاء المهملة فبمعنى النُّحول، وهو الدِّقَّة وضعف التَّركيب، إلا أنهم لم يستعملوا النُّحْلَة بمعنى النُّحول.

وفي رواية: «لم تَعْلُهُ» عِوَضَ «لم تَعِبْهُ» أي لم تَغْلِب عليه حتى عُرِف بها.

والإِزراء: التَّهاوُن بالشيء، والاحتقارُ له، وشيءٌ زَريٌّ، يقال: أَزْرَيْتُ به، وزَرَيْتُ عليه.

والصُّقْلة، بالقاف: طول الصُّقْل، وهو الخَصْر ومُنْقَطَع الأضلاع من الخاصِرة، وقيل: ضُمْرُه وقلَّة لحمِه، من قولهم: صقلتُ الناقةَ: إذا أضمرتَها بالسَّير.

---

(١) هذا مسلوخ من كلام الزمخشري في الفائق.

(٢) تكملة من الفائق، والنقل منه كما أسلفت.

ويروى: «سَقلة» بالسين، وهو بمعناه، على إبدال الصاد سينا، لأجل القاف.

والصَّعْلَة، بفتح الصاد: صِغَر الرأسِ، يقال: رجلٌ صَعْلٌ وأصْعَلُ، وقد تكون الصَّعْلةُ الدِّقَّة في البَدَن والنُّحولَ. والمعنى أنه ليس بعظيم البطن، ولا منتفخ الخَصْر، ولا ضامِرِه جدّاً، ولا صغيرِ الرأس، فلا عيبَ في صفةٍ من صفاته، ولا تُحْدِثُ فيه عيباً.

والوسيم: المَشْهورُ بالحُسْن، وهو فعيلٌ من الوَسْمِ والسِّمَة، كأنَّ الحُسْنَ صار له علامةً.

والقَسِيمُ: الحَسَنُ القَسْمة[1] وهي الوجه، وقيل: هو من القَسام: الجمالِ، ورجلٌ مُقَسَّم الوجهِ، وقسيمُ الوجهِ، كأن كلَّ موضعٍ منه قد أخذ من الحُسْن والجمال قِسْماً، فهو كُلُّه جميل، ليس فيه ما يُستَقْبَح.

ويروى: «وسيمٌ قسيمٌ» بالرفع على الاستئناف، وبالنصب على الصِّفة، لقولها: «رأيت رجلًا».

والدَّعَج: شِدَّة سواد العين مع سَعَتها. يقال: عينٌ دَعْجاءُ، والأَدْعَج من الرجال: الأسودُ.

والأَشْفارُ: حروف الأجفان التي يَنْبُت عليها الشَّعَر، واحِدُها شُفْرٌ، بالضمّ.

والشَّعَر: الهُدْبُ والأهداب.

والغَطَفُ، يروى بالغين، ويريد به الطُّولَ، وأصله من الغَطَفِ: سَعَةِ العيش.

ويروى بالعين المهملة، وهو انعطافُ شعَرِ الأجفان لطُولها.

ويروى بالواو، من الوَطَف، وهو كثرة شَعَر العين والاسترخاء، وإنما يكون ذلك مع الطُّول. فاشتركت الروايات الثلاث في طول شَعَر الأجفان. والمشهور في الرواية بالغين المعجمة، وأرادت بالأشفار شَعَرَ الأشفار، فحذفَت المضاف.

والصَّحَلُ[2]: صوتٌ فيه بُحَّةٌ وغِلَظٌ، لا يبلغ أن يكون جُشَّةً، وهي الشِّدَّة والغِلَظ، وهو يُستَحسن لخلوّه عن الحِدَّة المُؤْذِيَةِ للسَّمع.

ويروى: «صَهَلٌ» بالهاء، من الصَّهيل: صوتِ الفَرس، وإنما يَصْهَل[3] بشِدَّة وقوّة.

---

(١) ضبط في الأصل بفتح القاف وكسرها، وفوقها «معا». والذي في اللسان والقاموس أنه بفتح السين وكسرها، أما القاف فمفتوحة لا غير.

(٢) انظر ما يأتي في حديث رقيقة.

(٣) ضبطت الهاء في الأصل بالضم، والصواب أن تكون بالكسر أو بالفتح، فالفعل من باب ضرب ومنع، كما في المصباح والقاموس.

والسَّطَعُ، بفتح الطاء: طول العُنق، ورجلٌ أسطَعُ وامرأةٌ سطعاءُ، وهو من سُطوع النار: ارتفاعِ لَهيبها.

والكثافة في الشَّعَر: اجتماعه والتفافه وكثرته. ويروى: «كثاثة» بالثاء، وهو بمعناه.

والأَزَجُّ: المتقوِّس الحاجبين في طُولٍ وامتداد.

والأَقْرَنُ: المتصل رأسَىْ حاجِبَيْه. كذا في حديث أُمِّ مَعْبد، والصحيح في صفته أنه لم يكن أَقْرَنَ، وإنما كان أبلَجَ، وسيجيء في حديث ابن أبي هالةَ.

والصَّمْت: السُّكوت عن الكلام، وقد صَمَت وأصْمت بمعنىً.

والوَقار: ثَباتُ الهيئة وسكونُها، وهو ضِدُّ الخِفَّة والطَّيش.

وسَما: إذا ارتفع وعَلا، من السُّمُوّ: العُلُوّ، أي علا وارتفع على جُلَسائه. وقيل: علا عند الكلام برأسِه أو يده، ويجوز أن يكون الفعلُ للبهاء، أي سماه[1] البهاءُ وعَلاه، على سبيل التأكيد للمبالغة في وصفه بالبهاء والرَّونق إذا أخذ في الكلام، لأنه كان عليه السلام أفصحَ العرب وأعذبَهم كلاماً، وأحلاهم منطقاً، وكان إذا نُظِر إليه من بعيد أجملَ الناسِ وأبهاهم منظراً، وإذا رُئى من قريب ظهرت دقائقُ حُسْنِه للرائي، وحلاوةُ منظره. يقال: حَليَ الشيءُ بعيني وبصدري يَحْلَى حلاوةً: إذا أعجبك حُسْنُه، وحَلاَ في فمي، بالفتح، وقد يقال في العين: حَلاَ، بالفتح، يَحْلُو.

والفَصْلُ: من صِفة الكلام، وهو مصدرٌ موضوعٌ موضعَ اسم الفاعل، أي الفاصل بين الشيئين.

والنَّزْر: القليل.

والهَذَر: الكثير غير المفيد، أرادت أن منطقَه مع حلاوته ليس بقليلٍ لا يُفهم، ولا كثيرٍ يُمَلُّ ويُسْأم، بل هو قَصْدٌ بين ذلك.

وقد ضبطه بعضهم: «الهَذْر» بالدال المهملة الساكنة، فإن صَحَّ فهو من الهَدْر: الكثير الكلام المِنْطيق، أو من الهَدْر: الباطل، يقال: ذهب دَمُه هَدْراً وهَدَراً، أي باطلاً لا قَوَدَ فيه ولا عَقْلَ، أو مِن هَدَر الشَّرابُ هَدْراً: إذا غلا واشتدَّ.

والرَّبْعَة من الرجال: ما بين الطويل والقصير، يقال: رجلٌ رَبْعةٌ، وإنما أنَّثوا على تأويل

---

(١) في الأصل: «سما» بغير الهاء، وأثبتها من الفائق، والكلام كله فيه.

النَّفس، كقولهم: غلامٌ يَفَعةٌ. ويقال للمرأة: رَبْعةٌ أيضاً، ويُجمعان على رَبَعاتٍ، بالتحريك، خارجاً عن قياس جَمْع الصفات، فإنها لا تُحَّرك في الجمع وإنما تُسَكَّن، نحو صَعْبة وصَعْبات، وتُحَّرك الأسماءُ، نحو قصعة وقصَعَات

وقوله: «لا يَأسَ مِن طُولٍ» اليأس: ضدُّ الرَّجاء، يقال: أَيِسْتُ منه آيَسُ يأساً، مثل يَئِسْتُ أيأَس. والمعنى أنه كان ميلُه إلى جانب الطُّول أكثرَ من ميله إلى جانب القِصَر، فلم يكن في حَدّ الرَّبْعة غيرَ متجاوزٍ له، فجُعِل ذلك القَدْرُ مِن تجاوز حَدّ الرَّبْعة عَدمَ اليأس من بعض الطُّول، وفي تنكير الطُّول دليلٌ على معنى البَعْضيَّة.

ويأسَ: نكرة منصوبة بلا النافية، وخبره محذوف، تقديره: لا يأسَ منه أو فِيه، من طُول.

ويروى: «لا يائسٌ[١] مِن طُول» بمعنى آيسٍ، وهو فاعلٌ بمعنى مفعول، أي لا مَيْؤوسٌ منه، لإفراط طُولِه.

ورُوي: «لا بائنٌ مِن طولٍ» أي لا يُجاوِز الناسَ طُولاً.

وفي رواية: «لا تَشْنَؤُه مِن طُول» أي لا يُبْغَضُ لفَرْط طُوله، وقد شَنِئْتُه أشْنَؤُه شَنآناً: إذا أبغضتَه، وهو مَشْنُوءٌ ومَشْنيٌّ، بالهمز وتَرْكه، وعليه جاء[٢] روايةُ من رَوَى: «لا يُتَشَنَّى مِن طُولٍ» على التَّفَعُّل من البُغْض.

وقولها[٣]: «لا تَقْتحمُه عينٌ من قِصَر» أي لا تحتقره العيونُ لقِصره فتتركه وتُجاوزه إلى غيره، بل تقبله وتقف عنده، يقال في المنظر المُسْتَقبَح: اقتحمتْه العينُ: أي ازدرَتْه واحتقرَتْه، كأنها وقعَتْ من قُبْحه في قُحْمةٍ، وهي المَهْلَكة والشِّدَّة.

والمَحْفُود: المَخْدُوم، والحَفَدةُ: الخَدَمُ، جمع حافِدٍ.

والمَحْشُود: الذي يجتمع الناسُ حولَه. يعني أن أصحابَه يَحوطُون به، ويجتمعون على خِدمته، من الحَشْدِ: الجَمْع.

ويُروى بالسِّين المهملة، من الحَسَد، فإن صَحَّ فمَنْ أولَى بأن يُحْسَد ممَّن تكاملتْ فيه مثلُ هذه الأخلاق الرَّضِيَّة؟

---

(١) هذه رواية ابن الأنباري، كما ذكر المصنف في النهاية، وحكى عن ابن الأنباري في شرحه: قال: معناه لا ميئوس من أجل طوله، أي لا ييأس مطاوله منه لإفراط طوله، فيائس بمعنى ميئوس، كماء دافق بمعنى مدفوق.

(٢) هكذا بالتذكير.

(٣) في الأصل: «وقوله». والكلام لأم معبد.

وقولها: «أَنْضرُ الثلاثة منظراً» أي أحسنهم وأبهاهُم، من النَّضارةِ: الحُسْنِ والنَّعْمة.

والمَنْظر: الموضع الذي يقع عليه النَّظرُ من كلِّ شيء.

والثلاثة: هم رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعامر بن فُهَيْرة.

والعابِس: الكالِح الوجهِ المقطِّب، وقد عَبَس وعَبَّس.

والمُفَنَّد: المنسوب إلى الجهل وقلّة العقل، من الفَنَد: الخَرَفِ.

والمُعْتدِي: مُفْتعِل من العُدْوان: الظُّلم.

وقالا: من القَيْلُولة، وهو النُّزول في القائلة عند شِدَّة الحَرّ، للاستراحة والنوم وغير ذلك، إلا أنه لا يُعَدَّى فِعلُه إلى الموضع إلا بحرفِ الجرّ، تقول: قِلْتُ بمكان كذا، أو فيه، أو عندَه، ولا يقال: قِلْتُه.

وقال الزمخشريّ: خَيْمَتَيْ أمّ مَعْبَد: نصبٌ على الظَّرف، وأجْرَى فيه الموضعَ المَحْدودَ مجرى المبهَم، كما أَنْشَده سيبويه[1]:

لَدْنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنَهُ ... فيه كما عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ

وقيل: إن معنى «قالا» قَصَدا، وهو أليَقُ به إن ساعَدَتْه اللُّغةُ، وكثيراً ما يجيء في الحديث والكلام: «فقال برأسه كذا، وقال بيده كذا» والمراد منه الإشارةُ والقَصْدُ بالرأس واليد.

وفي رواية: «حَلَّا خيمَتَيْ أمِّ معبَد» وهو ظاهرٌ، لأن «حَلَّ» مُتَعدٍّ.

وأراد بالرفيقين النبيَّ ﷺ وأبا بكر، تخصيصاً لهما بالذِّكر، لأنهما الأصل في الهِجرة.

والهاء في «نزلاها» للمكان، وأنَّثها للفظ الخَيمة، ويجوز أن يكون لأُمّ مَعْبَد، لقوله: «واهْتَدَتْ به» والتاءُ لها.

وفي قوله: «نزلاها» شُذوذ، لأنه غير مُتَعدٍّ، يقال: نزلتُ بالمكان وفيه، وحُكمها حُكم «قالا».

واللام[2] في «يا لِقُصَيٍّ» للتعجُّب، كقولهم: يا لِلدَّواهي ويا لِلماء. والمعنى: تعالَوا يا قُصَيُّ

(١) الكتاب ٣٦/١، ١٢٤، والفائق، والبيت لساعدة بن جؤية الهذلي. شرح أشعار الهذليين ص ١١٢٠، وتخريجه في ١٤٩٣، وانظر أمالي ابن الشجري ٤٢/١، ٢٤٨/٢.

(٢) كتب فوقها في الأصل: «بالكسر»، وقد نص على الكسر سيبويه في النقل الآتي عنه.

لنتعجَّبَ منكم فيما أغفلتموه من حَظِّكم، وأضعتموه من عِزِّكم بعِصْيانكم رسولَ الله، وإلجائِكم إيَّاه إلى الخروج مِن بين أظْهُرِكم.

وهذه اللام تُسَمَّى لامَ المَدْعُوِّ إليه، ولا بُدَّ لها من شيءٍ مَدْعُوٍّ قبلها، فإذا قلت: يا لِلدَّواهي ويا لِلماء، كأنك قلت: يالَقَوْمٍ لِلدَّواهي، ويالَقَوْمٍ لِلماء. قال سيبويه(١): ومن أمثالهم: يا لِلْعَجب ويالِلماء، لَمَّا رأوا عَجَباً أو ماءً كثيراً.

وقوله: «ما زَوَى الله عنكم» أي قَبَضه عنكم، ومنعه منكم. وأصل الزَّيِّ: الجَمْع والضَّمّ. و«ما» نكرةٌ بمعنى التَّعجُّب، أي إنه شيءٌ عظيمٌ زَواه الله عنكم.

والسُّودَد(٢): السِّيادة، والدال فيه زائدة للإلحاق بجُنْدَب.

وقوله: «لِيَهْنَأ» يروى بالهمز وتركِه، على التخفيف، من الهَنيء، وهو الطَّيِّب الَّلذيذ السائغ.

وبني كعب: هم أحَدُ خُزاعة. وكعبٌ: هو ابن عمرو بن ربيعة، قَبيلُ أمّ مَعْبَد.

والمَرْصَد: موضع الرَّصَد، وهم القوم الذين يحفظون الطُّرُق. وهو انتظارُ الشيء وارتقابُه.

والصَّريحُ: اللَّبَنُ الخالِصُ الذي لم يُمْزَج.

والضَّرَّةُ: أصلُ الضَّرع الذي لا يخلو من اللَّبَن، وقيل: هي الضَّرْع كُلُّه.

والمُزْبِد: الذي عَلاهُ الزَّبَدُ، وإنما يكون ذلك مع كثرة نزوله وخُروجه من الضَّرع، وهو صفة للصَّريح، وفَصَل بينهما بقوله: «ضَرَّة الشاة». ويروى:

دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلَّبَتْ ... عليه صَريحاً ضَرَّةُ الشاةِ مُزْبِدِ

فيكون «مزبد» مجروراً على الجِوار، كقولهم: «جُحْرُ ضَبٍّ خَربٍ»، وإنما هو خَربٌ، لأنه صفةُ الجُحْر. و«مزبد» صفة للصريح، فينبغي أن يكون منصوباً. وقيل: إن مُزْبداً بالجَرّ على البدل من الشاةِ، وإنما لم يُؤَنِّثهُ حيث لم يجعله وصْفاً لها؛ لأنّ الشاةَ معرفةٌ، فلا تُوصَف بالنكرة، وأبدله منها لجواز إبدال النكرة من المعرفة، والمذكَّر من المُؤَنَّث.

وقوله: «فغادرها رَهْناً لَدَيْها» أي تركها محبوسةً عندها لمن يَحْلُبها، كالرهن عند المُرْتَهن لتكون معجزةً له عندَ من أراد حَلَبَها، وتصديقاً لحكاية أم مَعْبَد.

والخال: ثوبٌ ناعمٌ من ثياب اليمن.

---

(١) الكتاب ٢/٢١٧، ٢١٨.

(٢) بفتح الدال وضمها، ويهمز ولا يهمز.

والبُرْدُ: الثوب.

والابتذال: الاستعمال. يصف سخاءه، وأنه أبْذَلُ الناس لأنْعَم الثياب على جِدَّته وطراوته قبل ابتذاله وخُلُوقَته، وأجْوَدُهم بالفَرَس السابح، وهو الذي شُبِّه جَرْيُه لحُسْنِه بالذي يَسبَح في الماء.

والمُتَجِّرد: الرَّقيق البَشَرة، القصير شَعَر الجسم، كأنه قد جُرِّد منه: أي عُرِّي.

ونَشِبَ[1] في الشيء يَنْشَب: إذا عَلِقَ. أي إنه أخذ يُجاوب الهاتفَ.

والهاتِف: الصَّائح، وقد هَتَف يَهْتِف: إذا صاح، وكثيراً ما يُطْلَق ويُراد به الذي يُسْمَع صوتُه ولا يُرى شَخْصُه.

ويُروى: «شَبَّبَ» من تَشْبيب الكُتُب، وهو الابتداءُ بها والأَخْذُ في جوابها. أي ابتدأ في جواب الهاتفِ، وأخَذَ فيه، وليس من التشبيب بالنِّساء في الشِّعر، والتَّعُّرض لذِكرهنّ.

والخَيْبَة: خِلاف الظَّفَر بالشيءِ، ونَيْلِ المطلوب.

والتَّقْديس: التَّطهير والتَّنْزيه.

والسُّرَى: سَيرُ الليل.

والاغْتِداء: سَيرُ الغُدْوة.

والضَّلال: ضِدُّ الهُدَى، وضَلَّ عَقْلُه: إذا لم يَهْتَدِ للصواب.

والرَّشاد: خِلافُ الغَيِّ. يقال: رَشَد[2] يَرْشُد، ورَشِد يَرْشَد.

والضُّلَّال: جمع ضالٍّ.

والسَّفَه: الجَهْلُ وضِدُّ الحِلْم، وأصله الخِفَّة والحَرَكة. وتَسَفَّهوا: أي صاروا سُفَهاء، وتَعَمَّدُوا السَّفَه.

والعَمايةُ: الضَّلال، وهي فَعالَةٌ من العَمَى، وعَمايَةُ الصُّبْح: بقيَّة ظُلْمة الَّليل. ومعنى «تَسَفَّهوا عَمايتَهم»: تَعَمَّدوا السَّفَهَ والجَهْلَ في ضَلالهم.

---

(١) من باب تعب، كما في المصباح.

(٢) من باب قتل وتعب، على ما في المصباح. وعبارة القاموس «كنصر وفرح» وقال المرتضى الزبيدي عن الأول إنه الأشهر والأفصح. راجع التاج (رشد) وانظر حكاية طريفة حول هذا الفعل في طبقات الشافعية ٤٢٩/١٠.

وقوله: «هادٍ به كلّ مُهْتَد» قال ابنُ الأنباري: هكذا أنشَدَناه ابنُ ناجيَةَ[1]، وهو صحيح الوزن، مضطرب المعنى، يريد أن البيتَ يحتاجُ إلى واو العطف، أي هل يستوي هُلاَّكُ قوم ٍ سُفهاء، وهادٍ به كلّ مُهْتَد؟ فاضطراب معناه بحذف الواو، ويمكن أن يُخَرَّج له وَجْهٌ حَسَنٌ، ويكون «يَسْتَوي» بمعنى يستقيم ويَكْمُل، أي هل يستقيم ضُلاَّلُ قوم ٍ سُفَهاء، ويكون قوله: «هادٍ به كلُّ مُهْتَد» كلام مُسْتأنَف، راجعٌ إلى قوله: «رَبّهم» في البيت قبله، أو إلى النبيِّ ﷺ، أي به يَهْدي كلَّ مُهْتَد. ويجوز أن تكون «به» متعلّقة بهادٍ، أي كلُّ مُهْتدٍ هادٍ به. ويجوز أن تُجعَل «يستوي» على بابها من التسوية بين الشيئين، وحَذَف الثانيَ المساويَ بينَهما، كقوله تعالى[2]: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ فَحذَف ذكر الثاني، وهو في التقدير: ومَن أنفق من بعد الفتح وقاتَل، ودَلَّ عليه بقوله: ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾.

ويُروى هذا البيت:

وما يستوي جُهَّالُ قوم ٍ تَسكَّعُوا ... عَماً وهُداةٌ يهتـدون بمُهْتـدِ

والتَّسَكُّع: التَّحيُّر والتَّمادي في الباطِل، وهو ظاهر المعنى.

ويَثْرِب: اسم مدينة النبيِّ ﷺ[3]، من الثَّرْب: الفساد، أو التَّثْريب: التَّعيير والتَّقْبيح.

والرِّكاب: الإبل التي تَحمل القومَ وأحمالَهم، ولا واحِدَ لها من لَفْظِها.

والأَسْعُد: جمعُ قِلَّة للسَّعْد، ضِدّ النَّحْس.

وقوله: «يَرَى ما لا يرى الناسُ حَوْلَه» يجوز أن يكون من رُؤْيةِ العين، ويريد به رُؤْيَةَ الملائكة عند الوَحْي وغيره، ويجوز أن يكون من رُؤْيَة القلب، ويريد به المعرفةَ، وسَدادَ الرأي، وكمالَ البصيرة، ومثله بيت الأعشى في قصيدته الداليّة التي يمدح بها النبيَّ ﷺ:

نَبيٌّ يَـرَى مالا تَـرَوْن وذِكْـرُه ... أغارَ لَعَمْري في البلادِ وأَنْجَدا[4]

والجَدُّ: الحظُّ والبَخْت.

وقولُه: «وَذْفانَ مَخْرَجه إلى المدينة» أي وقتَ خُروجه، كما يُقال حِدْثَان خُروجِه، وهو من

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن ناجية البربري البغدادي المتوفى سنة ٣٠١، تاريخ بغداد ١٠٤/١٠، والمنتظم ١٢٥/٦.

(٢) الآية العاشرة من سورة الحديد.

(٣) غيرها النبي ﷺ وسماها طيبة ـ بفتح الطاء ـ وطابة. وقيل سميت بيثرب ابن قانية، من بني إرم بن سام بن نوح. النهاية، ومعجم ما استعجم ص ١٣٨٩.

(٤) ديوان الأعشى ص ١٣٥.

تَوَذَّف: إذا مَرَّ مَرّاً سَرِيعاً.

والبُصْرة، بالضَّمّ: أَثَرٌ من اللَّبَن يُبْصَر في الضَّرْع فيُسْتَدَلُّ به.

وقولُه: «ابْغِيني شاةً» أي أَعْطِيني. يقال: بَغَيْتُه الشيءَ: إذا أعطيتَه إيَّاه، وأبغيتُهِ: إذا أَعَنْتَه على ابتغائِه.

والعَناق: الأنثى من ولَد المَعَز.

وقد ذُكر في هذا الحديث ألفاظٌ مختلفة لاختلاف رواياته، غير ما ذكرناه، فلم نُطِل بذكرها، فإنه قد طال الشرحُ وامتد.

وحُبَيْشٌ صاحب الحديث، بالحاء المهملة والشين المعجمة، مُسَمًّى بطائر معروف، اسمه حُبَيْش، هكذا جاء مصغَّراً، مثل الكُعَيت، للبُلْبل. ويجوز أن يكون تصغير حَبَشٍ، وهو اسم جِنْس من السُّودان.

ويقال: إنه أخو أمِّ مَعْبَد، وفيه نَظَرٌ، وقيل: هو ابن عَمِّها.

وأبو سَلِيطٍ، بفتح السين المهملة، والسَّلِيط: الزَّيت، وقيل: الشِّيرَج[1]، أو هو مِن قولهم: رجلٌ سَلِيطٌ، إذا كان فصيحاً حديدَ اللِّسان، أو هو فعيلٌ من السَّلاطة: القَهْر والغَلَبة. والله أعلم.

وحيث اشتمل حديثُ أمّ مَعْبَد على ذِكر شيءٍ من صفات النبيِّ ﷺ، فلْنُتْبِعْه بما جاء من الأحاديث في صفاته المشتملة على الغريب.

---

(١) هكذا ضبط في الأصل بكسر الشين وفتح الراء، والذي في التاج بفتح الشين والراء معا، وقال: «كصيقل وزينب» وانظر الألفاظ الفارسية المعربة ص ٨٩.

حَدِيثُ هِنْدِ بنِ أَبي هَالَة

التَّميميّ في صفة النبيّ عليه السلام

قال الحسنُ بنُ عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: سألت خالي هندَ بن أبي هالةَ التَّميميّ عن حِلْيةِ النبيّ ﷺ، وكان وَصَّافاً له، وأنا أشتهى أن يصفَ لي منها شيئاً، لعلّي أتعلّق به.

فقال: كان رسول الله ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً، يتلألأُ وجهُه تلألُؤَ القمر ليلةَ البَدْر، أطْولَ من المَرْبُوع، وأقْصَرَ من المُشَذَّب، عظيمَ الهامة، رَجِلَ الشَّعَر، إن انْفَرَقَتْ عَقِيصَتُه فَرَقَ، وإلّا فلا يُجاوز شَعَرُه شَحْمةَ أُذنَيْه إذا هو وَفَّرَه، أزْهَرَ اللَّونِ، واسعَ الجَبينَيْن، أزَجَّ الحواجب، سَوابغَ في غير قَرَن، بينهما عِرْقٌ يُدِرُّه الغضبُ، أقْنى العِرنين، له نُورٌ يَعْلُوه، يَحْسِبُه من لم يتأمَّلْه أشَمَّ، كَثَّ اللِّحْية، سَهْلَ الخدَّين، ضَليعَ الفم، أشْنَبَ، مُفَلَّجَ الأسنان، دقيقَ المَسْرُبَة، كأنَّ عُنُقَه جيدُ دُمْيةٍ في صفاء الفضَّة، مُعتدلَ الخَلْق، بادِناً مُتماسِكاً، سواءَ البَطْنِ والصَّدْر، عريضَ الصَّدْر، بعيدَ ما بين المَنْكِبَيْن، ضَخْمَ الكَراديس، أنْوَرَ المُتَجرِّد، موصولَ ما بين اللَّبَّة والسُّرَّة بشَعَرٍ يَجري كالخَطِّ، عاريَ الثَّدْيين والبَطْن ممَّا سِوَى ذلك، أشْعَرَ الذِّراعين والمَنْكِبَيْن وأعالي الصَّدْر، طويلَ الزَّنْدَين، رَحْبَ الراحة، سَبْطَ القَصَب، شَثْنَ الكَفَّيْن والقَدَمين، سائلَ الأطراف، خُمْصانَ الأخْمَصَيْن، مَسيحَ القَدَمين، يَنْبُو عنهما الماءُ، إذا زالَ زالَ قَلْعاً، يَخْطُو تَكَفِّئاً[(١)]، ويمشي هَوْناً، ذَريعَ المِشْية، إذا مَشَى كأنما يَنْحطُّ مِن صَبَب، وإذا الْتَفت التَفَت جَميعاً، خافِضَ الطَّرْف، نَظَرُه إلى الأرض أطولُ من نظره إلى السماء، جُلّ نَظَره المُلاحَظَة، يَسُوقُ أصحابَه، ويبدأ مَن لَقِيَه بالسَّلام.

قلت: صِفْ لي مَنْطِقَه.

قال: كان رسولُ الله ﷺ مُتواصِلَ الأحزان، دائمَ الفِكرة، ليست له راحة، طويلَ السَّكْت، لا يتكلَّم في غير حاجة، يفتتح الكلامَ ويختِمه بأشْداقه، ويتكلَّم بجَوامع الكَلِم، فَصْلاً لا فُضولَ ولا تقصيرَ، دَمِثاً ليس بالجافي ولا المُهين، يُعَظِّم النِّعمة وإن دَقَّتْ، ولا يَذُمُّ منها شيئاً، غير أنه لم يكن

---

(١) في الفائق: «تكفـؤ ا». وسيتكلم عليه المصنف.

يَذُمُّ ذَواقاً ولا يَمْدَحُه، ولا تُغْضِبُه الدُّنيا، ولا ما كان لها، فإذا تُعُوطيَ الحَقُّ لم يعرفْه أحدٌ، ولم يَقُمْ لغَضبه شيءٌ حتى ينتصرَ له، لا يغضَبُ لنفسه، ولا يَنْتَصِرُ لها، إذا أشارَ أشارَ بكَفِّه كُلِّها، وإذا تَعجَّب قلَبَها، وإذا تَحدَّث اتَّصل بها، فَيضربُ بباطِن راحته اليُمْنى باطِنَ إبهامه اليُسْرَى، فإذا غَضِب أعرضَ وأشاحَ، وإذا فَرِح غَضَّ طَرْفَه، جُلُّ ضَحِكِه التَّبسُّم، ويَفْتَرُّ عن مثل حَبِّ الغَمام.

قال الحسن: فكَتَمْتُها الحسينَ زماناً، ثم حَدَّثْتُه فوجدتُه قد سَبَقني إليه، فسأله عمَّا سألته، ووجدته قد سأل أباه- يعني علياً كرَّم الله وَجْهَه- عن مَدْخَلِه ومَخْرَجِه وشَكْلِه، فلم يَدَعْ منه شيئاً. فقال: كان دُخولُه لنَفْسه مأذُوناً له في ذلك، فكان إذا أَوَى إلى منزله جَزَّأَ دُخُولَهُ ثلاثة أَجزاءٍ: جزءاً لله عزَّ وجَلّ، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنَفْسه، ثم جَزَّأَ جُزْءَه بينه وبين الناس، فيرُدُّ ذلك على العامَّة بالخاصَّة، ولا يَدَّخِرُ عنهم شيئاً.

وذكَر دخولَ أصحابه عليه فقال: يدخلون رُوَّاداً، ولا يفترقون إلّا عن ذَواق، ويخرجون أدِلَّةً.

وذكر مجلسَه فقال: مجلس حِلْمٍ وحياءٍ وصَبْرٍ وأمانة، لا تُرفَع فيه الأصوات، ولا تُؤبنُ فيه الحُرَم، ولا تُنْثَى فَلَتاتُه، إذا تكلَّم أطرق جلساؤُه كأنما على رُءُوسهم الطَّير، فإذا سكت تكلَّموا، كان دائمَ البِشْر، سَهْلَ الخُلُق، ليِّنَ الجانب، ليس بفَظٍّ ولا غليظ، ولا سَخَّابٍ في الأسواق، ولا فَحَّاشٍ ولا عَيَّاب ولا مَدَّاح، ولا يقبل الثناء إلّا من مُكافىء.

*

* *

هذا حديثٌ مشهور، معروفٌ عند الرُّواة، مَسْطورٌ في كتب العلماء، مُدَوَّنٌ في كتب شمائلِ النبيِّ ﷺ وأوصافِه. وصَدْر الحديث مرويٌّ عن الحَسَن بن عليٍّ، عن هندِ بن أبي هالة، إلى قوله: «مثل حَبِّ الغَمام» وباقيه مرويٌّ عن الحسن عن أخيه الحُسَين، عن أبيهما عليٍّ، وقد حَذَفْنا منه كلاماً كثيراً في صِفة مَدْخَله ومَخْرَجه ومجلسه، وغير ذلك ممّا لا غريبَ فيه، والحديثُ يُعرَف بهِنْدٍ؛ لكونه لا حديثَ عنه سواه، وإن كان أكثُره عن عليٍّ.

وأخرجه ابن قتيبة في غريبه(١)، عن محمد بن عُبَيد، بإسناده عن الحسن بن عليّ.

---

(١) غريب الحديث ١/٤٨٧- ٥٠٧، وانظر أيضاً: الشمائل للترمذي بشرح ملا على القارىء ١/٣٩- ٥٣، والشمائل لابن كثير ص ٥٠- ٥٦، وطبقات ابن سعد ١/٤٢٢، ٤٢٣، ودلائل النبوة لابي نعيم ٣/٢٢٧- ٢٣٠، ودلائل النبوة للبيهقي ١/٢٣٨- ٢٥١، والفائق ٢/٢٢٧- ٢٣١، والرصف لما روى عن النبي ﷺ من الفعل والوصف ١/٦٢- ٦٧، ومجمع الزوائد ٨/٢٧٣- ٢٧٨ (باب صفته ﷺ. من كتاب المناقب)، والخصائص الكبرى للسيوطي ١/١٨٨- ١٩٠.

شرحه

هندُ بن أبي هالَةَ بن زُرارة الأُسَيْديّ التَّميميّ(١)، ربيبُ رسول الله ﷺ، أُمُّه خَديجةُ بنت خُوَيْلد أمُّ المؤمنين، كانت تحت أبي هالَةَ قبلَ النبيّ، فولَدَت له هِنْداً هذا، وهو خال الحَسَن والحُسَين عليهما السلام.

والأُسَيْديّ: منسوبٌ إلى أُسَيِّد بن عَمْرو بن تميم بن مُرٍّ. وأُسَيِّد: تصغير أسودَ، على القَلْب والإدغام، وأهل الحديث ينسُبُون إليه مُشَدَّداً، على واحده، وأهل اللغة يحذفون إحدى الياءين، وتبقى الأُخرى(٢) ساكنةً، طَلباً للخِفَّة، وينسُبُون إليه، وهو مُطَّردٌ فيما كان مِثلَه.

والغالبُ على هندٍ أن يسمَّى به النّساء، ويسمَّى به الرجال قليلاً.

وحِلْية الإنسان: صِفَتُه.

والفَخْم المُفَخَّم: العظيمُ المُعظَّم في العيونِ والصُّدور، أي كان جميلاً مَهيباً عند الناس، وأصل الفَخْم: الضَّخْمُ، ولم يكن ضخماً، وإنما أراد به التعظيم. يقال: رجلٌ فَخْمٌ: أي عظيم القَدْر، وقيل: الفَخامةُ في الوَجْه: نُبْلُه وامتلاؤُه، مع الجمال والمهابة.

والتَّلألُؤ: الإشراق والاستنارة، وهو مأخوذٌ من اللُّؤلُؤ: الجوهر المعروف.

وليلة البَدْر: هي الليلة الرابعةَ عشَرَ من الشَّهر غالباً، وفيها يستكملُ القمرُ نُورَه، وسُمِّيَ بدراً لأنه يُبادِر ليلتئذٍ غُروبَ الشمسِ بطلُوعه في المَشْرِق.

والمَرْبُوع: المعتدل القامة، وسَطاً بين الطويل والقصير.

والمُشَذَّب: الطويل البائن الطُّولِ، مع نَقْصٍ في لحمه، وأصله من النَّخلة الطويلة التي شُذِّب عنها سَعَفُها، أي قُطِعت وفُرِّقت فيُفْحِش طُولُها في مرأى العين، وأكثر ما يقال المُشَذَّب في طُولٍ لا عَرْضَ له، أي ليس بنَحيفٍ طويل، بل طوله وعَرْضُه متناسبان على أتمِّ صِفة.

والهامة: الرأسُ، وعِظَمُ الرأسِ دليلٌ على وُفُور العَقلِ.

والشَّعَر الرَّجِلُ: الذي ليس شديدَ الجُعُودة ولا شديدَ السُّبُوطة، بل بينهما.

---

(١) راجع الاستيعاب ص ١٥٤٤، وأسد الغابة ٤١٧/٥، والإصابة ٢٩٣/٦، وتهذيب الأسماء واللغات ١٤٠/٢، وجمهرة الأنساب لابن حزم ص ٢١٠.

(٢) وكذا جاء في اللباب ٤٩/١، وتكلم عليه ابن دريد في الاشتقاق ص ٢٠٦

والعَقِيصة: الشَّعَر المجموع كهيئة المَضْفُور، فَعِيلةٌ بمعنى مفعولة، من العَقْص: العَطْفِ واللّيّ. وقيل: هي الخُصْلَة من الشَّعَر إذا عُقِصَت.

ويروى: «إن انفرقت عَقِيقَتُه» والعَقِيقة في الأصل: الشَّعَر الذي يخرجُ على رأس الصبيّ حين يُولَد، وبه سُمِّيت العقيقة المَسْنُونة في الذَّبْح عن المولود إذا حُلِق شَعَرُه بعد سبعة أيّام من مولِده، وكان تَرْكُها عندهم عَيْباً وشُحّاً ولُؤماً.

وإنما سَمَّى شَعَرَ النبيِّ ﷺ عقيقةً، لأنه منها؛ ونَباتَه من أُصُولها، كما سَمَّت العربُ أشياءَ كثيرةً بأسامي ما هي منه، أو مِن سَببه.

وذهب بعض الأئمة إلى أن العقيقةَ في هذا الحديث تصحيفٌ، فإن أكثر الروايات: العَقِيصة.

والانفِراق: مُطاوِع فَرَقَ: إذا فَصَل بين الشيئين. أي كان لا يَفْرُق شَعَرَه، إلا أن ينفرقَ هو لنفسه، كأنه يريد أن يُفَرِّق شَعَره بعدما جَمَعه وعَقَصه، يقال: فَرق شَعَره وفَرَّقَه: إذا تَرَك كلَّ شيء منه في مَنْبته منحدراً على حالته، لأنه إذا كان معقوصاً فموضِعُه الذي يجمعُه فيه حِذاءَ أُذُنيه، ثم يُرسِله هناك. قال القُتَيْبِيُّ: كان هذا في صدر الإسلام، يقال: إنه كان يُحبُّ موافقةَ أهلِ الكتاب فيما لم يُؤْمَر فيه بأمرٍ، فَسدَل شَعَره ما شاء الله، موافقةً لأهل الكتاب، ثم فَرَق بعد ذلك.

ووَفَّره: إذا أعفاه عن الفَرْق. يعني أن شَعَره إذا فَرَقه تَجاوزَ شَحْمةَ أُذُنيه، وإذا ترك فَرْقَه لم يُجاوِزْها.

وشَحْمة الأُذُن طَرَفُها الأسفل.

واللونُ الأَزْهَر: الأبيضُ المضيءُ المُسْتَنير، والزَّهْر والزَّهْرة: البياضُ النَّيِّر، وهو أحسن الألوان، وليس بالشَّديد البياض.

والجَبِينان: ما عن جانبي الجَبْهة من مُقَدَّم الرأس.

والزَّجَج: دِقَّة الحاجبين وسُبُوغُهما إلى محاذاة آخر العين مع تَقوُّسٍ خِلْقةً، وقد تفعله النِّساءُ تكلُّفاً، وقد نُهِيَ عنه.

والقَرَنُ: أَن يلتقىَ طَرَفاهما ممّا يلي أَعْلَى الأنف، وهو غير محمودٍ عند العرب، ويستَحِبُّون البَلَج، وهو بياض ما بين رأسيهما وخلوّه من الشَّعَر. والمراد أن حاجبيه قد سَبَغا وامتدَّا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا.

ونَفْيُ القَرَنِ هو الصَّحيح في صفته عليه السلام، دون ما وصفته به أُمُّ مَعْبَد، ويمكن الجَمْعُ

بينهما على أنه لم يكن بالأَقْرَن حقيقةً، ولا بالأَبْلَج حقيقةً، بل كان بين حاجبيه فُرْجةٌ يسيرة، لا تَتَبيَّن إلّا لمن حَقَّق النَّظَر إليها، كما ذَكر في صفة أنفه، فقال: يحسِبه من لم يتأمَّلْه أَشَمَّ ولم يكن أَشَمَّ.

والسَّوابِغ: جمع سابغ، وهو التامُّ الطويلُ، وسُبوغُ الدِّرع: سَعَتُها وتمامُها.

وسوابغ: حال من الحواجب، وهي فاعلةٌ في المعنى؛ لأن التقدير: أزجُّ حواجِبُه، أي دقَّتْ[1] حواجبُه في حالِ سُبُوغِها، ووضَع الحواجبَ، وهي جَمعٌ، مَوْضِعَ الحاجبين، على مذهب من جعل التثنيَة جمعاً، كما جاء في حديثٍ آخر ذِكرُ «السَّوالف»، وإنما هما سالِفان[2]، ومنه قولُه تعالى في شأن داودَ وسليمانَ عليهما السلام[3]: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾.

في أحد التأويلين[4]

وقوله: «بينهما عِرْقٌ يُدِرُّه الغضب». ردَّ الضمير في «بينهما» إلى التثنية على المعنى دون اللفظ. ويُدِرُّه الغضبُ: أي يحرِّكه ويُظهره، كان إذا غضب امتلأ ذلك العِرقُ دماً، كما يمتلىء الضَّرعُ لبناً إذا دَرَّ، فيظهر ويرتفع. وقيل: هو من أدَرَّت المرأةُ المِغْزَل: إذا فتَلَتْه فَتْلاً شديداً.

والعِرْنين: الأنفُ.

والقَنَا: طولُ الأنف ودِقَّةُ أرْنَبته، مع ارتفاعٍ في وَسَط قَصَبته، ورجلٌ أَقْنَى، وامرأةٌ قَنْواءُ.

والشَّمَمُ: ارتفاعُ رأس الأنف، وإشرافُ الأرنبة قليلاً، واستِواء أعلَى القَصَبة. أي كان يُحْسَبُ لحُسْن قَناهُ قبلَ التأمُّل أشَمَّ، فليس قَناهُ بفاحِشٍ مُفْرِطٍ، بل يميل يسيراً إلى الشَّمَم.

والشَّعَر الكَثُّ: الكثيف المُتراكِب من غير طُولٍ ولا رِقَّة، وقد كَثَّ الشَّعَرُ كَثاثَةً، ولِحْيةٌ كَثَّةٌ وكَثَّاءُ، ورجلٌ كَثٌّ، وقومٌ كُثٌّ.

وسَهْلُ الخَدَّين: أي ليس في خَدَّيه نُتُوٌّ وارتفاعٌ، من سَهْلِ الأرض، ضِدَّ حَزْنِها. وقيل: أراد أن خَدَّيه أَسِيلان، قليلا اللَّحم، رقيقا الجلدة.

والضَّليعُ الفَمِ: العظيمُ الواسع، وكانوا يذمُّون صِغَر الفَم. وقال أبو عبيد: أَحْسِبُهُ جِلَّةً في

---

(١) في الفائق: «زجت» والكلام كله فيه.

(٢) هكذا في الأصل. والذي في النهاية (سلف): «سالفتان» بالتاء الفوقية بعد الفاء. وكذلك في كتب اللغة، وقال ثابت في خلق الإنسان ص ٢٠١: «وفي العنق السالفتان، وهما ناحيتا مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى الحاقنة، الواحدة سالفة، والجمع سوالف».

(٣) سورة الأنبياء ٧٨.

(٤) والتأويل الآخر: أن المراد الحاكمان والمحكوم عليه، فلذلك قال: لحكمهم. تفسير القرطبي ١١/٣٠٧.

الشَّفتين وغِلْظةً فيهما.

والضَّلِيع في الأصل: الذي عَظُمتْ أَضلاعُه واتَّسَع جَنْباه، ثم اتُّسِع فيه فاستُعمِل في كلّ عظيم وإن لم يكن ثَمَّ أضلاعٌ.

والشَّنَبُ: رقَّةُ الأسنان ودِقَّتُها وتَحَدُّد أطرافِها، وقيل: هو بَرْدُها وعُذوبتُها، ومنه قولهم: رُمّانةٌ شَنْباءُ، وهي العَذْبَةُ الطَّعمِ، الكثيرةُ الماء. وسُئل رُؤْبَةُ بن العَجّاج عن الشَّنَب، فأخرج حَبَّةَ رُمَّان، وقال: هذا هو الشَّنَبُ.

والفَلَجُ: تَباعُد ما بين الثَّنايا والرَّباعِيَات، ورجلٌ أَفْلَجُ الأسنان، ومُفَلَّجُ الأسنان، قال ابن دُرَيد[1]: لا بُدَّ من ذِكر الأسنان.

والفَرَقُ، بالتحريك: فُرْجةٌ بين الثَّنِيَّتين.

والمَسْرُبَةُ، بضمّ الراء: ما دَقَّ من شَعَر الصَّدْر سائلاً إلى السُّرَّة

والجِيدُ: العُنُق، وإنما ذكرهما لئلّا يتكرَّرَ لفظٌ واحِدٌ.

والدُّمْية: الصُّورة المُصَوَّرة في جدارٍ أو غيره، وجَمْعُها دُمىً.

واعتدال الخَلْق: تناسُبُ الأعضاء والأطراف، وألَّا تكونَ متباينةً مختلفةً في الدِّقَّة والغِلَظ، والصِّغَر والكِبَر، والطُّولِ والقِصَر.

والبادِنُ: الضَّخْمُ التامُّ اللَّحمِ، وقد بَدُنَ[2] يَبْدُن، فهو بَدِينٌ وبادِنٌ.

والمُتماسِك: الذي لَحمُه ليس بمُسْتَرْخٍ ولا مُتهدِّل. ولمَّا وصَفَه بالبَدانة أَتْبعها بالتَّماسُك، كأنّ لحَمه لاكتنازِه واصْطِحابِه يُمسك بعضُه بعضاً؛ لأن الغالبَ على السِّمَن الاسترخاءُ.

وقوله: «سَواءُ البَطْنِ والصَّدْر» أي مُتَساويهما. يعني أن بَطْنَه غيرُ خارج، فهو مُساوٍ لصدره، وصدرُه عَريضٌ، فهو مُساوٍ لبطنه. والأصل في السَّواء: العَدْلُ، يقال: هما في هذا الأمر سواءٌ، وهم فيه سواءٌ، وإن شئتَ: سَواآنِ، وأَسْواءٌ.

والمَنْكِبان: أَعلَى الكتفين، وبُعْدُ ما بينهما يدلُّ على سَعَة الصَّدْر والظَّهْر.

والكَرادِيس: جَمْعُ كُرْدُوسٍ، وهو رأسُ كلِّ عَظْمٍ كبير، ومُلْتَقى كلِّ عَظْمين ضَخْمَيْن،

---

(١) في الجمهرة ٢/١٠٧.

(٢) بضم الدال وفتحها، والفعل من باب كرم ونصر، على ما في القاموس.

كالمَنْكِبين، والمِرْفَقَيْن، والوركَيْن والرُّكبتين، ويريد به ضخامة الأعضاء وغِلَظَها.

والمُجَّرد والمُتَجرَّد: ما كُشِف عنه الثَّوبُ من البَدَن. يعني أنه كان مُشرقَ الجسدِ، نَيِّرَ اللَّون، فوضع الأَنْورَ موضعَ النَّيِّر.

والأَشعرُ: الذي عليه الشَّعر من البدن.

واللَّبَّةُ، بفتح اللام: الوَهْدة التي في أعلا الصَّدْر في أسفَل الحَلْق بين التَّرْقُوَتين.

وقوله: «عاري الثَّدْيَيْن والبَطْن ممَّا سِوى ذلك» أي أن ثَدْيَيه وبطنَه، ليس عليها شَعَرٌ سِوى المَسْرُبة المقدَّم ذِكرُها، الذي جَعَله جارياً كالخَطّ.

والزَّنْدان: العَظْمان اللذان يَلِيان الكفَّ من الذِّراع، رأسُ أحدهما يلي الإِبهامَ، ورأسُ الآخر يلي الخِنْصَر.

والرَّاحَة: الكَفُّ. ورُحْبُها: سَعَتُها، وهو دليلُ الجُود، مُستعاراً، كما أن ضِيقَها وصِغَرها دليل البُخْل.

والشَّثْن: الغَليظُ الأطرافِ والأصابع، وكونُها سائلةً. أي ليست بمُتعقِّدة ولا مُتَجعِّدة، فهي مع غِلَظِها سَهْلةٌ سَبْطة.

ويُرْوى: «سائِنَ الأطراف» بالنون، على الإِبدال[1]، كجبْريل وجِبْرين.

والقَصَب: جمع القَصَبة، وهي كلّ عَظْمٍ أَجْوَفَ فيه مُخٌّ.

والسَّبْط: الممتدُّ في استواء، ليس فيه تَعَقُّد ولا نُتُوٌّ، وتُسَكَّن باؤُه وتُكسَر، ويُوصَف به الشَّعَرُ، والأعضاءُ، والجِلد.

والأَخْمَص من القَدَم: الموضعُ الذي لا يَصِلُ إلى الأرض منها عند الوَطْء، والخُمْصان: المُبالِغ منه. أي إن ذلك الموضعَ من رِجله شديدُ التَّجافي عن الأرض.

وسئل ابن الأَعرابي عنه، فقال: إذا كان خَمَصُ الأخمَص بقَدْر لم يرتفع جداً، ولم يستو أسفُل القدم جدّاً، فهو أحسن ما يكون، وإذا استوى أو ارتفع جدّاً فهو ذَمٌّ. فيكون المعنى حينئذ: معتدل الخَمَص، بخلاف الأول، وكِلا القولين مُتَّجه يحتمله اللفظُ، فإن الخَمَص الجُوعُ وخُلُوّ البَطْن، يقال: رجلٌ خُمْصانُ وخَميصٌ: إذا كان ضَامِرَ البطن.

---

(١) راجع الإبدال والمعاقبة ص ٩٣.

ومَسِيحُ القدمين: أي إن ظاهرهما مَمسوحٌ غير مُتعقِّد، فَعيلٌ بمعنى مفعول، فإذا صُبَّ عليهما الماءُ مَرَّ سريعاً، لملاستهما، فينبو عنهما الماءُ ولا يقفُ، يقال: نَبا الشيءُ عنِّي يَنْبُو: إذا تباعَدَ وتَجافَى، ونَبا السَّيفُ: إذا لم يَعْمل في الضَّريبة.

وقوله: «إذا زالَ زالَ قَلْعاً» قد اختُلف في ضَبط هذه اللفظة، فقال الهَرويّ[1]: قرأت هذا الحَرْفَ في كتاب غريب الحديث لابن الأنباريّ: «قَلِعاً» بفتح القاف وكسر اللام، وكذلك قرأته بخط الأزهريّ. قال[2]: وهذا كما جاء في حديثٍ آخر: «كأنما يَنْحطُّ من صَبَبٍ» والانحدارُ من الصَّبَب، والتَّقلُّع من الأرض قريبٌ بعضُه من بعض، أراد[3] أنه كان يستعمل التَّثبُّت، ولا يَبين منه في هذه الحال استعجالٌ ومبادرةٌ شديدة، وقد جاءت صفته في حديثٍ آخر[4]: «إذا مَشَى تَقلَّع» أراد به قُوَّةَ مَشْيه، وأنه كان يرفع رِجليه من الأرض رَفْعاً قويّاً، لا كمن يمشي اختيالاً ويُقارب خَطْوَه، فإن ذلك من مَشْي النساء، ويُوصَفْن به.

وقيل: هو بفتح القاف وسكون اللام، مصدرٌ بمعنى الفاعل. أي إذا زالَ زالَ قالِعاً لرجله من الأرض، ومنهم من يرويه بضم القاف وسكون اللام، على أنه مصدرٌ أيضاً بهذا المعنى.

والتَّكفُّؤ: تمايلُ الماشي إلى قُدَّامٍ، كما تتكفَّأُ السَّفينةُ والغُصنُ إذا هَبَّت به الرِّيحُ، وأصله من كفأتُ الإناءَ: إذا أَمَلْتَه.

والذي جاء في الرواية: «يمشي تَكَفِّئاً» ورويَ غيرَ مهموز. وفي حديثٍ آخر: «إذا مشى تكفَّى تكفِّياً» والأصل الهمزُ وضَمُّ الفاء؛ لأن الهمزة حرفٌ صحيح يجري عليه الإعرابُ، ومصدر تَفعَّلَ من الصحيح: تَفعُّل، كتقَدَّم تَقدُّماً، وتكرَّم تكرُّماً، وتكفَّأَ تَكَفُّؤاً، فأما إذا اعتلَّ انكسرتْ عينُه، كقولك: تسمَّى تسمِّياً، وتَحفَّى[5] تَحفِّياً، وإذا خفَّفْتَ الهمزة التحقتْ بالمُعْتلّ، فصارت تكفِّياً، بالكسر من غير همز.

والهَوْنُ: المَشْيُ في رِفْق ولِين، غيرَ مُخْتال ولا مُعْجَب.

وفي رواية: «كان يمشي الهُوَيْنا» تصغير الهُونَى، تأنيث الأَهْون، وهو من الأوَّل.

---

(١) الغريبين (قلع).

(٢) أي الأزهري، كما صرح الهروي في الغريبين، وانظر التهذيب ١/٢٥٠.

(٣) وهذا من قول أبي بكر بن الأنباري، كما في الغريبين.

(٤) هو حديث علي بن أبي طالب التالي.

(٥) رسمت في الأصل حاء صغيرة تحت الحاء، إشارة إلى الإهمال.

والذَّريع: السَّريع. أي إنه كان واسعَ الخَطْو، فيَسْرُع[1] مَشْيُه، وربما يُظَنّ أن هذا ضِدٌّ للأول، ولا تَضادَّ فيه، لأن معناه أنه كان مع تَثَبُّته في المشي يُتابع بين الخُطُوات ويُوسِعُها فيَسبِق غيرَه.

والصَّبَب: الموضعُ المُنحدِر من الأرض، وذلك دليلٌ على سُرعة مشيه، لأن المنحدرَ لا يكاد يثبُتُ في مَشْيه.

وفي رواية: «كأنما يَهْوي من صَبُوبٍ» يروى بالضمّ والفتح، فالضمّ جمع صَبَبٍ، وهو المنحدِر من الأرض، والفتح اسمٌ لِما يُصَبُّ على الإنسان من ماءٍ وغيرِه.

وهَوَى يَهْوي: إذا نزل من موضعٍ عالٍ.

وقوله: «وإذا التَفَتَ التفتَ جميعاً» أي لم يكن يَلْوي عُنُقَه ورأسَه إذا أراد أن يلتفتَ إلى ورائه فِعْلَ الطائشِ العَجِل، إنما يُديرُ بدَنَه كلَّه وينظر، وقيل: أراد أنه كان لا يُسارِق النَّظَر.

وخَفْض الطَّرْف: ضِدّ رفعه، وهو الغَضُّ منه والإطراقُ.

وجُلُّ الشيء: مُعْظَمُه وأكثرُه، من الجَلِيل، خِلافِ الدَّقيق.

والملاحَظة: أن ينظر الرجل بلَحْظ عَيْنِه، وهو شِقُّها الذي يلي الصُّدْغ والأُذن، ولا يُحدِّق إلى الشيء تَحْديقاً، يقال: لَحَظ لَحْظاً، ولاحَظَ مُلاحَظَةً.

والطَّرْف: العَين، مُسَمّىً بالمصدر، ولذلك لا يُثَنّى ولا يُجْمَع، وكانت الملاحظةُ مُعْظَمَ نظرِه وأكثَرَه، وهو دليل الحياء والكرم.

وقوله: «نظرُه إلى الأرض أطولُ من نظره إلى السماء» تفسيرٌ لخَفْض الطَّرْف والملاحَظة.

ويَسُوق أَصحابَه: أي يُقَدِّمُهم أمامَه، ويمشي وراءَهم.

ويروى: «يَنُسُّ أَصحابَه» والنَّسُّ: السَّوْق، وقد نَسَّه يَنُسُّه نَسّاً.

وتَواصُلُ أحزانِه، ودوامُ فِكره وعدَمُ راحته: لاهتمامه بأَمْر الدِّين، والقيام بما بُعث به، وكُلِّف تبليغَه، وخوفِه من أُمور الآخرة، ويَشْهَدُ له قولُه ﷺ: «أنا أَعْرَفُكم بالله، وأَشَدُّكم له خوفاً».

والسَّكْت: السُّكوت، وهما مصدران.

والأَشْداق: جمع شِدْق، وهو جانب الفم، وإنما يتكلّم الرجل بأَشداقه لرُحْبها وسَعَتها،

(١) هكذا ضبط في الأصل بفتح الياء وضم الراء، وهو من باب صغر- بفتح فضم- كما ذكر في المصباح.

والعرب تَمتدِح بذلك، ورجلٌ أَشْدَقُ: بيِّنُ الشَّدَق. فأما الحديث الآخر: «أبْغَضكم إليَّ المُتشدِّقون» فقيل: أراد المُسْتهزئين بالناس، كالذي يَلْوي شِدْقَه بهم وعليهم، وقيل: أراد المتوسِّعَ في الكلام، كِبْراً وعُجْباً، في غير احتياطٍ واحتراز. وقيل: هو أن يفتح فاهُ كلَّه عند الكلام، ويتكلَّمَ بِملءِفَكَّيه.

وجَوامع الكَلِم: هي القليلة الألفاظ الكثيرة المعاني، جَمْعُ جامِعَةٍ، وهي اللفظة أو اللَّفَظات الجامعة للمعاني، ومنه الحديث الآخَر: «أُوتيت جَوامِعَ الكَلم» يعني القرآن.

والقولُ الفَصْلُ: هو البَيِّنُ الظاهِرُ المحكَم الذي لا يُعابُ قائلُه، وحقيقته: الفاصِلُ بينَ الحقِّ والباطِل والخطأ والصواب.

والفُضُول من الكلام: ما زادَ عن الحاجة وفَضَلَ، ولذلك عطَفَ عليه، فقال: «ولا تقصيرَ.

والدَّمِثُ: السَّهْلُ اللَّيِّن الخُلُقِ، وأَصلُه من الدَّمَث، وهي الأرض اللَّيِّنة السَّهْلة.

والجافي: المُعْرض المتباعدُ عن الناس، من الجَفاءِ: تَرْكِ الصِّلَة والبرِّ، وقيل: الجافي: الغَليظُ الخِلْقةِ والطَّبعِ، وقد جفا أَصحابَه يَجْفُوهم: إذا قاطَعَهم، أو خَشُنَ عليهم.

والمُهين: يُرْوَى بضمّ الميم وفتحها، فالضمُّ من الإهانة، وهي الإذلالُ والاطِّراحُ. أي لا يُهينُ أحداً من أَصحابه أو مِن الناس، والفتح: هو من المَهانة: الحقارةِ والصِّغَر، وقد مَهُنَ يَمْهُن فهو مَهِينٌ، والميم فيه أَصلية، وفي الأول زائدة.

وقوله: «يُعَظِّم النِّعمةَ» أي لا يستصغر شيئاً أُوتِيَه وإن كان صغيراً.

ودَقَّ الشيءُ يَدِقُّ: إذا صَغُر مِقدارُه، والدَّقيق في الأصل: ضِدّ الغليظ، ثم اتُّسع فيه فاستُعمل في المعاني، ويكون في مقابلة الجَلِيل أَيضاً.

والذَّواقُ: اسم ما يُذاق باللِّسان، أَي لا يصفُ الطَّعامَ بطِيبٍ ولا بَشاعة.

وقوله: «إذا تُعُوطِيَ الحقُّ لم يعرفْه أَحدٌ» أَي إذا نِيلَ من الحَقِّ، أَو أُهمِل، أَو تُعُرِّضَ للقَدْح فيه، تنكَّر عليهم وخالَفَ عادتَه معهم، حتى لا يكادُ يعرفُه أَحدٌ منهم، ولا يثْبُتُ لغَضبه شيءٌ حتى ينتصرَ للحَقّ.

والتَّعاطي: تفاعُلٌ من عَطَا يَعْطُو: إذا أَخذ وتَناوَلَ.

وقوله: «وإذا تحدَّث اتَّصل بها» أَي إنه كان يشير بكفِّه إلى حديثه، وتفسيره قوله: «فيضربُ بباطن راحتِه اليمنى باطنَ إبهامه اليُسرى».

وأشاحَ: إذا بالَغَ في الإعراض وجَدَّ فيه. وقيل: المُشِيح: المُبالغ في كلِّ أمر. أي إذا غَضِب لم يكن يَنْتَقِمُ ويُؤَاخِذُ، ويقنعُ بالإعراض عمَّن أغضبه.

وغضُّ الطَّرْف عند الفَرَح: دليلٌ على نَفْي البَطَر والأَشَر.

والتَّبَسُّم: أَقلُّ الضَّحك وأدناه، وقد بَسَم[1] يَبْسِمُ وتَبسَّم، فهو باسمٌ ومُتبِّسمٌ، والمَبْسِمُ: الثَّغْر.

وَيْفتَرُّ: أي يكشف عند التبسُّم عن أسنانه من غير قَهْقهة، وأَصله من فَرَرْتُ الدابَّةَ أَفُرُّها[2] فَرّاً: إذا كشفتَ شَفَتها لتتعرَّفَ مِقدارَ سِنّها.

والغَمامُ: السَّحاب، وحَبُّه: البَرَدُ.

والشَّكْل هاهنا، بفتح الشين، وهو السِّيرةُ والطريقةُ، وشكلُ الإنسان: مِثلُه.

وأَوَى إلى المنزلِ يَأْوي: إذا رجَع.

والتَّجزئةُ، مهموزةً: القِسْمة. وقد جَزَأْتُ الشيءَ أَجْزَؤُه جَزْءاً، وجَزَّأْتُه تَجْزِئةً: إذا قَسَمْتَه وجعلتَه أَجزاءً، والاسم: الجُزْءُ، بالضمّ.

والجُزءُ المختصُّ بالله تعالى: هو اشتغالُه بعبادته ومناجاتِه في ليله ونهاره. والجزءُ المختصُّ بأهله: هو الوقت الذي يَصْحَبُهم ويعاشرهم فيه. والجزءُ المختصُّ بنفسه: هو الذي لا يتعَّبد فيه ولا يعاشر أهلَه، فقَسَمه بِقسْمين بينَه وبينَ الناس.

وقوله: «فيرُدُّ ذلك على العامَّة بالخاصَّة» أراد أن العامَّةَ كانت لا تصلُ إليه في هذا الوقت، فكانت الخاصَّةُ تُخبر العامَّةَ بما سمعتْ منه، فكأنه أوصَلَ الفوائدَ إلى العامَّة بالخاصَّة، وقيل: إن الباء في «الخاصَّة» بمعنى «مِن» أي يجعل وقتَ العامَّة بعد وقت الخاصَّة وبَدَلاً منهم، كقول الأعشى[3]:

على أَنَّها إذْ رَأَتْني أُقـا ... دُ قالتْ بِما قد أَراهُ بَصِيراً

أي هذا العَشَا مكان ذلك الإبصار، وبَدَلٌ منه[4].

---

(١) من باب ضرب.

(٢) بضم الفاء، كما نص عليه في اللسان.

(٣) ديوانه ص ٩٥.

(٤) وهذا رأي ابن جني. وقيل: إن «بما» في البيت بمعنى «ربما». راجع الخصائص ١٧٣/٢، وحواشيه. وانظر النهاية (عمم).

والرُّوَّاد: جمع رائد، وهو الذي يتقدَّم القومَ يكشفُ لهم حالَ الماء والمرعَى قبل وصولهم

ويخرجون أدِلَّةً: جمع دليلٍ ، أي يدلُّون الناسَ بما قد عَلِمُوه منه وعَرَفُوه. يريد أنهم يخرجون من عنده فُقهاءَ.

ويروى بالذال المعجمة، جمع ذَليل. يريد به: يخرجون من عنده متواضِعين مُتَّعظين بما سمعوا، من قوله تعالى(١): ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله: «لا يَفْتَرِقُون إلَّا عن ذَواق» ضَرب الذَّواقَ مثلًا لما ينالُون عنده من الخير، أي لا يتفرَّقون إلا عن علمٍ يَتَعلَّمونه يقوم لهم مَقامَ الطعامِ والشراب، لأنه يحفظ الأرواح، كما يحفظان الأجسام.

وقوله: «لا تُؤْبَنُ فيه الحُرَمُ» أي لا تُقْذَف وتُرْمَى بعَيْبٍ. يقال: أَبَنْتُه بكذا آبِنُهُ(٢)، ومنه حديث الإفك: «أشيروا عليَّ في أُناسٍ أَبَنُوا أهلي».

والحُرَمُ: جمع حُرْمةٍ، وهي المرأة وما يلزم الإنسانَ حفظُه وصَوْنُه.

وقوله: «لا تُنْثَى فَلَتاتُه» أي لا يُتَحدَّث عن مجلسه بهَفْوَةٍ أو زَلَّةٍ، إن حدثَتْ فيه من بعض القوم. يقال: نَثَوْتُ الحديثَ فأنا أَنْثُوه نَثْواً: إذا أَذَعْتَه.

والفَلَتاتُ: جمع فَلْتة، وهي هاهنا الزَّلَّة والسَّقْطة. وقيل: معناه أنه لم يكن فيه فَلَتاتٌ فتُنْثَى(٣).

والإطراق: خَفْضُ الرَّأسِ، وإدامةُ النَّظرِ إلى الأرضِ بينَ يديه.

وقوله: «كأنما على رُؤُوسهم الطَّيرُ» يصفهم بالسُّكون والثَّباتِ في المجلس، لأن الطير لا تسقط إلا على ساكن. وقيل: أصلُ هذا المثل أن النبيَّ سليمان عليه السلام كان يقول للرِّيح: أقِلِّينا، وللطَّير: أَظِلِّينا. فكان أصحابه يَغُضُّون أبصارَهم ويُطرقُون ساكنين، هَيْبةً له، لا يتكلّمون إلّا

---

(١) سورة المائدة ٥٤.

(٢) بضم الباء وكسرها، كما في اللسان.

(٣) توجيه هذا الكلام أن العرب قد تنفي صفة عن شيء ما، والمراد نفي هذا الشيء أصلًا، وعلى ذلك وجهوا قول المتنبي:

يُعْطي فلا مَطْلُه يكَدِّرُها   بها ولا مَنُّه يُنكِّدها

قال ابن الشجري: وليس يريد بقوله: فلا مطله يكدرها، وقوله: ولا منه ينكدها: أن له مطلا لا يكدر، ومنا لا ينكد، وإنما أراد انتفاء المطل والمن عنه البتة. أمالي ابن الشجري ١٩٢/١، وديوان المتنبي ٣٠٤/١، وقد كشف هذا الباب وأوضحه أبو الفتح ابن جنى، في الخصائص ١٦٥/٣، ٣٢١، وانظر الخزانة ٢٧٣/٤، والكشاف ٤٧٠/١، في تفسير قوله تعالى: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا﴾ سورة آل عمران ١٥١.

جَواباً، فقِيل للقوم إذا سَكَنُوا: كأنَّما على رُؤُوسهم الطَّير[١]

والبِشْر: طَلاقةُ الوَجْه وبشاشَتُه.

والفَظُّ: السَّيِّىء الخُلُق، وقد فَظَّ يَفَظُّ[٢] فَظاظةً.

والسَّخَّاب: فَعَّالٌ من السَّخَب، وهو الضَّجَّة واضطرابُ الأصوات، والخِصامُ، ويروى بالسين والصاد، على الإبدال[٣].

والفَحَّاش والعَيَّاب: فَعَّال للمبالغة من الفُحْش في القول، وعَيْبِ الناس والوقيعةِ فيهم.

وقوله: «لا يَقبل الثناءَ إلا من مُكافىء» يريد[٤] أنه كان إذا ابُتدِىء بثناءٍ ومدحٍ، كَره ذلك، وإذا اصطنع معروفاً فأثْنَى عليه مُثْنٍ، وشكَر له، قَبل ثناءَه. وأنكر ابنُ الأنباريّ[٥] هذا التأويلَ، وقال[٦]: المعنى أنه لا يقبل الثناءَ عليه ممّن لا يعرف حقيقةَ إسلامه، ولا يكون من المنافقين الذين يقولون بألْسِنتهم ما ليس في قلوبهم. وقال الأزهريُّ[٧]: فيه قولٌ ثالث، أي لا يقبل الثَّناءَ إلَّا مِن مُقاربٍ[٨] غيرِ مُجاوزٍ حَدَّ مثلِه، ولا مُقَصِّرٍ عمَّا رفعه الله إليه.

والمكافأة: المُجازاة على الشيءِ. يقال: كافأتُه أُكافِئه مُكافأةً. والتكافُؤ: التَّساوي[٩].

---

(١) راجع مجمع الأمثال ١٤٦/٢، والمستقصى ٢٠١/٢، وجمهرة الأمثال ١٤٣/٢.

(٢) بفتح الفاء في المضارع. وهو من باب تعب، كما في المصباح.

(٣) راجع الإبدال والمعاقبة ص ٦٠.

(٤) هذا التأويل لابن قتيبة. غريب الحديث ٥٠٧/١.

(٥) في الاصل: «ابن الأعرابي». وهو خطأ أثبت صوابه من الغريبين والنهاية (كفأ). ويلاحظ أن ابن الأعرابي محمد بن زياد توفى سنة ٢٣١، فيبعد أنه يتعقب ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦، وأيضاً فإن نقد أبي بكر الأنباري لابن قتيبة معروف ومذكور في كتب الغريب واللغة. انظر مقدمة تحقيق غريب الحديث لابن قتيبة ص ٧٣.

(٦) جاء كلام ابن الأنباري الذي تعقب فيه ابن قتيبة، في الغريبين أَتَمَّ من هذا، قال الهروي: قال أبو بكر بن الأنباري: هذا غلط بيّن، لأنه عليه السلام لا ينفكّ أحدٌ من إنعامه، إذ كان الله تعالى قد بعثه إلى الناس كافة، ورحم به، وأنقذ به، وانتاش به، فنعمه سابقة إليهم، لا يخرج منها مكافىء ولا غير مكافىء، هذا والثناء عليه فرض لا يتم الإسلام إلّا به، وإنما المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه الا من رجل يعرف حقيقة إسلامه، ولا يدخل عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم، فإذا كان المثنى عليه بهذه الصفة قبل ثناؤه وكان مكافئاً ما سلف من نعمة النبي ﷺ عنده، وإحسانه إليه.

(٧) لم أجده في ترجمة (كفأ) من تهذيب اللغة.

(٨) في الغريبين: إلا من مكافىء: أي من مقارب في مدحه، غير مجاوز به حدَّ مثله، ولا مقصّر به عمّا وفّقه الله تعالى إليه، ألا تراه يقول: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى عليه السلام، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله. فإذا قيل: هو نبي الله ورسوله فقد وصف بما لا يجوز أن يوصف به أحدٌ من أمته، فهو مدحٌ مكافىءٌ له.

(٩) بحاشية الأصل: بلغت القراءة بالأصل إلى هنا. والحمد لله وحده.

حديثٌ آخرُ في صفة النبيِّ ﷺ

كان عليّ بن أبي طالب إذا نعت رسولَ الله ﷺ قال: لم يكن بالطَّويل المُمَّغِط، ولا القصير المتردِّد، كان رَبْعةً من القوم، ولم يكن بالجَعْد القَطَط ولا السَّبط، كان جَعْداً رَجلاً، ولم يكن بالمُطَهَّم ولا المُكَلْثَم، أبيضُ مُشْرَبٌ، أَدْعَجُ العينين، أَهْدَبُ[1] الأشفارِ، جَلِيلُ المُشَاشِ والكَتَدِ، أَجْرَدُ، شَثْنُ الكَفَّين والقدمين، دَقِيقُ المَسْرُبة، إذا مشَى تقلَّع[2]، كأنما يمشي في صَبَبٍ[3]، وإذا التفتَ التفت معاً[4]، بين كتفيه خاتَمُ النُّبُوَّة، وهو خاتَمُ النَّبِيين، أجْودُ الناسِ كَفّاً، وأرحبُ الناس صَدْراً، وأصدقُ الناسِ لهجةً، وأوفى الناسِ بِذمَّةٍ، وألْيَنُهم عَريكةً، وأكرمهم عِشْرةً. مَن رآه بَدِيهةً هابَه، ومَن خالَطَه معرفةً أحَبَّه. يقول ناعِتُه: لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه.

زادَ في رواية أخرى: كان ضَخْمَ الرأسِ، عظيمَ العينين، كَثَّ اللِّحيةِ، أزهَرَ اللَّوْن، أبيضَ، مُشْرَباً بياضُه حُمرةً، أسودَ الحَدَقة، لا قصيرٌ ولا طويلٌ، وهو إلى الطُّولِ أَقْرَبُ، ليس بالطويلِ البائن، ولا الطويلِ المُتَثنِّي، ولا القصير الفاحش، شَعَرُه إلى شحمة أُذُنه، عريضَ الجَبْهة، مُفَلَّجَ الثَّنايا، أَسيلَ الخدِّ، على شفته السُّفْلى خالٌ، كأنَّ عُنُقَه إبريقُ فِضَّة، بعيدَ ما بين المنكِبَيْن، كأنّ كفَّه مِن لِينها مَسُّ أرْنَب، كأنّ عَرَقَه اللُّؤلُؤ، وإذا جاءَ مع القوم غَمَرهم، وإذا ضَحِك تبسَّم، ليس بسَخَّابٍ في الأسواق.

هذا ما رُوِي في صفته عن عليِّ بن أبي طالب، على اختلاف طُرُقه، بإسقاط المتكرّر منها في الطُّرق.

---

(١) بحاشية الأصل: هَدِب.

(٢) بحاشية الأصل: تكفأ.

(٣) بحاشية الأصل: «صعد». وعلى هذه الرواية اقتصر المصنف في الشرح.

(٤) بحاشية الأصل جميعاً.

ورُوى في صفته عن جماعة من الصحابة غير عليّ: أنه كان أَزْهَرَ اللون، ليس بالأبيض الأَمْهَق، شَبْحَ الذِّراعَيْن، ضَرْبَ اللحم بين الرِّجلين، كانت في عينه شُكْلَةٌ، أَسْجَرَ العينين، في خاصِرَتْيه انفتاق، مُفاضَ البَطْن، وافِرَ السَّبَلَة، أخضرَ الشَّمَط، أبيضَ مُقَصَّداً[1]، لم يكن بعُطْبُولٍ ولا بقصير، أَفْلَجَ الأسنان، أَشْنَبَها، سَهْلَ الخدَّين صَلْتَهما، فَعْمَ الأوصال، أَكْثَرُ شَيْبِه في فَوْدَيْ رأسه، كان إذا رَضِيَ وسُرَّ كأنَّ وجْهَه المِرآة، وكأنَّ الجُدُرَ تُلاحِكُ وَجْهَه، وكان فيه شيءٌ مِن صَوَرٍ، يَبُذُّ القومَ إذا سارَعَ إلى خَيرٍ، أو مشى إليه، ويسوقُهم إذا لم يُسارِع إلى شيء، بمَشْيه الهُوَيْنا، وكان من أَزْمَتِهم في المجلس.

*

* *

أخرج أبو عبيد[2] طَرَفاً من أول حديث عليٍّ، بإسناده عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية، عن عليٍّ، وأخرج الزمخشريّ[3] أكثره بغير إسنادٍ على عادته، وأخرج طُرُقَه كلَّها جماعةٌ من الأئمة الحُفَّاظ، فَجَمعْنا بينَ ألفاظِهم، وأسقَطْنا المتداخِلَ منها.

شرحه

كثير من ألفاظ هذا الحديث قد تقدَّم شرحُها في الحديث الذي قبلَه، فلا حاجةَ إلى إعادتها، وإنما نشرح هاهنا ما عدا تلك الألفاظ، مما انفرد بها هذا الحديث، وهي:

النَّعْت: الصِّفة، يُقال: نَعَت الشيءَ وانْتَعَته، فهو ناعِتٌ: إذا وصَفه.

والمُمَّغِط، بتشديد الميم الثانية: الشديدُ الطُّول، وأصلُه: مُنْمَغِط، فأُدغمت النون في الميم، يقال: مَغَطتُ الحبلَ، وكلّ شيء ليّن إذا مَدَدْتَه، فامَّغَطَ، ومنه انمغط النهارُ: إذا امتدَّ. ويروى بالعين المهملة، وهو بمعناه، وفَسَّره الأصمعيّ فقال: المُمَغَّط - يعني بتشديد الغين - الذاهب

---

(١) بحاشية الأصل: معضداً.

(٢) غريب الحديث ٢٣/٣ - ٢٨، وأخرج أبو عبيد أيضاً جزءاً من صفة النبي ﷺ في ١٢١/١.

(٣) الفائق ٣٧٦/٣ - ٣٧٨، وانظر أيضاً: صحيح البخاري (باب الجعد. من كتاب اللباس) ٢٠٧/٧، ٢٠٨، ومسند أحمد ٩٦/١، ١١٦، ١١٧، ١٢٧، ١٣٤، ١٥١ (مسند على بن أبى طالب) و ٣٢٨/٢، ٤٤٨ (مسند أبى هريرة)، وعارضة الأحوذي بشرح الترمذي باب ما جاء في صفة النبي ﷺ من كتاب المناقب ١١٦/١٣، ١١٧ والشمائل للترمذي بشرح ملا على القارىء ٢٤/١ - ٣٤، وجامع الأصول ٢٢٤/١١ - ٢٢٨، وطبقات ابن سعد ٤١٠/١ - ٤١٣، والروض الأنف ٢٤٧/١، ٢٤٨، والاكتفا ٣٨٢/١، والرصف لما روي عن النبي ﷺ من الفعل والوصف ٦٧/١، ٦٨، والخصائص الكبرى للسيوطي ١٨١/١ - ١٨٨.

طُولاً. قال: وسمعت أعرابيّاً يقول في كلامه: فَمغَّط في نُشَّابته، أي مَدَّها مَدّاً شديداً.

والمُتردِّد: الذي تردَّد بعضُ خَلْقه على بعضٍ، فاجتمع بدَنُه وتداخَلَ قِصَراً.

والجَعْدُ في صِفات الرِّجال يكون مدحاً وذَمّاً، فإذا كان مدحاً فمعناه أن يكونَ شديدَ الأَسْر والخَلْق، أو يكون جَعْدَ الشَّعَر؛ لأنّ الجُعُودةَ تَغلِبُ على شُعورِ العَرب، والسُّبُوطة، وهي ضِدُّ الجُعُودة، أكثرُها في شُعورِ العَجَم.

وإذا كان الجَعْدُ ذَمّاً فهو القصير المتردِّدُ الخَلْق، وقد يُطلَق على البخيل، فيقال: هو جَعْدُ اليدين، والمرادُ به في هذا الحديث الشَّعَرُ، ولذلك أَتْبَعه بالقَطَط، وهو المتناهي الجُعُودة، كشَعَر الزُّنُوج.

والسَّبَط: الذي لا جُعُودةَ فيه أصلاً، وتفتح باؤه وتُسكَّن، ولذلك أَتْبَعه فقال: «كان جَعْداً رَجِلاً» أي وسطاً بين الطَّرَفين.

والمُطَهَّم: المنتفخ الوَجْهِ، وقيل: الفاحشُ السِّمَن، وقيل: النَّحيفُ الجسمِ. وقيل: الطُّهْمة في اللونِ: أن تَتجاوزَ سُمرتُه إلى السَّواد، ووجْهٌ مُطَهَّمٌ: إذا كان كذلك[1].

والمُكَلْثَم: المستديرُ الوجه، ولا يكون إلّا مع كثرة اللحم[2]، وقيل: هو القصير الحَنَك، الداني الجَبْهة مع الاستدارة.

والمُشْرَب من الألوان: الذي خالَطَ بياضَه حُمرةٌ، كأنه أُسْقِيها فشربها، وقد يُشَدَّد للتكثير.

والأَدْعَج: الشَّديدُ سوادِ العين، مع سَعَتها.

والأَهْدَب: الطَّويلُ شَعَر الأجفان، والهَدِبُ بمعناه، كما يقال: أَمْعَرُ[3] ومَعِرٌ، وأَزْعَرُ وزَعِرٌ.

والمُشاشُ: رُؤُوسُ العِظام، كالمَنْكِبين والمِرْفَقين والرُّكبتين، واحدُها: مُشاشة، وقال

---

(١) قال الهروي في الغريبين (طهم): «قال أحمد بن يحيى [وهو ثعلب]: اختلف الناس في تفسير هذا الحرف، فقالت طائفة: هو الذي كل عضو منه حسن على حدته، وقالت طائفة: المطهم: الفاحش السمن. وقيل: هو المنتفخ الوجه، ومنه قول الشاعر:

ووجهٌ فيه تطهيمُ

أي انتفاخ وجهامة، وقالت طائفة: هو النحيف الجسم، قال أبو سعيد: الطهمة والطخمة في اللون: تجاوز السمرة إلى السواد، ووجه مطهم: إذا كان كذلك».

(٢) بعد هذا في الفائق: أراد أنه كان أسيلا مسنون الخدين.

(٣) وهو القليل الشعر، والأزعر مثله.

الجوهري[1] : المُشاشُ: رُؤُوس العِظام اللَّيِّنة التي يمكن مَضْغُها.

والمُرادُ الأول. يريد أنه كان عظيمَ رُؤُوسِ العِظام، غليظَها، وهو دليلُ القُوّة والشدّة.

والكَتَدُ، بفتح التاء وكسرها: ما بين الأكتاف إلى الظَّهر.

والصَّعَد: مِثْلُ الصَّبَب. هكذا شرحه أبو موسى، والمعروفُ في الصَّعَد أنه خِلاف الصَّبَب، ووَجْهُه إن صَحَّت الرواية أنه كأنما يمشي مُنْحَدِراً في موضعٍ فيه صُعودٌ وارتفاع.

والأصل في «مَعاً»: مَعَ، وهي كلمةٌ تدلُّ على المصاحبة، تقول: جاء زيدٌ مع عمرو، وهو ظرف مكان، لوقوعه خبراً عن الجُثَّة، والألف التي تلحَقُها في قولك: «مَعاً» هي بمنزلتها في قولك: صَبَبْتُ دماً، وقيل: بمنزلتها في قَفاً، على أنه اسمٌ مقصورٌ، والأول أكثر، تقول: جاء القومُ مَعاً، أي مجتمعين.

والجُودُ: العطاء.

والرُّحْبُ: السَّعَة، وإنما خَصَّ الجُودَ بالكفِّ، والسَّعَةَ بالصَّدْر، لأن العطاءَ باليد، والحِلْمَ والاحتمالَ بالقَلْب الذي محلُّه الصَّدرُ.

واللَّهْجةُ: اللِّسان، ويُعَبَّر به عن القول والكلام.

والذِّمَّةُ: العَهْدُ والأمان.

والعَريكةُ: الخَلِيقة والسَّجِيَّة، يقال: فلانٌ لَيِّنُ العريكة: إذا كان سَلِساً مُنْقاداً.

والعِشْرةُ: الصُّحْبة.

والبَدِيهةُ: المُفاجأة.

والهَيْبة: الخَوْفُ والاحترام.

والطَّويل البائن: الخارجُ عن الاعتدال، وكأنه من البَيْن: البُعْد.

والمُتَثنيِّ: المُنْعَطِف لشِدَّة طوله.

وأَسِيلُ الخَدِّ: هو القليلُ اللَّحمِ من غير نُتُوٍّ.

والخالُ: الشامَةُ.

---

(١) في الصحاح (مشش).

وغَمَرهُم: أي عَلا عليهم واشْتَهر مِن بينهم.

والأَمْهَقُ: اللَّونُ الذي لا يُخالطه شيءٌ من الحُمرة، وليس بَنيِّرٍ كلون الجِصِّ.

والشَّبْحُ: العَريضُ، يقال: رجُلٌ شَبْحُ الذِّراعين ومَشْبُوحُهُما، وقد شَبُحَ، بالضَّمِّ.

والضَّرْبُ: الخَفيف اللَّحم بين السَّمين والنَّحيف.

والشُّكْلَة: أن يُخالطَ بياضَ العين حُمرةٌ يسيرة.

والشُّهْلَة: حُمرةٌ في سَوادِها.

والسُجرةُ: مِثل الشُّكْلة، أو قريبٌ منها، وعَينٌ سَجْراءُ: بَيِّنَةُ السَّجَر.

والانْفِتاق: الاسترخاء، أي لم يكن منتفخَ الخاصِرتين.

والمُفاضُ: أن يكونَ فيه امتلاءٌ، وهو عند العَرَب من علامات السُّؤْدَد، وقد وُصِف في الحديث الآخَر أنه خَمِيصُ البَطن، ووَجْه الجمع بينَهما أن يكون ضامِرَ أعلى البطنِ، مُفاضَ أسْفَلِه، وكذلك قد وُصِف في حديثٍ بالسُّمْرة، وفي هذا بالبياض المُشْرَب، ووَجْه الجمعَ بينهما، أن تكون السُّمرة فيما يظهرُ للشمس من بدَنه، والبياضُ فيما تُواريه الثِّياب[1].

والسَّبَلَة، بالتحريك: مُقدَّم اللِّحية، وما انحدَر منها على الصَّدر، وقيل: هي الشَّعَراتُ التي تحت اللحْي الأسفل. وقال الجوهريّ[2]: السَّبَلَة: الشارِبُ، والجمع: السِّبالُ.

والشَّمَطُ: الشَّيْبُ واخضِرارُه من الطِّيب والدُّهن المُرَوَّح[3]. ومنه الحديث الآخَر: «أنه كان قد شَمِطَ مُقَدَّم رأسِه ولِحْيته، فإذا ادَّهَن وامْتَشَط لم يَتَبيَّن، وإذا شَعِثَ شَعَرُه تبيَّن وظَهَر».

والمُقَصَّد: المُعْتدِلُ الخَلْق الذي ليس بجَسيمٍ ولا طَويلٍ ولا قصير، كأنّ خَلْقَه نُحِيَ به القَصْدُ من الأمور، وهو العَدْل الذي لا يميلُ إلى أحد طَرَفي التفريط والإفراط.

والمُعَضَّد: المُوَثَّق الخَلْقِ، وكأنه من المعُاضَدة: المُعاوَنة والمساعدة.

والعُطْبُول: الطَّويل.

والصَّلْتُ: الأملَس النَّقيّ.

---

(١) هذا كله من كلام الزمخشري في الفائق.

(٢) في الصحاح (سبل).

(٣) المروح: أي المطيب بالمسك، كأنه جعل له رائحة تفوح بعد أن لم تكن له رائحة.

والفَعْمُ: المُمْتَلِئُ وقد فَعُم، بالضمّ، فَعامَةً وفُعُومةً.

والأوصال: الأعضاء، واحدها: وَصَلٌ، بالتحريك[1].

وفَوْدا الرأسِ: جانِباه، والفَوْدُ أيضاً: مُعْظَم شَعَر الرأسِ.

والمُلاحَكَةُ: شِدَّة المُلاءَمة والالتِحام، يقال: لا حَكْتُ البُنيانَ: إذا ألحَمْتَ أجزاءَه، وأدخلْتَ بعضَها في بعض، والمعنى أن حِيطانَ البيت تُرَى في وَجْهه لوضاءته ونُوره كما تُرى في المِرآة.

والصَّوَرُ، بالتحريك: المَيْلُ. قال الخَطّابيّ: يُشبه أن تكون هذه الحالُ في مَشْيه إذا جَدَّ به السَّيرُ واستَعْجل.

والبَذُّ: السَّبْق، يقال: بَذَّهم يبُذُّهم بَذّاً.

والهُوَيْنا: التَّأنِّي في المَشْي، واللينُ. يريد أنه كان يسبق أصحابَه عند الإسراع إلى الخير، ويتأخَّر عن أصحابه إذا لم يُسرِع.

والزَّمْت: الثَّبات والوَقار والرَّزانة، يقال: رجلٌ زَمِيتٌ وزِمِّيتٌ، بالكسر والتشديد للمبالغة، وفُلانٌ أَزْمَتُ القومِ: أي أَوْقَرُهم.

---

(١) هكذا يقيده المصنف بالتحريك، ولم يضبطه في النهاية. والذي في اللسان والقاموس، بضم الواو وكسرها، كعُضو وشِلْو.

حَدِيثُ كِتَابِ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَار

كتب رسولُ الله ﷺ بين قريشٍ والأنصار كتاباً، وفي الكتاب أنهم أمّةٌ واحدة دون الناس، المهاجرون من قريش على رِباعَتهم، يَتَعاقَلُون بينَهم مَعاقِلَهم الأولى، ويَفكُّون عانِيَهم بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين، وأنّ المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً منهم أن يُعِينوه بالمعروف، في فِداءٍ أو عَقْلٍ، وأنَّ المؤمنين المتَّقين، أيديهم على مَن بَغَى عليهم، أو ابتَغَى دَسِيعةَ ظُلْم، وأنَّ سِلْمَ المؤمنين واحدٌ، لا يُسالِمُ مؤمنٌ دون مؤمن، في قتالٍ في سبيل الله إلاّ على سواءٍ وعَدْلٍ بينَهم، وأنّ كلَّ غازيةٍ غَزتْ يُعْقِب بعضُهم بعضاً، وأنَّه لا يُجيرُ مُشركٌ مالاً لقُريش، ولا يُعينها على مُؤْمِن، وأنَّه من اعْتَبط مُؤْمناً قَتْلاً فإنه قَوَدٌ إلاّ أن يرضَى وليُّ المقتول بالعَقْل، وأنّ اليهودَ يتَّفقون مع المؤمنين ما داموا مُحاربين، وأنّ يهودَ بني عَوْفٍ أنفُسَهم وَمواليَهم أُمَّةٌ من المؤمنين، لليهود دِينُهم وللمؤمنين دِينُهم، إلاّ مَن ظَلَم وأَثِم، فإنه لا يُوتِغُ إلا نفسَه وأَهْلَ بيته، وأنّ يهودَ الأوس ومواليَهم وأنفُسَهم مع البرِّ المحسِن من أهل هذه الصَّحيفة، وأن البرَّ دون الإثم، وأنّ الله علىَ أصْدَق ما في هذه الصَّحيفة وأبَرِّه، لَا يَحولُ الكتابُ دون ظُلْمِ ظالِم، ولا إثْمِ آثِم، وأنه مَن خَرَج أَمِنَ، ومَن قَعَد أَمِنَ، إلاّ مَن ظَلَم وأَثِم، وأنّ أولاهم بهذه الصَّحيفة البَرُّ المحسِنُ.

*

* *

أخرجه القُتيبيُّ(١) عن أحمد بن سعيد اللِّحيانيّ صاحب أبي عبيدٍ، عنه بإسناده، عن ابن شِهاب.

والكتابُ في نفسِه أطولُ من هذا، فاختصره لأجل الغريب. وقد أخرجه محمد بن إسحاق بن

---

(١) لم أجده في كتابه غريب الحديث المطبوع في بغداد.

يَسار، في كتاب المغازي، وعبدُ الملك بن هشام، في كتاب السِّيرة[١] تاماً بطُولِه.

شرحه

الأُمَّةُ: الجماعة الكثيرة من الناس، وجَعْلُه إيَّاهم أمَّةً واحدةً يريد به اتفاقَهم على دِينٍ واحد، ومِلَّةٍ واحدة، دونَ غيرهم من الناس.

ورباعةُ الرَّجُل: شأنُه وحالُه التي هو رابعٌ عليها، أي ثابت مقيمٌ، وقيل: لا تكون[٢] الرِّباعةُ في غير حُسنِ الحال، يقال: ما في بني فُلانٍ مَن يضبط رِباعَتَه غيرُ فُلان، يريد أنَّهم على أمرهم الذي كانوا عليه. يقال: القَوْم[٣] على رِباعَتهم ورَبَعاتهم، بفتح الباء وقد تُكْسَر: أي على استقامتهم وأَمْرِهم الأول.

والتَّعاقُلُ: تَفاعُلٌ من العَقْل، وهو الدِّيَةُ، أي يكونون على ما كانوا عليه مِن أخْذ الدِّيات وإعطائها. والمَعاقِل: الدِّياتُ، جمع مَعْقُلَة، وإنما سُمِّيت الدِّيةُ عَقْلًا، لأنهم كانوا يسوقُون الإبلَ إلى وَليّ دم القَتيل، ثم يَعْقِلونها في فِنائه بالعُقُل[٤]؛ لئلَّا تَهْرُبَ حتى يقبضَها، يقال: عَقَلْتُ البعيرَ: إذا شَددْتَه بالعِقال.

وفَكُّ الأسير: إطلاقُه.

والعاني: الأسيرُ، وقد عَنَا يَعْنُو وعَنِيَ يَعْنَى، فهو عانٍ.

والمعروف: ضِدُّ المنكَر، ويريد به الإحسانَ والبِرَّ واللُّطْفَ.

والقِسْطُ: العَدْلُ، وقد أقْسَطَ يُقْسِطُ: إذا عَدَل، وقَسَطَ يَقْسِط[٥]: إذا جارَ. والمعنى أنهم يُطلِقُون الأسيرَ غيرَ مُشْتَطِّين في ذلك، ولا جائرين ولا مُتَعدِّين.

والمُفْرَح، بالحاء المهملة: المُثقلُ بالغُرْم والدَّيْن. يقال: أفْرَحه الأمرُ يُفْرِحُه[٦]: إذا أثْقَلَه.

---

(١) السيرة النبوية ٥٠١/١، وشرحها الروض الأنف ١٦/٢، ١٧، وانظر أيضاً: الأموال لأبي عبيد ص ١٨٤ـ وأخرج أبو عبيد أيضاً طرفاً من هذا الحديث في كتابه غريب الحديث، سأذكره في موضعه من الشرح إن شاء اللهـ والفائق ٢٥/٢، ٢٦، وعيون الأثر ١٩٧/١ـ ١٩٩، والسيرة النبوية لابن كثير ٣٢٠/٢ـ ٣٢٣.

(٢) هذا كلام يعقوب بن السكيت، كما صرح الزمخشري في الفائق.

(٣) وهذا من كلام الفراء، كما صرح الهروي في الغريبين (ربع).

(٤) بضم العين والقاف، مثل كتاب وكتب. نص عليه في المصباح.

(٥) راجع الأضداد لابن الأنباري ص ٥٨.

(٦) هذا شرح الأصمعي، كما حكى أبو عبيد في غريب الحديث ٣١/١، وانظر مجالس ثعلب ص ١٧٨، ١٩٢، وهذا الحرف من الأضداد، فالمفرح: المسرور، والمفرح: المثقل بالدين، راجع الأضداد السابق ص ١٩٧، وتهذيب اللغة ٢٠/٥

وقوله: أن يُعينوه: بدلٌ منه، أي لا يتركون إعانتَه بالمعروف من الفِداء والعَقْل.

والفِداء: ما يُفْتَكُّ به الأسيرُ من مالٍ أو أسيرٍ مثلِه.

ويروى: «مُفْرَجاً» بالجيم، وهو القتيل[1] يُوجَدُ بأرضِ فَلاةٍ، ولا يكون قريباً من قريةٍ، فإنَّه يُودَى من بيت المال، ولا يُبطَل[2] دمُه.

وقيل: هو الرجلُ[3] يكون في القوم من غيرهم، فيلزمهم أن يَعْقِلُوا عنه.

وقيل: هو أن يُسلمَ[4] الرجلُ ولا يُوالي أحداً، حتى إذا جَنَى جِنايةً كانت على بيت المال، لأنه لا عاقِلَةَ له. والمُفْرَج أيضاً: الذي[5] لا عشيرةَ له.

والبَغْيُ: الظُّلْم والعُدْوانُ والجَوْر.

والابتغاء: الطَّلَب.

والدَّسِيعةُ: من الدَّسْع، وهو الدَّفْع، أراد دَفْعاً على سبيل الظُّلْم، فأضافه إليه، وهي إضافةٌ بمعنى «مِنْ».

وقيل: أراد بالدَّسِيعة: العَطِيَّة، يقال: فلانٌ ضَخْمُ الدَّسِيعة، أي عظيمُ العطاء، واسعُ الخُلُق. يريد أو ابتَغَى منهم أن يدفعوا إليه عطيَّةً على وَجْه ظُلْمهم، أي كونهم مظلومين، أو أضافها إلى ظُلْمه لهم، لأنه سَبَبُ دَفْعِهم لها[6].

والسِّلْم: الصُّلح وضِدُّ الحرب. أي لا يجوز الصُّلْحُ لواحدٍ من المؤمنين دونَ الباقين، وإنما يُصالحون عَدُوَّهم، ويُسالِمونهم بالاجتماع، والاتِّفاقِ عليه.

والسَّواء: التَّساوِي في الشيء، والاشتراكُ فيه، أي يكونون في السِّلْم مُتساوِين مُتعادِلين.

والغازية: تأنيث الغازي، والغَزْو: الجهاد وقَصْدُ العدوّ. وجَعل الغازيةَ صفةً للجماعة[7]، فلذلك أنَّثَها، ولمّا قال: «يُعَقِّبُ بعضُهم بعضاً» رَدَّه إلى المعنى، فقال: «بعضهم» بالميم.

---

(١) هذا من كلام محمد بن الحسن الشيباني، وحكا عنه أبو عبيد في غريب الحديث، الموضع السابق.
(٢) هكذا في الأصل ومثله في غريب أبي عبيد، والذي في الغريبين والنهاية (فرج): «يُطَلُّ».
(٣) هذا تفسير جابر، كما في الغريبين.
(٤) وهذا تأويل أبي عبيدة، حكاه عنه أبو عبيد.
(٥) وهذا شرح ابن الأعرابي، كما في الغريبين أيضاً.
(٦) كل هذا كلام الزمخشري في الفائق.
(٧) في الفائق: للخيل.

والتَّعقيب والإعقاب: مِن عَقَّبْتُ الغُزاةَ، وأعْقَبتُهم: إذا جعلتَ الغزوَ بينهم نُوَباً متعاقبةً، قوماً بعدَ قوم. والمعنى أنَّ على الغُزاةِ أن يَتناوَبُوا، وتخرُجَ كلُّ طائفة منهم إلى الغَزْو، بعد أن تقضيَ الطائفةُ الأولى نَوْبَتَها، وتخرجَ عَقِيبَ فراغ الأولى، ولا يُكلَّف من يعمل نَوْبتَه الخروجَ إلى الغَزْو، إلى أن تعود نَوْبَتُه.

والاعْتِباط: النَّحْرُ لغير عِلَّة، يقال: عَبَطْتُ الناقةَ واعْتَبَطْتُها: إذا نحرتَها وهي صحيحةٌ لا مرضَ بها ولا آفةَ، وكذلك إذا ماتتْ من غير عِلَّة. هذا هو الأصلُ، ثم استُعملَ في الناس، وأراد به هاهنا القَتْلَ بغير جِناية ولا حَقٍّ.

وقَتْلًا: منصوبٌ على المصدر من غير لفظ الفِعل قبلَه؛ لأنّ اعتبطَ بمعنى قَتَل.

والقَوَدُ: القِصاص، وقد أقَدْتُ وَليَّ الدَّم من قاتل وَلِيّه: إذا مَكَّنتَه مِن قتله، وأقادَه السُّلطانُ إقادةً.

والقَوَدُ: الاسم، وضعه موضعَ المفعول، أي فهو مُقادٌ به، أو على حذف المضاف، أي ذو قَوَدٍ. يريد أنه مَن قتل مؤمناً بغير جُرْمٍ ولا جِناية فإنه يُقْتَل به، إلا أن يرضى أولياءُ المقتول بالدِّية، فإنه لا يُقْتَل.

وقولُه: «وإن يَهُودَ بني عَوْفٍ أُمَّةٌ من المؤمنين» يريد أنهم بالصُّلح الذي وقع بينهم وبين المؤمنين، فصارت أيديهم وأيدي مَواليهم مع المؤمنين واحدةً على عَدُوِّ المؤمنين، كأُمَّة من المؤمنين، إلا أنّ لهؤلاء دينَهم ولهؤلاء دينَهم، إلا مَن ظَلم وأثِم بنقض العَهْد والنَّكْث.

فإنه لا يُوتِغُ إلا نفسَه، أي لا يُهلك إلا نفسَه، وأهلَ بيته. يقال: وَتِغَ[1] يَوْتَغ وتَغًا: أي هَلَك، وأوتَغه اللهُ: أي أهلكه، وأوتَغَ فُلانٌ دِينَه بالإثم.

والبَرُّ، بفتح الباء: واحد الأبرار، يقال: بَرَّ يَبَرُّ بِرّاً، فهو بَرٌّ، والبَرُّ، مِن أسماء الله تعالى: العَطُوفُ على عِباده بلُطْفه وإحسانه.

والبِرُّ، بالكسر: ضِدُّ العُقُوق، ورجلٌ بارٌّ بأبيه، وبالجملة فالبِرُّ: اسمٌ جامعٌ للإحسانِ والرِّفقِ والعَطْف.

وقوله: وأنَّ البرَّ دُونَ الإثم، أي أن الوفاءَ بالعَهْد الذي معه السُّكُون والطمأنينة أهْوَنُ من النَّكْث والغَدْر المؤدِّي إلى الحرب والخِلاف، لأن الوفاءَ بذلك كَفٌّ وإمساكٌ وتعاوُنٌ. والغدْر والنَّكْث

(١) بكسر التاء في الماضي وفتحها في المضارع، والفعل من باب وَجِلَ، كما في القاموس.

خروجٌ من جماعة الناس ومخالفةٌ لهم، فالإثم أشقُّ على صاحبه من البرّ.

فلا يكسِبُ كاسِبٌ إلا على نفسه: أي لا يجني جانٍ إلاَّ على نفسه، ولا يجُرُّ ذلك مَن نكَث وغَدَر إلاّ على نفسه.

وقوله: لا يَحُولُ الكتابُ دونَ ظُلْم ظالِمٍ، ولا إثم آثِم، أي أن هذا الكتابَ الذي كُتب بينَهم في التَّعاون والتُّناصُح لا يحولُ دونَ أحدٍ منهم إن هو ظَلَم أو أَثِم واعتدَى بمخالفة ما فيه، وزَعم أنه داخِلٌ في جُملة أهل الكتاب، لم يمنعه كونُه منهم أن يؤخذَ بجنايته، بل يُؤخَذُ بما جَنَى.

وقوله: وإنَّ أوْلاهُم، يعني قريشاً والأنصار، أن يعملوا بما في هذه الصحيفة ـ وهي الكتاب ـ البَرُّ المحسنُ منهم.

وفي كتاب ابن قتيبة(١): «وأنه مَن خَرَجَ ـ أو جَرجَ ـ آمِنٌ، ومَن قعد آمِنٌ». هكذا بالشَّكِّ في «خَرَج أو جَرجَ» فإن صَحَّت الروايةُ بالجيمين، فالجَرَجُ، بالتحريك: الاضطرابُ والقَلَقُ. يقال: جَرِجَ يَجْرَجُ جَرَجاً. والله أعلم.

---

(١) ذكرت في تخريج الحديث أني لم أجده في غريب الحديث المطبوع لابن قتيبة.

حَدِيثُ لَقِيطِ بنِ عَامِرٍ العُقَيْلِيِّ

وافِد بني المُنْتَفِق

خرج وافِداً إلى النبيّ ﷺ، وذكر حديثاً طويلاً، إلى أن ذكر الصَّيحةَ والساعةَ، ثم قال: فلَعَمْرُ إلهك ما تَدَعُ على ظهرها مِن شيءٍ إلاَّ مات، والملائكة الذين مع رِّبك، فأصبح يطوفُ في الأرض، وخَلَتْ عليه[1] البلادُ، فأرسل السماءَ بهَضْبٍ مِن عند العَرْش، فلَعَمْرُ إلهك ما يدع على ظهرها من مَصْرَع قَتيلٍ، ولَا مَدْفِنِ مَيِّتٍ إلاّ شُقَّت الأرضُ عنه حتى يخلُقَه مِن قِبَل رأسِه.

وسأله لَقِيطٌ فقال: كيف يَجمعُنا بعدما مزَّقَتْنا الرِّياحُ والبِلَى والسِّباعُ؟

قال: أُنبِّئُكَ بمثل ذلك في إلِّ الله. الأرضُ أشرفْتَ عليها مَدَرَةً باليةً فقلتَ: لا تحيا أبداً، ثم أرسل ربُّكَ عليها السماءَ، فلم تلبث عليك إلا أَيَّامَاً، ثم أشرفتَ عليها، وهي شَرْبةٌ واحدة، فلَعَمْرُ إلهكَ، لَهُو أقْدَرُ على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نباتَ الأرض، فتخرجون من الأَصْواء، فتنظرون إليه ساعةً، وينظر إليكم.

قال: يا رسولَ الله، فما يَفعلُ بنا إذا لَقِيناه؟

قال: تُعْرضُون عليه بادياً له صَفَحاتُكُم، لا تخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربُّك بيده غُرفةً من الماء، فَيْنضِحُ عليكم، فأمَّا المسلمُ فتَدَعُ وجهَه مثلَ الرَّيْطة البيضاء، وأما الكافرُ فَتَخْطِمه بمثل الحُمَم الأسود، أَلَا ثم ينصرفُ مِن عندكم، ويفترق على أثَره الصالحون. ألا فيَسْلُكون جسراً من النار، يَطَأُ أحدُكم الجمرةَ فيقول: حَسِّ، فيقولُ ربُّك: وإنَّهْ. أَلَا فتَطَّلِعون على حَوض الرسول، لا يَظْمأُ واللهِ ناهِلُه، فلَعَمْرُ إلهك[2] ما يَبْسُط أحدٌ منكم يدَه إلاّ وقع عليها قَدَحُ مُطَهِّرةٌ مِن الطَّوْف والأذَى، وتُحْبَس الشَّمسُ والقمرُ، فلا ترون منهما واحداً.

قال: فبما نُبْصِرُ؟ قال: بمثل بَصَر ساعتِك هذه.

---

(١) بحاشية الأصل: له.

(٢) بحاشية الأصل: الله

قال: يا رسولَ الله، فعلى ما نَطَّلِعُ من الجنَّة؟

قال: على أنهارٍ من عَسَلٍ مُصَفّىً، وأنهارٍ من كأسٍ ما بها صُداعٌ ولا نَدامة.

ثمّ بايَعَه على أن يَحُلَّ حيث شاء، ولا يَجُرَّ عليه إلا نفسَه.

*

* *

أخرجه ابنُ قتيبة[١]، وقال: يرويه إبراهيم بن المُنْذِر، عن عبد الرحمن بن المُغيرة، بإسناده، عن عاصم بن لَقِيط. قال: وذكَرَ[٢] حديثاً فيه طولٌ اختصرتُه، واقتصرتُ منه على ما يُفَسَّر. كذا قال ابن قتيبة.

وأخرجه الزمخشريُّ[٣] نحوه. والحديث بطُوله حديثٌ معروف مشهورٌ مُخرَّج في مسانيد العلماء والحُفَّاظ.

شرحه

لَقِيطٌ: هو أبو رَزِين[٤] لقيط بن عامر بن صَبِرة[٥] بن عبد الله بن المُنْتَفِق بن عامر بن عُقَيل[٦] العُقَيْليّ بن كَعْب، من بني بكر بن هَوازِن.

واللَّقيط: الطِّفْل الذي ترميه أُمُّه على الأرض فيُلْتَقَط، أي يُؤخَذ، فَعِيل بمعنى مفعول.

والصَّبرة: واحدة الصَّبِر، وهو هذا الدَّواءُ المُرُّ.

---

(١) غريب الحديث ١/٥٣٠- ٥٤١

(٢) عبارة ابن قتيبة في غريب الحديث: وذكر ذلك عنه في حديث فيه طول.

(٣) الفائق ٤/١٠٥، ١٠٦، وانظر أيضاً: مسند أحمد بن حنبل ٤/١٣، ١٤ (حديث أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر بن المنتفق)، والعقد الفريد ٢/٣٨- ٤٢، والاستيعاب ٣/١٣٤٠، وأسد الغابة ٤/٥٢٣- ٥٢٥، والإصابة ٦/٧، ٨، والسيرة النبوية لابن كثير ٤/١٥٦- ١٦٠، وزاد المعاد ٣/٦٣- ٧٠، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٤/٦٥- ٦٧

قال ابن القيم في زاد المعاد: «هذا حديث كبير جليل تنادي جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة. . . . ورواه أئمة أهل السنة في كتبهم، وتلقوه بالقبول، وقابلوه بالتسليم والانقياد، ولم يطعن أحد منهم فيه، ولا في أحد من رواته». ثم ذكر ابن القيم الأئمة الذين رووا هذا الحديث.

وقال ابن كثير في السيرة النبوية: هذا حديث غريب جداً، وألفاظه في بعضها نكارة، وقد أخرجه الحافظ البيهقي في كتاب البعث والنشور، وعبد الحق الإشبيلي في العاقبة، والقرطبي في كتاب التذكرة في أحوال الآخرة.

(٤) بفتح الراء وكسر الزاى، كما ضبطه الزرقاني.

(٥) بفتح الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة، كما قيده الزرقاني.

(٦) بضم العين، كما قيده الزرقاني. وانظر جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٢٩٠، ٢٩١

والمُنْتَفِق: مِن[1] انتفق اليَرْبُوعُ: إذا خرج من نافِقائه، وهو أحَدُ جِحَرَته.

والوافِد: القادِمُ على الشَّخْص، وقد تقدَّم مَبْسوطاً في أول الكتاب[2].

والصَّيحةُ: يريد بها صَيْحةَ إسرافيلَ عليه السلام، ونَفْخَه في الصُّور، النَّفْخَةَ الأولى للموت، والثانيةَ للإحياء عند قيام الساعة، وهي القيامة، وإنما سُمِّيت القيامةُ بالساعة، وهي الوقتُ، لكونها تقع بَغْتَةً، أو لأنها عندَ الله تعالى مع طُولها كساعةٍ من الساعات عند الخَلْق.

والعَمْرُ، بفتح العين: هو العُمْر بالضمّ، إلا أنه لا يُستَعْمل في القَسَم إلا المفتوح، تقول: لَعَمْرُ اللهِ، فاللام لتوكيد الابتداء، والخبر محذوفٌ، تقديره: لَعَمْرُ الله قَسَمي، ولَعَمْرُ الله ما أُقْسِم به، فإن لم تأتِ باللام نصَبْتَه نَصْبَ المصادِر، فقلت: عَمْرَ اللهِ ما فعلتُ، وعَمْرَكَ الله ما فعلتُ[3].

ومعنى: لَعَمْرُ اللهِ وعَمْرَ اللهِ: أحلِفُ ببقاء الله ودوامه.

ومعنى عَمْرَكَ الله: بتعميرك الله، أي بإقرارك له بالبقاء والدَّوام.

والهَضْبُ: المَطَرُ، وقد هَضَبت السماءُ تَهْضِبُ هَضْباً.

ومَصْرَعُ القتيل: الموضعُ الذي قُتِل فيه، وهو مَفْعَلٌ من الصَّرْع: الإلقاءِ على الأرض، يقال: صَرَعَه يَصْرَعُه صَرْعاً ومَصْرَعاً، الزمان والمكان، والمصدر: مَفْعَل، بالفتح.

والمَدْفِن: موضع الدَّفْن، مَفْعِل بالكسر، لأنه مِن دَفَن يَدْفِن، كضَرَب يَضْرِب، والمصدرُ والزمان: مَدْفَنٌ، بالفتح.

وقوله: أنبَئُك بمِثْل ذلك في إلِّ الله: الإلُّ هاهنا بمعنى الرُّبُوبيَّة والإلهيّة، أي أُخبرك بمثْل ما أنكرتَه من تمزيق الرِّياح والبلىَ والسِّباع، في إلهيَّة الله وقُدْرَته، ومنه قولُ أبي بكر الصِّدّيق، رضى الله عنه، لمّا سمع كلامَ مُسَيْلِمة، قال: «إنه لَكلامٌ لم يخرُج مِن إلٍّ» أي مِن رُبُوبِيَّةٍ وإلهيَّة.

والمَدَرةُ: واحدة المَدَر، وهو الطِّين والتُّراب

والشَّرْبة: إن سُكِّنت الراءُ فهي المرَّة من الشُّرْب، وأراد أن الماءَ كثُر، فمِن حيث أردتَ أن تَشربَ شربتَ، وإن فتحتَ الراءَ فهي الحوضُ الذي يُحفَر في أصل النَّخلة حتى يجتمع فيه الماءُ

---

(١) قال ابن دريد: المنتفق الذي قد دخل في النفق. والنفق: السَّرَب في الأرض. ونافقاء اليربوع من هذا، وهو سَرَبُه الذي يدخل فيه. الاشتقاق ص ١٩٨

(٢) في حديث طهفة النهدي.

(٣) أورد عليه ابن الشجري كلاماً جيداً في الأمالي ١/٣٤٨- ٣٥١

لشُرْبها. يريد أن الماءَ قد غَمَر الأرض حتى صارت كأنها شَرَبَةٌ واحدة.

ويُروى: «شَرْية» بياء تحتها نُقطتان، وهي الحَنْظَلة، وجَمْعها شَرْيٌ. أي أن الأرضَ تَخْضَرُّ بالنَّبات، فتصير في اخضرار الحَنْظَلة ونَضارتها.

قال القُتَيبي: وصْفُ الأرضِ بالنَّبات في هذا أشْبَهُ بالمعنى من اللفظين الأوَّلين، لأنه شَبَّه مَن أحياه الله تعالى من الموتى بالنَّبات الذي أخرجه الله من الأرض الهامدة بالمطر، ويدلّ عليه قولُه: وهو أقْدَرُ على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نباتَ الأرض.

والأَصْواء: القُبورُ، وهي جمع الصُّوَى، والصُّوَى: جَمْع صُوَّةٍ، وهي الأعلامُ تُنْصَب في الأرض ليُهتَدَى بها في المقاصد، فشبَّه بها القبورَ، ومنه الحديث: «إن للإسلامِ صُوىً ومَناراً كمنارِ الطَّرِيق». وقيل: الصُّوَّة[1]: المكان المرتفع فيه غِلَظٌ.

والبادي: الظاهر.

والصَّفَحات: جمع صَفْحة، ويريد بها الوُجوهَ، يقال: نظر إليَّ بصَفْح وَجْهِه وصُفْحِه، أي بجانبه.

والنَّضْح: الرَّشُّ، يقال: نَضَحْتُ البيتَ أَنْضِحُه، بالكسر[2].

والرَّيْطَة: المُلاءة والشُّقَّة من الثِّياب إذا لم تكن لِفْقَين، وجَمْعُها رَيْطٌ ورِياطٌ.

وتَخْطِمه: أي تُصيبُ خَطْمَه، وهو أنْفُه، وأصلُه موضعُ الخِطام من رأس البعير، أي تضرب أنْفَه، فتجعَلُ فيه أثراً مثلَ أثر الخِطام.

والحُمَم: جمع حُمَمَة، وهي الفَحْمة[3].

والجِسْر: معروف، وتُفتح جيمُه وتُكْسَر، ويُريد به الصِّراطَ.

وحَسِّ: كلمة يقولها المتوجِّعُ مما يُؤلمه ويُوجِعُه إذا أصابه بَغْتَةً وعلى غَفْلة، كالضَّربة والجَرْحة والجَمْرة تَسقُط عليه، وهو مبنيٌّ على الكسر[4].

---

(١) هذا قول الأصمعي، كما صرح ابن قتيبة.

(٢) وبالفتح أيضاً، فالفعل من باب ضرب ونفع، كما في المصباح.

(٣) سبق هذا في حديث لقمان بن عاد.

(٤) قال السهيلي: «وليست «حس» باسم ولا بفعل، إنها لا موضع لها من الإعراب، وليست بمنزلة «صه ومه ورويد» لأن تلك أسماء سمي الفعل بها، وإنما «حس» صوت كالأنين الذي يخرجه المتألم، نحو «آه»، ونحو قول الغراب: غاق» الروض الأنف ٣٢١/٢

وقوله: «فيقول ربُّك: وإنَّهْ» هكذا يُروى مقطوعاً ممَّا بعده، وفيه قولان: أحدهما: أنّ «إنَّ» بمعنى نَعَمْ[١]، والهاء فيها للسَّكْت.

وقيل: إنَّ «إنَّ» هي التي للتأكيد والتحقيق، والهاءُ اسمُها، وخبرها محذوف، تقديره: وإنه كذلك، أو إنه كما تقول.

والاطِّلاعُ على الشيء: الإشرافُ عليه.

والظَّمأُ: العَطَشُ، وقد ظَمِيء يَظْمأُ.

والناهِل: الذي شَرِب حتى رَوِيَ. أي لا يَعْطَش مَن رَوِيَ منه بعد ذلك.

وقوله: «قَدَحٌ مُطَهِّرةٌ مِن الطَّوْف» وهو الحَدَثُ والبولُ. تقول: طافَ يطوفُ طَوْفاً[٢].

والأَذَى: الحيضُ والنجاسة. يريد أنه من شرب ذلك القدحَ طُهِّر من الغائط والبول والحيض وجميع النجاسات.

وأنَّث «مُطَهِّرة» والقَدَحُ مذكّر، حَمْلاً على المعنى، لأنه إذا وقَع على يد كلِّ واحدٍ منهم قَدَحٌ، فهي أقداحٌ كثيرة[٣].

وقال القُتيبيّ: أنَّثه لأنه ذهب إلى الشَّرْبة، ولذلك[٤] أنَّثوا الكأسَ لأنهم ذهبوا إلى الخَمْر، ثم صار الكأسُ اسماً لها إذْ[٥] كانت فيه، ألا تراه قال[٦]: «وَأَنْهَارٍ مِنْ كَأْسٍ» أي مِن خَمْر، قال الأعشى[٧]:

وكـأسٍ شـربتُ عـلى لـذَّة ... وأُخْـرَى تـداويتُ مِـنْـها بِـها

---

(١) وشاهده من الشعر قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

بكـرت عليَّ عـواذلي ... يـلْحَيْنني وألـومُـهنَّـهْ
ويقلن شيبٌ قـد عـلا ... ك وقد كبرت فقلت إنَّهْ

وهو شاهد سيار في كتب العربية. وقيل إن مجيء «إن» بمعنى «نعم» شاذ. راجع مغني اللبيب ص ٣٨، ٦٤٩، وانظر غريب الحديث لابن قتيبة وحواشيه.

(٢) ويقال أيضاً: اطَّاف يطَّاف اطِّيافا، بتشديد الطاء، وعليه اقتصر ابن قتيبة في غريب الحديث، والهروي في الغريبين (طوف). وانظر غريب الحديث لأبي عبيد ٢١٥/٤، واللسان (طوف).

(٣) هذا تأويل الزمخشري وكلامه في الفائق.

(٤) في غريب الحديث: وكذلك

(٥) في الأصل: «إذا». وأثبت ما في غريب الحديث. وعبارته: «إذ كانت تكون فيه».

(٦) في هذا الحديث نفسه.

(٧) ديوانه ص ١٧٣.

ومنه قولُه تعالى [١]: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ* بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾.

وقوله: ما بها من صُداع ولا نَدامة، أي لا يَعْرض لهم من شُرْبها صُداعُ الرأس، وهو الخُمار الذي يَعْرِض من شُرب خَمْرِ الدُّنيا، ومثله قوله تعالى [٢]: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ [٣]﴾.

وقوله: أن يَحُلَّ حيث شاءَ، أي يَسكُن أين اختار من الأرض، لا يُمْنَع منه.

وقوله: «لا يَجُرُّ عليه إلاّ نفسَه»: من الجَريرة: الذَّنْب والجناية، أي لا يُطالَبُ بجناية غيره من ولَدٍ أو والدٍ أوْ أهل أو عَشيرة،ومنه قوله تعالى [٤]: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

---

(١) سورة الصافات ٤٥، ٤٦، ولم يعرض ابن قتيبة لهاتين الآيتين الكريمتين.

(٢) سورة الواقعة ١٩

(٣) ضبطت الزاى في الأصل بالفتح، وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وهذه قراءتهم في آية سورة الواقعة، وفي آية (٤٧) من سورة الصافات. وقرأ عاصم في الصافات (ينزفون) بفتح الزاى، وفي الواقعة (ينزفون) بكسر الزاى. وقرأهما حمزة والكسائي (ينزفون) بكسر الزاى في الموضعين. السبعة لابن مجاهد ص ٥٤٧، وانظر توجيه القراءتين في الكشف عن وجوه القراآت السبع ٢/٢٢٤.

(٤) سورة الأنعام ١٦٤، ومواضع أخرى من الكتاب العزيز.

حَدِيثُ أبي عَمْرو النَّخَعِي

قدم على النبيِّ ﷺ في وفْدٍ من النَّخَع، فقال: يا رسولَ الله، إني رأيتُ في طريقي هذا رُؤْيَا: رأيت أَتاناً تركتُها في الحَيِّ، وَلَدَتْ جَدْياً أَسْفَعَ أَحْوَى.

فقال له رسولُ الله ﷺ: هل لك مِن أَمَةٍ تركتَها مُسِرَّةً حَمْلاً؟

فقال: نعم، تركتُ أمةً لي أظُنُّها قد حملَتْ.

قال: فقد ولدتْ غُلاماً، وهو ابنُك.

قال: فمالَهُ أَسْفَعَ أَحْوَى؟

قال: ادْنُ مِنِّي. فدنا منه، قال: هل بك مِن بَرَصٍ تَكْتُمه؟

قال: نَعم، لا والذي بعثك بالحقّ ما رآه مخلوقٌ ولا عَلِم به.

قال: فهو ذاك.

قال: ورأيت النُّعمانَ بن المُنْذِر، وعليه قُرطانِ ودُمْلُجانِ ومَسَكَتانِ.

قال: ذاك مُلْكُ العَرَب، عاد إلى أفضل زِيِّه وبَهْجته.

قال: ورأيتُ عجوزاً شَمْطاءَ تَخْرج من الأرض.

قال: تلك بقيَّة الدُّنيا.

قال: ورأيت ناراً خَرجتْ من الأرض، فحالَتْ بيني وبينَ ابنٍ لي يقال له: عمرو، ورأيُتها تقول: لَظَى لَظَى، بصيرٌ وأَعْمَى، أَطْعِمُوني آكُلْكُم[1] كُلَّكم، أهلَكُم وما لَكُم.

(١) هكذا ضبط في الأصل، هنا وفي الشرح، بمدّ الألف وضم الكاف وسكون اللام، وهو مجزوم في جواب الأمر السابق. وقد أهمل الضبط في الكتب التي ذكرت الحديث.

فقال النبيّ ﷺ: تلك فتنةٌ تكون في آخر الزمان.

قال: وما الفِتْنَةُ يا رسولَ الله؟

قال: يَقتل الناسُ إمامَهم، ثم يَشْتَجِرُون اشْتِجَارَ أَطْباق الرَّأْس ـ وخالف رسولُ الله ﷺ بينَ أصابعه ـ يَحسِب المسيءُ أنَّه محسَنٌ، ودمُ المؤمن عند المؤمنِ أحَلُّ من شُرْب الماء.

*

* *

أخرجه ابن قتيبة(١) عن أبِيه، عن شيخٍ له، كان يرويه عن ابنِ دَأْبٍ الليثيّ، وأخرجه الزمخشريُّ(٢) مثلَه.

شرحه

أبو عمرو: هو(٣) [زُرارَة بن عمرو].

والنَّخعيّ: منسوبٌ إلى النَّخَع، لقب حَبِيبِ بن عَمْرٍو، من بني عَرِيب بن زيد بن كَهْلان، وقد تقدَّم(٤).

والرُّؤيا: الحُلْم وما يراه النائمُ في مَنامِه، يُقال: رأى في منامه رُؤْيا، على فُعْلَى، بلا تنوين، وهي مختصَّة بالنَّوم، والرُّؤْيةُ مختصَّة باليقظة.

والأَتانُ: الأُنثى من الحَمير، ولا يُقال: أَتانَةٌ، وبعضهم يقوله.

والأَسْفَع: الذي فيه سوادٌ يخالفُ سائرَ لونِه، وليس بالكثير فيه. وقال القُتَيْبيّ: هو الذى أصابَ خدَّه لونٌ خالَفَ سائرَ لونِه من سوادٍ أو حُمْرة، أو غير ذلك، ومنه قيل للثَّور

---

(١) غريب الحديث ١/٥٠٨ـ ٥١٣

(٢) الفائق ٢/١٨٢، ١٨٣، وانظر هذا الحديث أيضاً في: الاستيعاب ص ٥١٧، ٥١٨، وأسد الغابة ٢/٢٥٤، والإصابة ٣/٨، ٩، وزاد المعاد ٣/٧٠، وعيون الأثر ٢/٢٥٨، ٢٥٩، والخصائص الكبرى ٢/١٩٨، ١٩٩، والسيرة الحلبية ٣/٣٣٢، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٤/٦٧ـ ٦٩، والعقد الفريد ٢/٣٣، ٣٤

وقد سبق جزء من حديث وفد النخع هذا في حديث جهيش بن أوس النخعي، فانظر المراجع هناك.

(٣) ما بين الحاصرتين مكانه بياض بالأصل، وأثبته من الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة. وقيل في اسم أبي عمرو: زرارة بن قيس بن الحارث بن عدى. ذكره الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية.

(٤) في حديث جهيش بن أوس النخعي.

الوحشيّ: أسْفَعُ، لأنَّ في خدِّه سواداً يخالفُ سائرَ لونه.

والأَحْوَى: الذي يَضْربُ لونُه إلى سوادٍ قليل.

وقوله: تركتَها مُسِرَّةً[1] حَمْلاً، أي مخفيةً حَبَلَها، وكلُّ شيءٍ أخفيتَه فقد أسرَرْتَه.

وقوله له: وهو ابْنُك، تقريرٌ له في نفسِه، حيث خالَفَ لونُه لونَه.

والقُرْط من حُليّ الأُذن: ما كان مُعلَّقاً إلى أسْفلها، ويُجمع على أَقْراطٍ وقِرَطَة وأَقْرِطَة.

والمَسَكَة، بفتح الميم والسين: السِّوار، وجمعها: مَسَكٌ، وقيل: هو السِّوارُ من الذَّبْل، وهي قُرونُ الأوعال، وقيل: جِلْد دابَّةٍ بَحْريّة. والمَسَكَةُ على الأوَّل تُضاف إلى ما تُعمل منه، ذَهباً كان أو فِضّةً، أو غيرَ ذلك.

ولَظَى: اسمُ علمٍ لنار الدار الآخرة، غير مُنصرف للتعريف والتأنيث. واللَّظَى في الأصلِ: اللَّهَبُ. وتقديرُ الكلام: أنا لَظَى، فحذف المبتدأ، ولَظَى الثانية: إما أن تكون تكريراً للخبر، أو خبرَ مبتدأ آخَرَ محذوفٍ، تقديره: أنا لَظَى أنا لَظَى.

وقوله[2]: بَصيرٌ وأعمى، أي الناسُ في شأني ضَرْبان، عالِمٌ يَهْتَدِي لما هو الصوابُ والحقُّ، كالبصير، وجاهلٌ يركبُ رأسَه فَيضِلُّ كالأعمى.

وقوله: أَطْعِموني آكِلْكُم كُلَّكُم، كنايةٌ عن إحراقها إيَّاهم، والمراد به في الحديث القَتْلُ في الفِتنة التي فَسَّرها.

والاشتجارُ: الاشتِباك والاختِلاط.

وأطباقُ الرأس: عِظامُه التي يَدخُل بعضُها في بعض، واحِدُها: طَبَقٌ،بالتَّحْريك ولذلك قال: وخالَفَ رسولُ الله بين أصابعه، أي شَبَّك بعضَها في بعض، تشبيهاً باشتباك الأطباق، وأرادَ به التِحامَ الحرب بينَ الناس، واختلاطَهم في الفِتنةِ، ومَوْجَ بعضِهم في بعض.

والمُسيءُ: يريد به المقاتلَ في الفتنة، يَحسِب أنه مُحسنٌ في فعلِه بقتله أخاه المسلم، وأنّ قَتْلَه عنده أحَلُّ من شُرب الماء المباح[3].

---

(١) في بعض ما ذكرت من مراجع: «مصرة» بالصاد المهملة، وليس بشيء.

(٢) الأولى: «وقولها» هنا وفيما يأتي. والضمير راجع إلى النار. (٣) بحاشية الأصل: بلغت القراءة على مصنفه إلى هنا. والحمد لله.

حَديْثُ ابْنِ زِمْلٍ الجهني

قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا صَلَّى الصُّبْحَ قال وهو ثانٍ رجلَه: سُبحانَ اللهِ وبحمدِه وأستغفرُ اللهَ إن اللهَ كان تّواباً، سبعين مَرَّة، ثم يقول: سبعين بسبع مائة، لا خَيْرَ ولا طَعْمَ، أو لا نُعْمَة، لمن كانت ذُنُوبُه في يومٍ واحدٍ أكثرَ مِن سبع مائة، يقول ذلك مرَّتين، ثم يستقبلُ الناسَ بوجهه فيقول: هل رأى أحدُ منكم شيئاً؟ قال ابن زِمْلٍ: فقلت: أنا يا نبيَّ الله، قال: خَيْراً[1] تُلَقَّاه وشَرّاً تُوَقَّاه، وخيراً لنا وشَرّاً على أعدائِنا، والحمدُ لله ربِّ العالمين، اقْصُصْ.

فقلت: رأيتُ جميعَ الناس على طريقٍ سَهْلٍ رَحْبٍ لا حِبٍ، والناسُ[2] على الجادَّة مُنطلقون، فبيناهم كذلك أشْفَى ذلك الطريقُ بهم على مَرْجٍ لم تَرَ عيني مِثلَه قَطُّ، يَرِفُّ رَفِيفاً يَقْطُر نَداهُ[3]، فيه من أنواع الكَلأ، فكأنّي بالرَّعْلَة الأولى حين أشْفَوا على المَرْج كَبَّرُوا، ثم اكَبُّوا رَواحِلَهم في الطريق، فلم يَظْلِموه يميناً ولا شِمالاً[4]، [فكأنّي أنظُر إليهم مُنْطلقين]. ثم جاءت الرَّعلَةُ الثانية مِن بعدهم وهم أكثرُ منهم أضعافاً، فلما أشْفَوا على المَرْج كَبَّرُوا، ثم أكَبُّوا رَواحِلَهم في الطريق، فمنهم المُرْتِع ومنهم الآخِذُ الضِّغْثَ، ومَضَوْا على ذلك. ثم جاءت الرَّعْلَةُ الثالثةُ مِن بعدهم وهم أكثَرُ منهم أضعافاً، فلما أشْفَوْا على المَرْج كبَّروا، ثم أكبُّوا رواحِلَهم في الطريق، وقالوا: هذا حينَ[5] المنزلُ، فكأني[6] أنظُر إليهم يميلون في المَرْج يميناً وشِمالاً، فلما رأيتُ ذلك لزمتُ الطريق حتى أتيتُ[7] أقصَى المَرْج، فإذا أنابك يا رسولَ الله على مِنْبرٍ فيه سبعُ دَرَجات وأنتَ في أعلاها

(١) في الموضع الآتي من غريب ابن قتيبة والفائق: «خير وشر» بالرفع، وسيأتي توجيه النصب في شرح المصنف.

(٢) عند ابن قتيبة والزمخشري: «فالناس» بالفاء.

(٣) هكذا في الأصل والنهاية (رفف) وغريب ابن قتيبة. وفي الفائق: نداوة.

(٤) ما بين الحاصرتين كتب بهامش الأصل بخط الناسخ نفسه، ولم يرد عند ابن قتيبة والزمخشري.

(٥) بحاشية الأصل: «خير». وهي رواية ابن قتيبة والزمخشري. وستذكر الروايتان في الشرح.

(٦) رواية ابن قتيبة والزمخشري: «فمالوا في المرج يميناً وشمالاً».

(٧) بحاشية الأصل: أتى.

درجةً، وإذا عن يمينك رجلٌ طُوالٌ آدمُ أقْنى [1] [شَثْنُ اللَّحْم]، إذا تكلَّم [2] يسمُو، يكاد يَفْرَعُ الرجال طُولاً، وإذا عن يسارك رجلٌ رَبْعةٌ، تارٌّ أحمر، كثيرُ خِيلانِ الوَجْه [3] [كأنما حُمِّمَ شَعَرُه بالماء]، إذا هو تكلَّم أَصْغَيْتُم إليه إكراماً له، وإذا أَمامكم [4] شيخٌ أشْبَهُ الناسِ بك خَلْقاً ووَجْهاً، وكُلُّكم تَؤُمُّونه، تُرِيدونه كأنكم تَقتَدُون به، وإذا أمامَ ذلك ناقةٌ عَجْفاءُ شارِفٌ، وإذا أنت يا رسولَ الله كأنك تَبْعَثُها [5].

قال: فانْتُقِع لونُ رسولِ الله ﷺ ساعةً ثم سُرِّيَ عنه، فقال: أمَّا ما رأيتَ من الطريق السَّهْل اللَّاحِب: فذاك ما حَمَلْتُكم عليه من الهُدَى وأنتم عليه [6].

وأمّا المَرْج الذي رأيتَ: فالدُّنيا وغَضارةُ عَيْشِها [7]، [مضيتُ أنا وأصحابي] لم نتعلَّقْ بها ولم تتعلَّقْ بنا، ولم نُرِدْهَا ولم تُرِدْنا، ثم جاءت الرَّعْلَةُ الثانية مِن بعدنا وهم أكثَرُ منّا أضعافاً، فمنهم المُرْتِع، ومنهم الآخِذُ الضِّغْثَ، ونَجَوْا على ذلك، ثم جاءت الرَّعْلَةُ الثالثة، فمالُوا في المَرْج يميناً وشِمالاً، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

وأمّا أنت فمضيتَ على طريقةٍ صالحة، ولن تزالَ عليها حتى تلقاني.

وأمّا المِنْبر: فالدُّنيا سبعةُ آلاف سنة، أنا في آخِرِها ألفاً.

وأمّا الرجلُ الآدَمُ الأَقْنى الشَّثْنُ اللحمِ: فذاك موسى عليه السلام، إذا [8] تكلَّم يعلو الرجالَ بفَضْلِ كلام الله تعالى إيّاه.

وأما الرجلُ التارُّ الرَّبْعةُ الأحمر: فذاك عيسى بن مريم عليهما السلام، تَكْرِمةً [9] لإكرام الله تعالى إيَّاه.

وأمَّا الشيخُ الذي رأيتَ أشْبَهَ الناسِ بي خَلْقاً ووَجْهاً: فذاك أبونا إبراهيم عليه السلام، كلُّنا نؤُمُّه ونَقْتدي به.

---

(١) لم يرد هذا عند ابن قتيبة والزمخشري.

(٢) عند ابن قتيبة والزمخشري: إذا هو.

(٣) وهذا أيضاً لم يرد عند ابن قتيبة والزمخشري.

(٤) عند ابن قتيبة والزمخشري: وإذا أمام ذلك شيخ كأنكم تقتدون به.

(٥) هكذا الرواية أيضاً عند ابن قتيبة والزمخشري. وجاء بحاشية الأصل رواية أخرى: «تبغيها» وسيشير إليها المصنف، وإلى رواية ثالثة.

(٦) عند ابن قتيبة والزمخشري: فأنتم.

(٧) لم يرد عند ابن قتيبة والزمخشري.

(٨) مكان هذا عند ابن قتيبة والزمخشري: نكرمه بفضل كلام الله إياه.

(٩) هكذا جاءت هذه اللفظة واضحة جداً في الأصل ومضبوطة بالنصب. والذي عند ابن قتيبة والزمخشري: نكرمه بفضل منزلته من الله جل وعز.

وأمّا الناقةُ التي رأيتَني أَبْغِيها: فهي الساعةُ، علينا تَقومُ لا مَحالةَ، لا نبيَّ بعدي ولا أُمَّةَ بعد أُمَّتي.

قال: فما سأل رسولُ الله ﷺ عن رؤيا بعدَها إلا أن يجيءَ الرجلُ فيحدِّثَه بها مُتبرِّعاً.

*

* *

هذا حديثٌ حَسَنٌ شاميُّ الإسناد، وقد أخرجه الأئمةُ في كتبهم، وأخرجه ابن قتيبة(1) عن عبد الله بن هارون، بإسناده عن ابن زِمْلٍ، وأخرجه الزمخشريُّ(2) أيضاً، وحذَفا بعضَ ألفاظه.

شرحه

قال الحافظ أبو موسى الأصفهانيّ، وقد أخرج هذا الحديث: أما(3) ابنُ زِمْلٍ هذا فلا أعلمه سُمِّيَ في شيء من الرِّوايات، وقد أورده الطَّبَراني، فسمَّاه بالضَّحَّاك، وتبعه أبو نُعَيم، وأَرَاهُمَا ذهبا غيرَ مذهب، ولعلّهما حَفِظا اسمَ الضَّحَّاك بن زِمْلٍ، فظَنَّاه ذاك، والضَّحَّاكُ رجلٌ من أتباع التابعين.

قال: وأورده أبو عبد الله بن مَنْدَهَ، وسَمَّاه بعبد الله بن زِمْلٍ، وتَبِعه أبو نُعَيم أيضاً، وعبد الله بن زِمْلٍ من التابعين.

والجُهَنيّ: منسوب إلى جُهَينة بن زيد بن ليث بن سُود بن أَسْلُم(4) بن آلْحاف ابن قُضاعة.

وقوله: «وهو ثانٍ رِجْلَه»، أي عاطِفُها إلى تحته عند التَّشهُّد في الصلاة.

وسُبحانَ اللهِ: مصدر، يقال: سَبَّحتُ اللهَ أُسبِّحه تسبيحاً، وسُبْحاناً، وهو أن يقول: سُبحانَ اللهِ.

والتَّسْبيح: التَّنْزيه، ومعنى سُبحانَ اللهِ: التَّنزيه لله، كأنه قال: أُبَرِّىءُ اللهَ من السُّوء براءةً، وقد يُطلَق التسبيحُ على أنواع الذِّكر مَجازاً.

والحَمْدُ: نَقيضُ الذَّمّ، والباء فيه متعلِّقة بمحذوف، تقديره: وبِحَمْده سَبَّحتُ، أو وبحمده

---

(١) غريب الحديث ١/٤٧٩ـ ٤٨٦

(٢) الفائق ٣/٣٠٦ـ ٣٠٨، وانظر أيضاً: مجمع الزوائد (باب تعبير الرؤيا. من كتاب التعبير) ٧/١٨٣، ١٨٤، وأسد الغابة ٣/٤٧، ٢٤٦، ٦/٣٣٩ [وترجم له ابن الأثير في: الضحاك بن زمل، وعبد الله بن زمل، وابن زمل]، والإصابة ٤/٧١، ٧٢

(٣) هذا الكلام بحروفه أورده عز الدين ابن الأثير في أسد الغابة ٣/٤٧، وانظر التجريد ١/٢٧٠، ٣١١، وميزان الاعتدال ٢/٤٢٣، وتاج العروس (زمل).

(٤) ضبطت اللام في الأصل بالضم. وسبق الكلام عليه في حديث طهفة بن أبي زهير النهدي.

تسبيحي .

والاستغفارُ: طلب المغْفِرة من الله تعالى .

والتوَّاب: فَعَّالٌ من التوبة، وهي الرجوعُ إلى الله من الذَّنب، وفَعَّال للمُبالغة .

وقوله: «لا خَيرَ ولا طَعْمَ »، أي لا ذَوقَ له ولا حلاوةَ فيه، فاستعاره من الذَّوات إلى المعاني .

وقوله: «ولا نُعْمةَ»، أي ولا قُرَّةَ عَيْنٍ ولا سُرورَ.

وقوله: «خيراً تُلقَّاه»، أي تُستَقْبل به، وشَرّاً تُوَقَّاه، أي يُصْرَف عنك، ويُجَعل بيَنك وبينه وِقَايةٌ .

وخيراً وشرّاً: منصوبان بفعلٍ مُضمَر يجوز إظهارُه، تقديره: رأيتَ خيراً .

وتفاءلَ بهذه الكلمات التي قدَّمها على الرُؤْيَا .

وقوله: «اقْصُصْ»، أي قُصَّ الرُّؤْيَا واذكُرْها، وإظهارُ الإدغام لغة أهل الحجاز في الوقف والجزم، وغيرُهم لا يُظْهِره .

والرَّحْب: الواسع .

واللَّاحِب: الطريق المُنقاد البَيِّن الذي لا ينقطع .

والجادَّة: وسَطُ الطريقِ الأعظمِ .

ومنطلقون: يُروى بالواو والياء، فالواو رفعٌ على خبر المبتدأ، والياء نصبٌ على الحال، كأنه قال: والناسُ يَمْشُون على الجادَّة منطلقين .

وَبينا وَبْينما: ظَرْفا زمانٍ للمفاجأة، وأصل بَيْنا: بَيْنَ، فأُشبعت الفتحةُ، فصارت ألفاً، ويُضافان إلى جملة من فعلٍ وفاعل ومبتدأ وخبر، ويحتاجان إلى جوابٍ يتمُّ به المعنى، والأفصح في جوابهما أن لا يكونَ فيه إذْ وإذا، وقد جاءا في الجواب كثيراً، تقول: بينا زيدٌ جالسٌ دخل عمرو، وإذْ دخل عمرو، وإذا دخل عمرو، ومنه قول الحُرَقَة[1] بنت النعمان:

---

(١) وهكذا نسبه المصنف في النهاية (بين). وينسب أيضاً لهند بنت النعمان، في قصة تراها في أمالي ابن الشجري ١٧٥/٢ .
وجاء الخرم في أول البيت، وهو حذف الفاء من فعولن. والبيت من البحر الطويل. وورد في مغنى اللبيب ص ٣١١، ٣٧١ على التمام هكذا:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة ليس ننصف

وانظر خزانة الأدب ١٧٨/٣، واللسان (نصف) و (سوق).

بَيْنا نَسُوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحن فيهم سُوقةٌ نَتَنَصَّفُ

وأَشْفَى على الشيء: أيْ أشرف، وقلَّما يُستعمل إلاّ في الشرّ.

والمَرْج: أرضٌ واسعةٌ ذاتُ نباتٍ غَضٍّ لا يكاد يَجِفُّ.

ورَفَّ النَّبْتُ يَرِفُّ رَفِيفاً: إذا كان يَقْطُر ماؤُه من الرِّيِّ والغضاضة، وأصلُه من رَفَّ البرقُ يَرِفُّ: إذا تَلألأ.

والنَّدَى: البَلَلُ. ونَدَى الأرضِ: نَداوتُها، ويجوز أن يكون أراد بالنَّدَى الكَلأ، فإنه اسمُه.

والكَلأُ: العُشْبُ، وسواءٌ رَطْبُه ويابِسُه.

والرَّعْلَة: الجماعةُ من الفُرسان[1]، والمراد به هاهنا الرُّكبان؛ لأنه يقول فيه: «أكَبُّوا رَواحِلَهم»، والرَّواحِل: الإبلُ الحَمُولَة، واحدتها: راحِلَة.

وقوله: «أكبُّوا رَواحِلَهم»، أي ألزموها الطريق. هكذا يروى: «أكَبُّوا» والصواب عند أهل اللغة: «كَبُّوا» بلا ألف، يقال: كَبَبْتُه فأكَبَّ هو بنفسه، فالأول متعدٍّ، والثاني لازمٌ، وقيل: هو من باب حذف الجارِّ وإيصال الفعل، يقال: أكَبَّ الرجلُ على عَملِه: إذا لَزِمه، والمعنى: جعلوها مُكِبَّةً على لُزُوم الطريقِ وقَطْعِه.

وقوله: «فلم يَظْلِموه»، أي لم يَعْدِلوا عنه، يقال: أخذ في طريقٍ فما ظَلَم يميناً ولا شِمالاً، ومنه حديث أم سَلَمة: «إن أبا بكرٍ وعمرَ ثَكَما[2] الأمرَ فما ظَلَماه» أي ما عَدَلا عنه.

وأصل الظُّلْم: وَضْعُ الشيء في غير موضعه.

وأراد بالرَّعْلَة الأَوَّلَة[3] الصَّحابةَ رضى الله عنهم، وأراد بالرَّعْلة الثانية التابعين، ولذلك قال: «وهم أكثَرُ منهم أضعافاً»، وأراد بالرَّعْلة الثالثة مَن جاء بعد التابعين، ولذلك قال: «وهم أكثَرُ منهم أضْعافاً».

وقوله في الرَّعَلات الثلاث: «كبَّرُوا» كأنه إشارةٌ إلى التوحيد، واستمساكِهم بالدين والإسلام، وإن وقع بعضُهم في الدُّنيا.

---

(١) قال في النهاية: يقال للقطعة من الفرسان: رعلة، ولجماعة الخيل: رعيل. ومنه حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه: «سراعا إلى أمره رعيلا» أي ركاباً على الخيل.

(٢) أي لزما الأمر ولم يفارقاه. تعني أمر رسول الله ﷺ. يقال: ثكمت الطريق: إذا لزمته. غريب الحديث لابن قتيبة ٨٤/٢

(٣) هكذا، والذي سبق في متن الحديث: «الأولى» وكلاهما صحيح.

والمُرْتِعُ: التاركُ دابَّتَه لترْتَعَ، يقال: رَتَعت الإبلُ: إذا رَعَتْ، وأَرْتَعَها صاحِبُها.

والضِّغْث: الحُزْمَة من الحَشِيش والعِيدان ونحوها.

وأشار بالمُرْتِعِ إلى الذي زَجَّى أيَّامَهُ بالقليل، وقَنِعَ[1] من الدُّنيا بقَدْرِ الكِفاية، وأشار بأخْذ الضِّغْث إلى الذي تَشبَّث بشيء من الدُّنيا، ونال منها حَظّاً فوق الحاجة والكِفاية بقليل، وكذا كانت حالُ التابعين.

وقوله: «ومضوا على ذلك»، أي ماتُوا لازمين هذه الطَّريقة.

وفي رواية: «ونَجَوْا على ذلك»، وهو إشارةٌ إلى أن مَن قَنِع بهذا القَدْر نَجا.

وفي روايةٍ عِوَض «الرَّعْلة الثالثة»: «ثم جاء عُظْمُ الناسِ» أي أكثرهم ومُعْظَمُهم.

وقوله: «هذا حينَ المنزل»، يريد أنهم رَكَنُوا إلى ما في المَرْج من الرَّعْى فاستوطَنُوه وتَخلَّفُوا عن الفِرقتين المُتقدِّمتين. ويروى «خَيْرُ المنزل» بالخاء المعجمة والراء، أي خيرُ موضعٍ نَنْزِل فيه.

وقوله: «يميلون في المَرْج يميناً وشِمالاً»، إشارةٌ إلى توسُّعهم في الدُّنيا، وتمكُّنهم منها، ورَغْبتهِم فيها، وكذا كانت حالُ الناسِ بعدَ التابعين.

والطُّوال، بالضمّ: أطْولُ من الطَّويل، يقال: طويلٌ وطُوالٌ.

والآدمُ: الأبيضُ الذي فيه قليلُ حُمْرةٍ أو سوادٍ، يقال: رجلٌ آدَمُ، بيِّن الأُدْمَة.

والأَقْنَى: الذي في أنفه طولٌ، وفي وسَطه حَدَبٌ وارتفاعٌ، وفي طَرَفه دِقَّة.

والشَّثْن: الغَليظُ المكتنِزُ اللحمِ، ويروى باللام، وهو بمعناه.

وسَمَا يَسْمُو: إذا علا وارتفع. يريد أنه يعلو برأسه ويديه[2] إذا تكلَّم.

ويَفْرَع الرجالَ طُولاً: أي يَطولُهم، يقال: فَرَعْتُ القومَ أفرَعُهم فَرْعاً: إذا علوتَ عليهم ببَدَنك. وطُولاً: نصبٌ على التمييز.

والرَّبْعَةُ: المعتدلُ القامةِ، بين الطويل والقصير.

والتَّارُّ: الممتلىء لَحْماً، وقد تَرَّ يَتِرُّ[3] تَرارةً.

---

(١) بكسر النون في الماضي وفتحها في المضارع من باب تعب بمعنى رَضِيَ. أما «قنع» بفتح النون في الماضي والمضارع فبمعنى سأل. ومنه قوله تعالى: (وأطعموا القانع والمعتر). سورة الحج ٣٦

(٢) في غريب ابن قتيبة: «وبدنه». وما في كتابنا مثله في الفائق والنهاية والغريبين (سما).

(٣) بكسر التاء وضمها، كما في اللسان والقاموس.

والخِيلانُ: جمع خالٍ، وهي الشامةُ في الجَسد.

وقوله: «حُمِّمَ»، أي سُوِّدَ، من التَّحميم: التَّسْويد، وأصلُه من الحُمَمة: الفَحْمةِ، كان الشَّعَرُ إذا شَعِثَ[1] فغُسِل بالماء ظَهَر سَوادُه.

ولو قيل: إن حُمِّمَ غُسِل بالحَمِيم، وهو الماء الحارُّ، لكان وَجْهاً، ومنه سُمِّيَ الحَمَّامُ.

وإن رُوي «جُمِّمَ» فهو من الجُمَّة: الشَّعرِ المَضْفُور، وقيل: مُجْتَمع الشَّعَر.

والإصغاء: الاستِماع.

والأَمام، بفتح الهمزة: القُدَّام. وأَمَّ الشيءَ يؤُمُّه: إذا قَصَده.

والاقتداء: الاتِّباعُ في القول والفِعل.

والعَجْفاء: الهَزِيلةُ الضَّعيفة.

والشَّارِف: المُسِنَّة، ولا يُوصَفُ بها الذَّكَرُ، ولذلك لم يُدْخِلْها هاءَ التأنيث.

وتَبْعَثُها: أي تَسوقُها وتُقيمها وتَحُثُّها على السَّير.

وفي رواية: «تَبْغِيها»، أي: تَطْلُبُهَا، يقالُ: بَغَى الشَّيْءَ وابْتَغاه: إذا طَلَبَهُ وفي رِوايةٍ: تتقيها» من الاتِّقاء، أي تَحْذَرُها.

وانْتُقِع لونُه: أي تغيَّر عن حاله، ويقال: امتُقِع، بالميم، وهو أفصحُ اللغتين.

وسُرِّيَ عنه: أي كُشِف عنه سَبَبُ انتقاعِ لونِه، وأصله من سَرَوْتُ الثَّوبَ وسَرَيْتُه: إذا خلَعْتَه.

وغَضارةُ العَيْش: طِيبُه ولَذَّته.

وقوله: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، تَحَزُّنٌ منه، وتَوجُّعٌ على مَن وقَع في الدُّنيا مِن أمَّته، ومن ذلك كان انتقاعُ لونِه.

وقوله: «أنا في آخرِها ألْفاً»، أي في آخرِ الألوف السبعة التي هي مُدَّة الدُّنيا، وهو نصبٌ على التمييز.

ولا مَحالةَ: بمعنى لا حِيلةَ ولا شَكَّ. وأكثر ما تُستعمَل في اليقين.

والتَّبرُّع: التَّطوُّع، وهو أن يفعل الإنسانُ الشيء من نفسِه، عن غير باعثٍ من غيره.

---

(١) عبارة المصنف في النهاية: لأن الشعر إذا شعث اغبر، فإذا غسل بالماء ظهر سواده.

حَدِيثُ رُقَيقَة بنت أبي صَيفي القُرَشِيَّة

وكانت لِدَةَ عبد المطلب بن هاشم

قالت: تتابَعتْ على قُرَيْشٍ سِنو جَدْبٍ، أَقْحلت الأرضَ والضَّرعَ، وأرقَّت العَظْمَ، فبينا أنا راقدةٌ ـ اللَّهُمَّ ـ أو مُهَوِّمةٌ، ومعي صِبْوَتي[1]، إذا أنا بهاتفٍ صَيِّتٍ يَصْرُخ بصوتٍ صَحِلٍ، اقْشعَرَّ له جلدي، يقول: يا معشرَ قريشٍ، إن هذا النبيَّ المبعوثَ منكم قد أَظَلَّتكم أيّامُه، وهذا إبَّانُ نُجُومِه، فَحيَّ هَلاً بالحَيَا والخِصْب، ألا فانظروا فيكم رجلاً وَسِيطاً عُظاماً جُساماً طُوالاً، أبيضَ بَضّاً، أَشَمَّ العِرْنِين، أوْطَفَ الأهداب، سَهْلَ الخَدَّين، له فَخْرٌ يَكْظِم عليه، وسُنَّةٌ تَهْدي إليه، ألا فَلْيَخْلُص هو وولَدُه، ولْيَدْلِفْ إليه من كُلِّ بَطْنٍ رجلٌ، ألا فَلْيَشُنُّوا من الماء، ولْيَمَسُّوا من الطِّيب، ولْيَسْتَلِمُوا الرُّكْنَ، ولْيَطَّوفُوا بالبيت العتيق سَبعاً، ثم لْيَرْتَقُوا أبا قُبَيْس، ألا وفيهم الطَّيِّبُ الطاهِرُ لِداتُه، ألا فَلْيَسْتَسْقِ الرجلُ، ولْيُؤَمِّن القومُ، ألا فغِثْتُم إذاً ما شِئتم وعِشْتُم.

قالت: فأصبحتُ ـ عَلِمَ اللهُ ـ مَذْعُورةً، قد قَفَّ جِلْدِي، ووَلِهَ عَقْلي، فاقْتصَصْتُ رُؤْياى، ونِمْتُ في شِعاب مكَّةَ، فو الحُرْمَةِ والحَرَم إن بقي بها أَبْطَحيٌّ إلّا قال: هذا شَيْبَةُ الحَمْد، وتَتامَّتْ عنده رجالاتُ قُريش، وانقضَّ إليه من كلِّ بَطْنٍ رجلٌ، فشَنُّوا، ومَسُّوا، واسْتَلَموا واطَّوَّفُوا، ثم ارتَقَوْا أبا قُبَيْس، وطَفِق القومُ يَدِفُّون حَوْلَه، ما إن يُدْرِك سَعْيُهم مَهْلَهُ، حتى قَرُّوا بذِرْوَة الجَبل، واسْتَكَفُّوا جَنابَيْه.

فقام عبدُ المطلب، فاعْتَضَد ابنَ ابنِه محمداً، فرفعه على عاتِقه، وهو يومئذٍ غلامٌ قد أيفَع أو كَرَب، ثم رفع يديه فقال: اللهمَّ سادَّ الخَلَّةِ وكاشفَ الكُرْبة، أنت عالِمٌ غير مُعَلَّم، ومسؤولٌ غير مُبَخَّل، وهذه عِبِدَّاؤُك وإماؤُك بعَذِرات حَرَمك، يَشْكُون إليك سَنَتَهم، أذْهَبَت الخُفَّ والظِّلْفَ، فاسْمَعَنَّ اللهُمَّ وأَمْطِرَنَّ علينا غَيْثاً مُرْبعاً مُغْدِقاً. فورَبِّ الكعبةِ ما رامُوا حتى تَفجَّرت السماءُ بمائها، وكَظَّ الوادي بثَجيجه، فسمعتُ شِيخانَ قُريش وجِلَّتَها: عبدَ الله بنَ جُدْعانَ، وحَرْبَ بنَ أُميَّة، وهشامَ

(١) وقع في الروض الأنف والفائق وغيرهما من الكتب التي ذكرت هذا الحديث: «صنو». وليس بشيء. وسيأتي شرح «صبوتي» في كلام المصنف.

ابن المغيرة، تقول لعبد المطَّلب: هنيئاً لك أبا البَطْحاء، وفي ذلك تقول رُقَيْقَةُ:

بشَيْبةِ الحَمْـدِ أسْقَى اللهُ بَلْدَتَنـا ... وقـد فَقَدْنـا الحَيـا واجْلَوَّذَ المَـطَرُ
فَـجادَ بـالـماء جَـوْنـيٌّ لـه سَـبَلُ ... سَحّـاً فعـاشَتْ بـه الأنعامُ والشَّجَـرُ
مَـنّـاً مِن الله بـالـميمـونِ طـائـرُهُ ... وخيـرِ مَن بُشِّرتْ يـومـاً بـه مُضَـرُ
مُبـارَكُ الـوجـهِ يُسْتَسْقَى الغَمـامُ بـه ... مـا في الأنـامِ لـه عِـدْلٌ ولا خَـطَرُ

*

* *

أخرجه الخَطّابيُّ وأبو نعيم الحافظ والزمخشريُّ[(١)] وهو من حديث المِسْوَر بن مَخْرَمة بن نَوْفلٍ، عن أبيه، ومن حديث عمرو بن مُضَرِّسٍ، عن مَخْرَمَة، قال: حدثتني أُمِّي رُقَيْقَة[(٢)].

شرحه

رُقَيْقَة: هي بنت أبي صَيْفيّ بن هاشم بن عبد مناف. ويُشبه أن تكون تصغير الرَّقَّة، وهي كلُّ أرضٍ إلى جَنْب وادٍ يَنْبسِط عليها الماءُ أيَّامَ المَدّ، ثم يَنْضُب، فتكون مَكْرُمةً للنَّبات.

واللِّدَةُ: مصدر ولَدَ يَلِدُ لِدَةً، كالعِدَة والزِّنَة، مِن وعَد ووزَن. أي أنها كانت في سِنّ عبد المطَّلب بن هاشم، ومِن أقرانه، لاتِّفاق وِلادتهما، وكان عبد المطَّلب عَمَّها.

والجَدْب: القَحْطُ.

والأصل في سِنُو: سِنُون، فحذَف النّونَ لإضافتها إلى الجَدْب، وهو من الجموع الشَّاذَّة، كثُبُون وقِلُون، في جمع ثُبَةٍ وقُلَةٍ، لأن الجمع بالواو والنون لا يُجْمَع به إلا المذكّر العَلَمُ العاقل.

وأقْحَلَتْ: أي أيْبَسَت الأرضَ فلم تَدَعْ فيها نباتاً، والضَّرْعَ فلم تَدعْ فيه لَبَناً. يقال: قَحَلَ يَقْحَلُ[(٣)] قُحُولاً، وقَحِلَ يَقْحَلُ قَحَلاً.

---

(١) الفائق ٣/١٥٩- ١٦٢، وانظر أيضاً: طبقات ابن سعد ١/٨٩، ٩٠، ودلائل النبوة للبيهقي ١/٣٦١- ٣٦٥، والروض الأنف ١/١٧٩- ورواه السهيلي عن أبي سليمان الخطابي- والوفا بأحوال المصطفى ١/١٢٠- ١٢٢، وأسد الغابة ٧/١١١- ١١٣- والإصابة ٨/٨١، ٨٢، وانظر أيضاً ٦/٧٠ (ترجمة مخرمة بن نوفل) ومجمع الزوائد ٨/٢١٩ (باب في كرامة أصله ﷺ. من كتاب علامات النبوة)، وتاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ١/٢٣٩، والخصائص الكبرى ١/١٩٨- ٢٠٠

(٢) حكى عز الدين ابن الأثير بعد إيراده هذا الحديث- في الموضع المذكور من أسد الغابة- عن الحافظ أبي موسى المديني الأصبهاني، قوله: هذا حديث حسنٌ عالٍ.

(٣) ضبطت الحاء في الأصل بالكسر، وهو خطأ، صوابه الفتح، وقد حررت هذا الفعل مِن قبل في حديث الاستسقاء.

ويروى: «أقْحلت الظِّلْفَ» وهو للشَّاءِ كالحافِر للفَرَس، وتُريد ذاتَ الظِّلْف، أي أن السِّنينَ المُجْدِبة هَزَلت[1] الماشيةَ، وألصقَتْ جُلودَها بعِظامها، ورِقَّةُ العظمِ دليلٌ على الضَّعف.

ويُرْوَى: «وأفْنَت العَظْمَ» أي أذابَتْه.

والرُّقُود: النَّومُ[2] المُسْتحِكم المُمْتدُّ.

والتَّهْويم: النَّومُ الخفيف، يقال: هَوَّم وتَهوَّم، وكأنه من الهامة: الرأسِ. أي حَرَّك رأسَه من النُّعاس.

والصِّبْوة: الأولادُ الصِّغار، جمع صبيٍّ، على الأصل، فإن ألفَه واوٌ، والجمع المعروف فيه: صِبْيَةٌ[3] وصِبْيانٌ.

والهاتِف: الصائح، وأكثر ما يُطلَق على مَن لا يُرَى شَخصُه.

والصَّيِّت: العالي الصَّوت، وهو فَيْعِلٌ مِن صاتَ يَصُوتُ صَوتاً، ويقال فيه أيضاً: صائتٌ.

والصُّراخُ: عُلُوُّ الصَّوْت.

والصَّحِلُ: الذي في صوته[4] بُحَّةٌ تُذهِبُ حِدَّتَه، وهو مُسْتَلَذٌّ في السَّمْع، وقد صَحِلَ[5] يَصْحَلُ صَحَلاً.

واقْشَعَرَّ الجِلْدُ: إذا ارْتَعَد وقام شَعَرُه، كالذي يَعْرِض له عند مُفاجأة البرد. والمَعْشَر: الأهلُ والأقارب، وجَماعة العَشيرة.

واظَلَّتْكم أيّامُه: أي أشرفَتْ عليكم وحاذَتْكم، كأنها ألقَتْ عليهم ظِلَّها.

وإبَّانُ نُجومِه: وقتُ ظُهورِه. وإبَّانُ: فِعْلانُ من أَبَّ الشيءُ: إذا تَهيَّأ.

---

(١) يقال: هزَلتُ الدابةَ أهْزِلها - من باب ضرب - هزلاً، بضم الهاء وسكون الزاى، بوزن قفل، كما في المصباح.

(٢) في الفائق: النوم بالليل.

(٣) وجاء في الحديث «أن النبي ﷺ رأى حُسَيْناً يلعب مع صِبْوة في السِّكَّة». وحكى الهروي عن أبي بكر بن الأنباري، قال: «الصبوة والصبية لغتان معناهما واحد، بمنزلة عنوان وعنيان، والفتوت والفتيت». الغريبين (صبو).
وقال المصنف في النهاية (صبا): «الصبوة والصبية: جمع صبي، والواو القياس، وإن كانت الياء أكثر استعمالاً». وانظر الفائق ٢٨٢/٢

(٤) راجع ما سبق في حديث أم معبد.

(٥) من باب فرح، على ما في القاموس.

ونَجَم النَّبتُ يَنْجُم[1]: إذا طَلَع وظَهَر.

وحَيَّ هَلاً: كلمةٌ مُركَّبَة من كلمتين، إحداهما حَيَّ، ومعناها هَلُمَّ وأَقْبِلْ، والأُخْرى هَلاً، وهي حَثٌّ واستعجالٌ، وتُنوَّن في الوَصْل، ويُوقَفُ على الألف مَرَّةً، وعلى اللام أُخْرَى.

والحَيَا، مقصوراً: المَطَر، لأنَّ به حياةَ الأرض.

والخِصْبُ: ضدّ الجَدْب، وهو مِن أثر المطَر.

وأَلَا: حرف استفتاحٍ وابتداء، كقوله تعالى[2]: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

والوَسِيطُ: أفْضَلُ القومِ، من الوَسَط، وقد وَسُطَ وَساطةً.

والعُظامُ: العَظِيمُ القَديْر.

والجُسَامُ: العظيم الجِسْم.

والطُّوالُ[3]: الطَّويلُ القامةِ. وفُعالٌ أبْلَغُ من فعِيل.

والبَضُّ: الرَّقِيق اللَّونِ الذي يُؤَثِّر فيه كلُّ شيء.

والعِرْنِينُ: الأَنْفُ، وقيل: أعلاه.

والشَّمَمُ: ارتفاعُ أَرْنبة الأنف، مع امتداد القَصَبة.

والأهداب: شَعَرُ أجفانِ العين.

والوَطَفُ: طُولُها.

وسَهْلُ الخَدَّين: طويلُهما غير ناتئهما.

والكَظْمُ: الكَتْم والإمساكُ على الشيء. تريد أنه من ذوي الفخر والشَّرف، وهو يُخفِي حَسَبه ولا يَتَبَّجح به.

والسُّنَّة: الطريقة الواضحة. أي أن سَجِيَّتَه وسيرتَه الجميلةَ تَهْدي الناسَ إليه وتجمعهم عليه.

وقولها: «ألا فَلْيَخْلُصْ هو ووَلَدُه» أي فلْيتميَّزُوا، ولْيَنْفردوا من الناس، ومنه قوله تعالى[4]:

(١) من باب قعد، على ما في المصباح.

(٢) سورة يونس ٦٢

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) الآية الثمانون من سورة يوسف.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً﴾.

ولْيَدْلِفْ إليه: أي يُقْبلْ نحوَه، يقال: دَلَفَت الكتيبةُ في الحرب: إذا تقدَّمتْ، والدَّليفُ: المَشْيُ المُتأنِّي، والتقدُّمُ في رِفْق.

والبَطْنُ: ما دُونَ القَبيلة وفوق الفَخِذ من العَشيرة.

والشَّنُّ، بالشين المعجمة: صَبُّ الماءِ على الرأس والبَدَن متفرِّقاً، ومنه شَنُّ الغارةِ: إذا أخذَتْهم مِن نواحيهم. وبالسّين المهملة: صَبُّه عليه غيرَ متفرِّق.

واسْتِلامُ الرُّكْنِ: لَمْسُه باليد وتقبيلُه، وهو افتعالٌ من السَّلامِ: التحيّة، أو من السِّلامِ[1]: الحِجارة. وتريد رُكنَ البيت الأسودَ.

والعَتيقُ: القديمُ من كلِّ شيء، والعَتيقُ أيضاً: الكريمُ الخِيارُ من كلِّ شيء.

وإنما أمرتْهم بهذه الأشياء من الغُسْل ومَسِّ الطِّيب، واستلام الرُّكْن، والطَّوافِ بالبيت، ليُقدِّموا الطَّهارةَ والطِّيبَ، ثم يُتْبِعوها بالعبادة، ثم يُرْدِفُوهما بالمسألة وطَلَبِ الرحمة، ليكونَ أدْعَى إلى القَبُول والإجابة.

واللِّدَاتُ: جمعُ لِدَةٍ. تعني أن مولدَه ومولدَ من مضى من آبائه موصوفٌ[2] بالطُّهْر والطِّيب.

وقيل: أراد باللِّدات: الأقرانَ والأترابَ، ويكون ذِكْرُ اللدات أُسلوباً من أساليب بلاغتهم في كلامهم، لتثبيت الصفة وتمكينها، لأنه إذا جُعل من أقرانٍ وأترابٍ ذوي طِيبٍ وطهارةٍ كان ذلك أثبت لطِيبه وطهارته، وأدَلَّ على شرفه، كقولهم: مِثْلُك جَوادٌ، ومِثْلُك يُعطى من غير مسألة.

والاستسقاء: طَلَبُ السُّقْيا مِن الله تعالى.

ويُؤَمِّن: مِن التَّأْمين، وهو أن يقول عَقِيبَ الدُّعاء: آمين، وفيها لغتان: المَدُّ والقَصْر، والمَدُّ أفصحُهما[3].

وقولها: «أَلَا فغِثْتُم إذاً ما شِئتم» أي مُطِرْتُم، وهي بكسر الغين، وقد تُضَمّ، لأنها فعلٌ لم يُسَمَّ

---

(١) هذا بكسر السين، بوزن كتاب، والمفرد «سلمة» بفتح السين وكسر اللام، بوزن كلمة، على ما في المصباح.

(٢) في الأصل: «موصوفة». وأثبته بالتذكير من الفائق.

(٣) قال في النهاية (أمن): «وهو اسم مبني على الفتح، ومعناه: اللهم استجب لي. وقيل: معناه كذلك فليكن، يعني الدعاء». وانظر الغريبين ٩٣/١

لأنَّ قِياسَ أيْفَعَ: مُوفِعٌ، لا يافِعٌ.

وكَرَب: أي قَرُبَ.

والخَلَّةُ بالفتح: الحاجةُ.

والمُبَخَّل: الذي يُنْسَب إليه[1] البُخْلُ.

والعِبِدَّاءُ، بكسر العين والباء وتشديد الدال والمَدّ والقَصْر: العَبِيدُ، جَمْع عَبْدٍ، على غير قياس.

والعَذِراتُ: جمع عَذِرةٍ، وهي فِناء البيت.

والسَّنَةُ: الجَدْب.

والخُفُّ للبعير: كالحافر للفَرَس، وأرادَتْ ذوات الخُفِّ.

ومَطَرت السماءُ تَمْطُر، وأمطَرَها اللهُ، وقد مُطِرْنا، وناسٌ يقولون: مَطَرتِ السماءُ وأَمْطَرَتْ.

والمُرْبِعُ: المَطَرُ الدائمُ المقيم، المُغْني عن الارتياد لعُمومِه، فالناس يَرْبَعُون حيث شاءوا، لا يحتاجون إلى النُّجْعة.

والمُغْدِق: الواسع الكثير.

وما رامُوا: أي ما بَرِحُوا وما زالُوا، وقد رامَ يَرِيمُ: إذا فارَق، ولا يكادُ يستعمل إلاّ في النفي.

وكَظَّ الوادي واكتَظَّ: إذا امتلأ.

والثَّجيج: الماء المصبوب المُتدفِّق، فَعِيلٌ بمعنى مفعول.

والشِّيخان، بالكسر: جمع شَيْخ، كالضِّيفان جمع ضَيْف.

وجِلَّةُ الناسِ: أكابِرهم ومُقَدَّمُوهم.

وإنما قالوا لعبد المُطَّلِب: أبو البطحاء ـ وهي صحراء مكة ونواحيها ـ لأنَّ أهلَها عاشوا به، وباستسقائه، كما يُقال للمِطعام: أبو الأضياف.

وسَقَى وأَسْقَى بمعنىً، وقيل: سَقَيْتُه لِشَفَتيه، وأسْقَيْتُه لماشيته وأرْضِه[2].

---

(١) أو الذي يُنْسَب إلى البخل. جاء في اللسان: وَبخَّله: رماه بالبخل ونسبه إلى البخل.

(٢) قال ابن السّكّيت: «ويقال: أسقيته: إذا جعلت له شرْباً لأرضه. ويقال: سقيته ماء: إذا أعطيته ماء يشربه». إصلاح المنطق ص٢٧٠

واجْلَوَّذَ المطرُ: هكذا جاء في الرواية، أي ذَهَب وقَلَّ، وأصلُه من اجْلَوَّذَ في السَّيْر: إذا أسرع. وقال الجوهريّ: اجْلَوَّذَ بهم السَّيْرُ اجْلِوَّاذاً، أي دام مع السُّرعة.

والجَوْنيُّ: منسوبٌ إلى الجَوْن، وهو الأسود أو الأبيض. يعني مَطَراً جاء من سَحابٍ أسودَ أو أبيضَ.

والسَّبَلُ، بالتحريك: المُسْبَل، فَعَلٌ بمعنى مُفْعَل، وقد أسْبَلت السماءُ، إذا هَطَلتْ، والاسم: السَّبَلُ، بالتحريك.

والسَّحُّ: الدافِق المُتَتابع.

والمَيْمُون طائره: أي المبارك المُقْبِل السَّعيد، وهو من التَّيَمُّن بالطير السَّانِحِ، وَضِدُّه التشاؤم بالطَّير البارح[1]. وتُريد به النبيَّ ﷺ.

والعِدْل: المِثْل والنَّظير، وقد تُكْسَر عينُه وتُفْتَح.

والخَطَر، بالتحريك: القَدْر والمَنزِلة، وهذا خَطَرٌ لهذا وخَطِيرٌ: أي مِثْلُه في القَدْر. والله أعلم.

[هذا آخر القسم الأول من كتاب «منال الطالب في شرح طوال الغرائب للإمام مجد الدين ابن الأثير. يتلوه في الذي بعده: القسم الثاني في أحاديث الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ أحاديث أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه].

٧

(١) قال المصنف في النهاية (برح): السانح ما مرَّ من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك، والعرب تتيمن به، لأنه أمكن للرمي والصيد. والبارح: ما مرّ من يمينك إلى يسارك، والعرب تتطير به، لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف.

فهرس أحاديث الجزء الأول